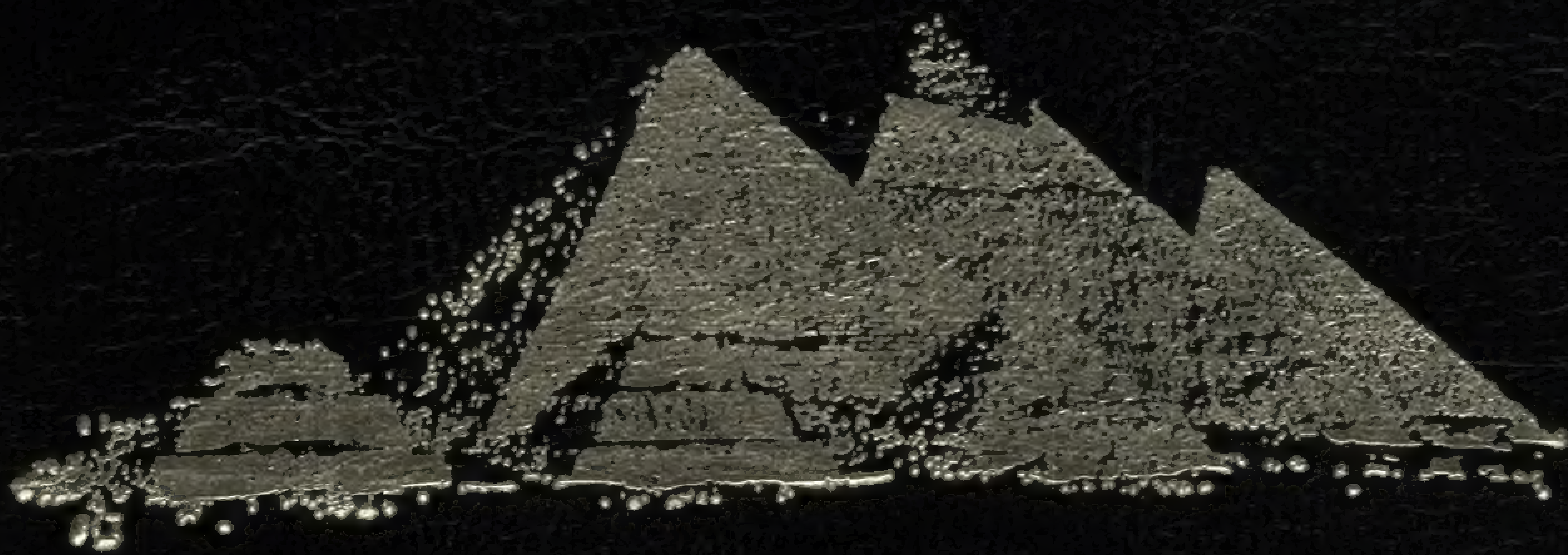
موسوعة
جغرافية مصر وتاريخها





موسوعة

جغرافية مصر وتاريخها

(٨)

عبد الرحمان الجبرتي

موسوعة

جغرافية مصر وتاريخها

المجلّد الثامن

عجائب الآثار في التراجم والأخبار ـ ٢ ـ

الجزء الثاني: قيام وسقوط علي بك ـ ٤ ـ

إعداد وتحقيق
عبد العزيز جمال الدين

دار نوبليس

اسم الموسوعة:	موسوعة جغرافية مصر وتاريخها
اسم الكتـــاب:	عجائب الآثار في التراجم والأخبار - ٢ - الجزء الثاني: قيام وسقوط علي بك - ٤ -
المؤلـــــــف:	عبد الرحمان الجبرتي
إعداد وتحقيق:	عبد العزيز جمال الدين
قياس الكتـاب:	١٧ × ٢٤
عدد الصفحات:	٢٤٠
عدد صفحات الموسوعة:	٥٧٨٤
مكـان النشـر:	بيروت
دار النشر والتوزيع:	دار نوبِليس
تلفاكس:	٧٥ ٣٤ ٥٨ (١) ٩٦١
هاتــف:	٢١ ١١ ٥٨ (١) ٩٦١ - ٢١ ١١ ٥٨ (٣) ٩٦١
صندوق بريـد:	٧٠ ٦٩ ١٦ بيروت لبنان
بريد إلكتروني:	info@nobilis-int.com
الطبعة الأولى:	٢٠١٢

EAN 9786144031353

ISBN 978-614-403-135-3

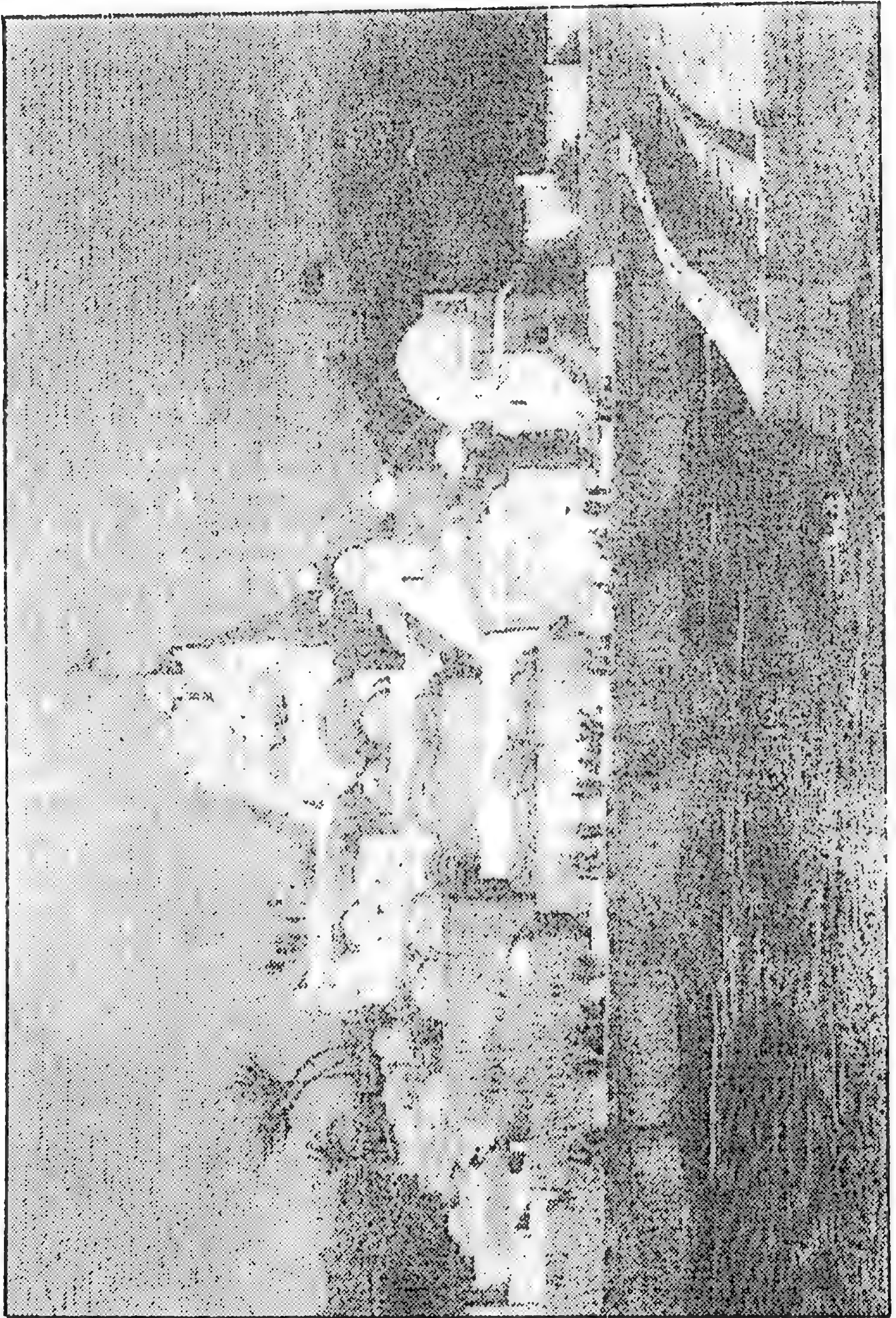
«سنة خمسة وثمانين ومائة وألف» [١٧٧١م]

فيها أخرج على بك تجريدة عظيمة وسر عسكرها وأميرها محمد بك أبو الدهب وأيوب بك ورضوان بك وغيرهم كشاف وأرباب مناصب ومماليكهم وطوايفهم وأتباعهم وعساكر كثيرة من المغاربة والترك والهنود واليمانية والمتاولة وخرجوا فى تجمل زايد واستعداد عظيم ومهيا كبير ومعهم الطبول والزمور والذخاير والأحمال والخيام والمطابخ والكرارات والمدافع والجبخانات ومدافع الزنبلك على الجمال وأجناس العالم ألوفا مؤلفة، وكذلك أنزلوا الاحتياجات والأثقال وشحنوا بها السفن، وسافرت من طريق دمياط فى البحر، فلما وصلوا إلى الديار الشامية، فحاصروا يافا وضيقوا عليها حتى ملكوها بعد أيام كثيرة ، ثم توجهوا إلى باقى المدن والقرى وحاربهم (ص٨٧٠) النواب والولاة وهزموهم وقتلوهم وفروا من وجوههم واستولوا على الممالك الشامية إلى حد حلب، ووردت البشاير بذلك فنودى بالزينة فزينت مصر وبولاق ومصر العتيقة زينة عظيمة ثلاثة أيام بلياليها وتفاخروا فى ذلك إلى الغاية ، وعملت وقدات وأحمال قناديل وشموع بالأسواق وساير الجهات، وعملوا ولايم ومغانى وآلات وطبولا وشنكا وحراقات وغير ذلك وذلك، فى شهر ربيع أول من السنة وتعاظم على بيك فى نفسه ولم يكتف بذلك فأرسل إلى محمد بيك يأمره بتقليد الأمراء المناصب والولايات على البلاد التى افتتحوها وملكوها وأن يستمر فى سيره ويتعدى

*حملة على بك على الشام بقيادة محمد بك أبو الدهب.

١١٨٥هـ.
١٤٨٧ق.
١٧٧١م.
غاية الفيضان ١٨ قيراط ٢٣ ذراع

- ١ توت ١٤٨٨ = ١٠ سبتمبر ١٧٧١ = الثلاث ٣٠ جماد أول ١١٨٥.
- فيها جرد على بك تجريدة تحت إمرة محمد بك أبى الذهب فقامت من دمياط إلى الشام بطريق البحر فحاصروا يافا ثم ملكوها، كذا ملكوا بقية المدن الشامية لحد حلب. وزينت مصر وبولاق ثلاثة أيام فرحا لهذه النصرة.
- وفيها أمر على بك محمد بك أبو الدهب أن يولى الولاة على البلاد التى افتتحها، ويمد فتوحاته حيث شاء، فتحالف أبو الدهب مع بقية الرؤساء على العودة إلى مصر ونبذ ما أمر به على بك.
- وفى أواخر جماد الثانى كانت عودة تجريدة أبى الذهب إلى مصر.
- وفيها حصل طاعون بالتركيا.
- وفى ١٤ شوال حاصر على بك وعلى بك طنطاوى دار محمد بك أبى الذهب قاصدين الغدر به ، فتقدمهم إلى البساتين وتوجه إلى الصعيد.
- ١ يناير ١٧٧٢ = ٢٤ كيهك ١٤٨٨ = الأربع ٢٥ رمضان سنة ١١٨٥.



▲ مشهد ليافا من البحر

الحدود ويستولى على الممالك إلى حيث شاء وهو يتابع إليه إرسال الإمدادات واللوازم والاحتياجات ، ولا يثنون عنانهم عما يأمرهم به، فعند ذلك جمع محمد بيك* أمـــراءه وخشداشينه الكبار فى خلوة وعرض عليهم الأوامر فضاقت نفوسهم وسئموا الحرب والقتال والغربة، وذلك مافى نفس محمد بيك أيضا ثم قال لهم : ما تقولون؟ قالوا : وما الذى نقوله والرأى لك فأنت كبيرنا ونحن تحت أمرك وإشارتك ولا نخالفك فيما تأمر به؟» فقال : ربما يكون رأيى مخالف لأمر أستاذنا : قالوا: ولو مخالفا لأمره، فنحن جميعا لا نخرج عن أمرك وإشارتك فقال : لا أقول لكم شيئا حتى نتحالف جميعا ونتعاهد على الرأى الذى يكون بيننا: ففعلوا ذلك وتعاهدوا وحلفوا على السيف والكتاب، ثم إنه قال لهم «إن أستاذنا يريد أن تقطعوا (ص٨٧١) أعماركم فى الغربة والحرب والأسفار والبعد عن الأوطان وكلما فرغنا من شىء فتح علينا غيره فرأيى أن نكون على قلب رجل واحد ونرجع إلى مصر ولا نذهب إلى جهة من الجهات وقد فرغنا من خدمتنا، وإن كان يريد غير ذلك من الممالك يولى أمراء غيرنا ويرسلهم إلى ما يريد ونحن يكفينا هذا القدر ونرتاح فى بيوتنا وعند عيالنا» فقالوا جميعا : ونحن على رأيك. وأصبحوا راحلين وطالبين إلى مصر، فحضروا فى أواخر شهر رجب على خلاف مراد مخدومهم وبقى الأمر على السكوت، ثم إن على بيك قلد أيوب بيك إمارة جرجا وقضى أشغاله وسافر إلى الصعيد بطائفته وأتباعه وانقضى شهر شعبان ورمضان وعلى بيك مصمم على رجوع محمد بيك إلى جهة الشام وذلك مصمم على خلاف ذلك، وبدت بينهما الوحشة الباطنية، فلم كان ليلة رابع شهر شوال

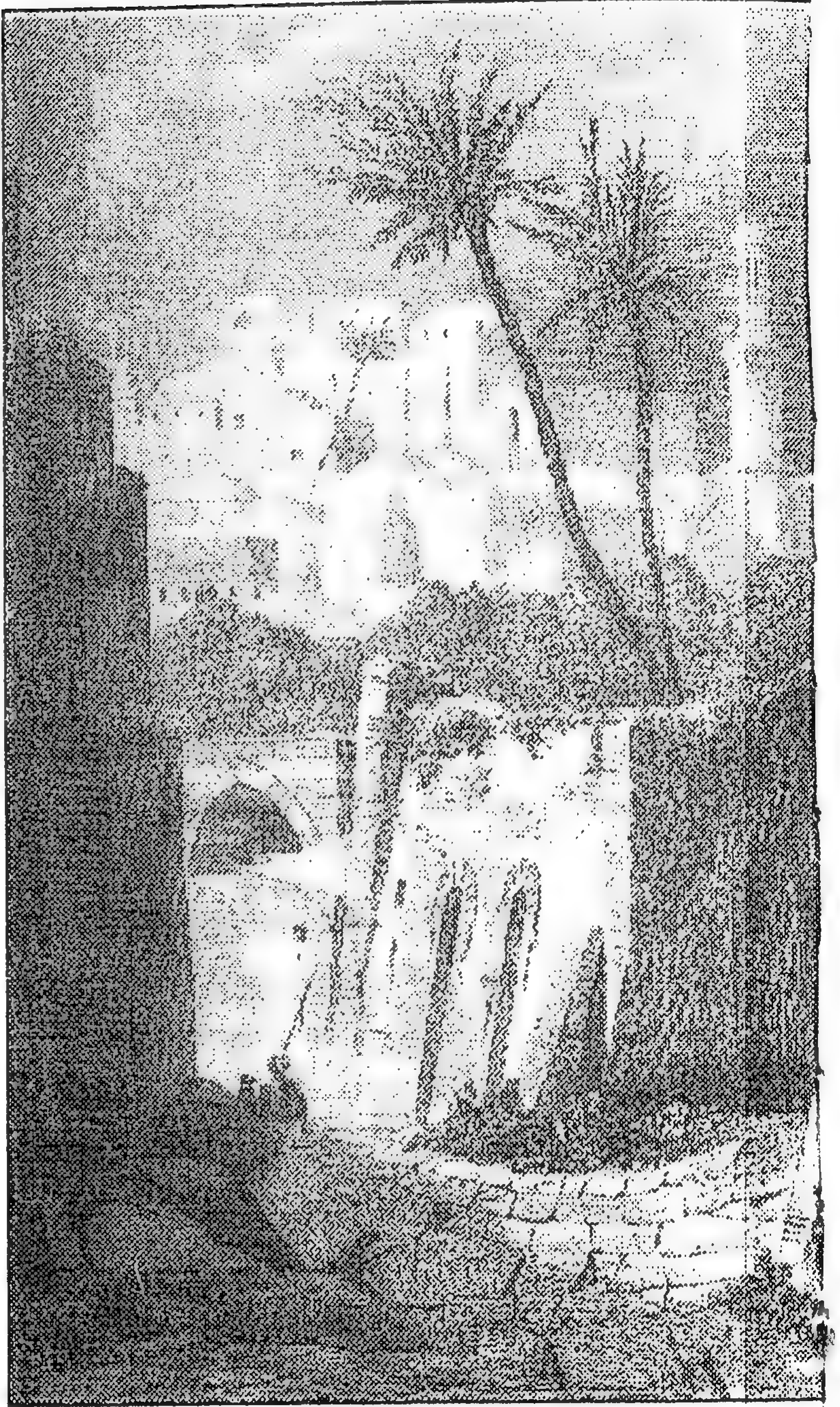
* تآمر محمد بك ابو الدهب ضد سيده على بك الكبير.

كتاب على بك الكبير إلى أهالى دمشق ١٧٧٠م ١١٨٤ هـ .

* صدر هذا الفرمان الشريف الشان من ديوان مصر القاهرة المحروسة المعالى. دامت لها المفاخر والمعالى من منّ به الكريم المنان على اهل هذا الزمان. واظهر العدل والامان. وعم بالفضل والاحسان. جميع اهل القرايا والبلدان. وراغم اهل الجور والطغيان. امير الامرآ الكرام. وعظيم الكبرا الفخام. المختص بمزيد عناية الملك العلام. امير اللواء الشريف السلطانى والعلم المنيف الخاقانى. امير على بيك امير الحاج سابقا. وقيم مقام (قايمقام) المحروسة حالا، دام عزه وبقاه. ورفع بالسعد لواه. مضمونه حمد بارى النسم.ومحيى الرقم. الذى قدس وعظم قدر الحرام. وبارك حوله بجزيل النعم وآمر بالعدل فى ساير الامم. واوعد الظالم بالهلاك والنقم. القايل تعالى فى كتابه المبين. ان الله لا يحب الظالمين ولا يصلح عمل المفسدين.ولا تآيسوا من القوم الفاسقين من بعد الصلاة والسلام على رسوله الامين. سيد الخلق اجمعين. الصادق وهو اصدق من قال الضرريزول وعلى اصحابه الذين سادوا وشادوا الدين، صلوة وسلاما دايما ليوم الدين. فمن بعد:مزيد السلام والتحية (بعميم) الامن والبركات. وجزيل النعم والخيرات. فى كل الاوقات والساعات . الى حضرة العلما العالمين. والفقها المحدثين. المفتيين بشريعة سيد الانام. وقضاةالاسلام. وارباب المناصب والحكام. والخاص والعام. من اهالى دمشق الشام . اعزهم الله بنور العقل واحكامه. واجارهم من الظلمة وظلامه. بلطفه واكرامه. وافاض عليهم جزيل انعامه. فالذى يحيط [به] كريم علمكم. وزكى فهمكم. ان الامة لا تجتمع على الضلاله وقد علمتهم ما صنعه عثمان باشا [والى الشام فى حينه] فى ارضكم من الظلم والجهاله. وانه قد اعترض الى الحجاج والزوار وسلط عليهم الاشرار والفجار. بالادية والاضرار. واظلم المسافرين والتجار. وذل الاماكن الشريفة وابدل أمن الحرمين [بالخيفة] وتعدى حدود الدين. وفعل ما لا يليق بالمسلمين . وقد قال من لا تراه العيون من يتعدى حدود

الله فاوليك هم الظالمون . فلما بلغنا عنه ما بلغ. وانه في اناء الارض المقدسة ولغ.

فبادرنا لسو اعماله بالنقض. كما ازلنا في العام الماضي من ظلمة البعض واردنا نطهر منه تلك الارض نصرة للدين وغيرة على المسلمين. ورفع ضرره عن الارض المقدسة. لما جاء في الحديث ما حل بحرمكم جل بكم. وبلغكم ما فعله بعلما غزة. واذاقهم الذل بعد العزه ودفنهم بالارض بالحياه. وقد جاء في الحديث المقدس عن الاله من اذل اوليا الله اذله الله. وقوله تعالى في كتابه الاسما. انما مخشيون الله (انما يخشي الله من عباده العلما) . فان كنتم بذلك غير راضين. وعن دفع ضرره غير قادرين. فنحن بعون الله قادرين علي ذلك. وقد افتينا المذاهب الاربع بذلك. واستخرنا الله وهو نعم الوليّ وسالناه بنصر دين محمد بعلي. وصرفنا العساكر والاموال. في رضي الملك المتعال. ووجهنا الفوارس والابطال ليردوا الظالم. ويستردوا المظالم. ويميزوا العاطب من السالم. فالقصد منكم ترك الظالمين. والبعد عنهم اجمعين. ومن يثق بهم منكم فانه منهم يكون. واجتهدوا فيما يرفع عنكم الشرور. ويجلب لكم الفرح والسرور. والغبطه والحبور . وامير الحجاج الشامي من طرفنا يتولاه حفظا وصيانة لحجاج بيت الله. فتعاونوا على عمل الخير وذهاب الضر والضير. وكما قال الملك المنان. تعاونوا على البر بالتقوى والتصديق. فالكريم الفتاح. من طلب العدل والصلاح. ولا تعاونوا على الاثم والعدوان اهل الظلم والطغيان. وها نحن قد اخبرناكم. وعلى المعاونة بالخير قد اختيرناكم. ومن اقامة هذا الظالم في ارضكم قد حذرناكم. والعساكر قاصدة اليه والجميع ما يلين عليه. فلا تدعوه يقيم بارضكم. ولا بين اعيالكم. وقد سلطنا غضب الله وسخطه عليه. فاحفظوا منه ساير اموالكم واحوالكم. وراى العما والكبار اعلاه. وانتم على فعل الخير اولى. وعلى القريب منكم والبعيد. و (الطارف) والتليد. والاحرار والعبيد. امان الله ورانا السعيد. والله يفعل ما يشاء ويحكم بما يريد. والخير يكون . والصعب يهون. بعون مدير الكون.



▲ احد ضواحي مدينة القدس.

تهنئة الامير منصور الشهابي لمحمد بك ابو الدهب بفتح الشام ١٧٧٠م/١١٨٤هـ

الجناب العالى ذو الفخر والجمال. دامت له رتبة المعالى بالسعادة والاجلال . مشيد اركان رتبة السنيه. عسجدى الالقاب الشهيه. صدر صدارة الدولة المصريه. امير لوا شان اطال الله تعالى بقاه امين. غب ابهى واشرف ما سجعت به اطيار منابر الاغصان. على قدود افنان الاشجار بالحان لشايد الاوزان الشجية. والطف ما نظمته افكار ضماير الانام من عقود نظام الاشعار ودرر البيان الوضية. تهدى جناب من قد جلى سيوف الانتصار. وبدد اعدايه كل صقع وامصار. اعنى به من رفع اسمه باوج العلا. وترفعت اعلامه على روس الملا. وحاز الافتخار. بقايم السيف البتار. كيف لا وهو فريد الزمان. ولتيجة هذا الوقت والاوان. اما بعد في ابرك الاوقات واشرفها. وايمن الساعات والطفها قد ورد علينا امثال جنابكم الشريف. وفهمنا فحواه المانوس المنيف. واتضح لنا حلول ركابكم السعيد بدمشق الشام. بحسن تايد واكمل نظام. والمقصود بلوغ الارب وبغية المرام. فقد حصل عند مخلصكم بهجة لا تحد. وسرورا لا يعدّ. بتشريف ركابكم بهذه الامصار. وقد اضطربت بقدومكم الاقطار . واستانست البلاد. واطمانت خواطر العباد. ويسوغ لهم ان يترنموا مع الشاعر حيث يقول:

ثغر الزمان لقد غدى مبتسما
وشذا الزمان لقد غدى متنسما
واجابت الافاق من اغساقها
بترنم والكون ابدى منغما

فيا له من فرح لا يقر قراره. ولا يحصى طياره. جالبا للصدور جلباب (الجذل) والحبور. فنحمده جل شانه بما انعم واجذل واكرم. فلقد انتشرت سجاياكم. وشاعت مكارم عطاياكم. فيا خير مبعوث واكرم باعث. ولقد بلغنا ان فى حلول ركابكم السعيد. تبدد العدو (اى) تبديد. ولم يساعه حتى انهزم ورحل. فلا برحت اقبالكم بالسعد وبلوغ الامل. ورايات اعزازكم خافقه..وروس اعدايكم طارقه. وبنوع التهجم والرجا ان

بيت على بك مع على بيك الطنطاوى وخلافه واتفق معهم على غدر محمد بيك فركبوا عليه ليلا وأحاطوا بداره، ووقفت له العساكر بالأسلحة فى الطرق فركب فى خاصته وخرج من بينهم وذهب إلى ناحية البساتين وارتحل إلى الصعيد ، فحضر إليه بعض الأمراء أصحاب المناصب وعلى كاشف تابع سليمان أفندى كاشف شرقى أولاد يحيى وقدموا له ما معهم من الخيام والمال والاحتياجات ، ولم يزل فى سيره حتى وصل إلىٰ جرجا واجتمع عليه أيوب بيك خشداشه وأظهر له المصافاه والمؤاخاة وقدم له هدايا وخيولا وخياما فلم يلبث إلا وقد أحضر عيون محمد بيك الذين أرصدهم بالطريق رجلا ومعه (ص٨٧٢) مكاتبة من على يك خطابا لأيوب بيك ويستحثه على عمل الحيلة وقتل محمد بيك بأى وجه أمكنه ويعده إمارته وبلاده وغير ذلك،فلما قرأ المراسلة وفهم مضمونها أكرم الرجل وقال له «تذهب إليه بالكتاب واتنى بجوابه ولك مزيد الاكرام، فذهب ذلك الساعى واوصل الكتاب إلى أيوب بيك وطلب منه رد الجواب، وأعطاه الجواب وذكر فيه أنه مجتهد فى تتميم الغرض ومترقب حصول الفرصة فحضر به الى محمد بك فعند ذلك استعد محمد بك وتحقق خيانته ونفاقه، فاتفق مع خاصته وأمرائه بالاستعداد والوثوب، وأنه إذا حضر إليه فى صبحها أيوب بيك أخذ أرباب المناصب نظراهم وتحفظوا عليهم، فلما حضر فى صبحها أيوب بيك جلس معه فى خلوة وأخذ كل من الخازندار والكتخدا والجوخدار والسلحدار نظراهم من جماعة محمد بيك ثم قال محمد بيك يخاطب أيوب بيك: ياهل ترى نحن مستمرون على الأخوة والمصافاة والصداقة والعهد واليمين الذى تعاقدنا عليه بالشام! قال نعم وزيادة قال: ومن نكث

ذلك وخان اليمين ونقض العهد؟ قال : يقطع لسانه الذى حلف به ويده التى وضعها على المصحف، فعند ذلك قال له : بلغنى أنه أتاك كتاب من أستاذنا على بك، فجحد ذلك فقال لعل ذلك صحيح وكتبت له الجواب أيضا، قال لم يكن ذلك أبدا، ولو أتانى منه جواب، لاطلعتك عليه ولا يصح أنى أكتمه عنك أو أرد له جوابا فعند ذلك أخرج له الجواب من جيبه وأحضر إليه ذلك الرسول فسقط فى يده وأخذ يتنصل ببارد العذر، فعند ذلك قال له حينئذ لا تصح مرافقتك (٨٧٣) معى وقم فاذهب إلى سيدك وأمر بالقبض عليه وأنزلوه إلى المركب وأحاط بوطاقه وأسبابه ، وتفرقت عنه جموعه، فلما صار وحيدا فى قبضته أحضر عبد الرحمن أغا وكان إذ ذاك بناحية قبلى وانضم إلى محمد بك فقال له: «اذهب إلى أيوب بك واقطع يده ولسانه كما حكم على نفسه بذلك». فأخذ معه المشاعلى وحضر إليه فى السفينة وقطعوا يمينه ثم شبكوا فى لسانه سنارة وجذبوه ليقطعوه فتخلص منهم وألقى بنفسه إلى البحر فغرق ومات، وكان قصد محمد بك أن يفعل به ذلك ويرسله على هذه الصورة إلى سيده بمصر، ثم إنهم أخرجوه وغسلوه وكفنوه ودفنوه، فعند ما وقع ذلك أقبلت الأمراء والأفراد المتفرقون بالأقاليم على محمد بك وتحققوا عند ذلك الخلاف بينه وبين سيده، وقد كانوا منجمعين عن الحضور إليه ويظنون خلاف ذلك. وحضر إليه جميع المنافى وأتباع القاسمية والهوارة الذين شردهم على بك وسل نعمتهم فأنعم عليهم وأكرمهم وتلقاهم بالبشاشة والمحبة واعتذر لهم وواساهم وقلدهم الخدم والمناصب، وهم أيضا تقيدوا بخدمته وبذلوا جهدهم فى طاعته ووصلت الأخبار بذلك إلى مصر، وحضر إليه كثير من مماليك أيوب

تصرفوا حسن انظاركم السنيه. فى الملاحظة لحفظ الرعيه. كما هو من صفات اخلاقكم الرضيه. وما لنا بذلك قصد سوى ان تغتنموا دعاهم. ويكون بذلك الثنا والحمد عند الله والعبيد. وقد وجهنا لاقل صحيفة الدعا بنوع التهنى للجناب ليلا يطول بنا فى هذه النميقة الاسهاب. لان محامد حمدكم بحر لا يقاس. ولا يحصيه يراع ولا قرطاس. والمذكور يعرض لديكم لكونه معتمدنا والرجا ان لا تخرجونا من خاطركم الشريف واطال الله بقاكم والسلام.

بك وأتباعه سوى من انضم منهم والتجأ إلى محمد بك وأتباعه فعند ذلك نزل بعلى بك من القهر والغيظ المكظوم مالا يوصف، وشرع فى تشهيل تجريدة عظيمة وأميرها وسر عسكرها إسماعيل بك واحتفل بها احتفالا كثيرا، وأمر (ص٨٧٤) بجمع أصناف العساكر واجتهد فى تنجيز أمرها فى أسرع وقت، وسافروا برا وبحرا فى أواخر ذى القعدة ، فلما التقى الجمعان خامر إسماعيل بك وانضم بمن معه من الجموع إلى محمد بك وصاروا حزبا واحدا ورجع الذين لم يميلوا وهم القليل إلى مصر، فعند ذلك اشتد الأمر بعلى ولاحت على دولته لوايح الزوال، وكاد يموت من الغيظ والقهر، وقلد سبع صناجق والكل مزلقون* وسماهم أهل مصر السبع* بنات وهم مصطفى بك وحسن بك ومراد بك وحمزة بك ويحيى بك وخليل بك كوسة ومصطفى بك أوده باشه، وعمل لهم* يرقا وداقما* ولوازم وطبلخانات فى يومين، وضم إليهم عساكر وطوائف ومماليك وأتباعا، وبرز بنفسه إلى جهة البساتين وشرع فى تشهيل تجريدة أخرى، وأميرها على بك الطنطاوى وأخرج الجبخانات والمدافع الكثيرة وأمر بعمل متاريس من البحر إلى جهة الجبل وانقضت السنة.

* مذلقون: أى بدون لحى.
*أمراء على بك الكبير [السبع بنات]

* يرق: سلاح.
* داقم: جنود.

(وأما من مات فى هذه السنة من له ذكر)

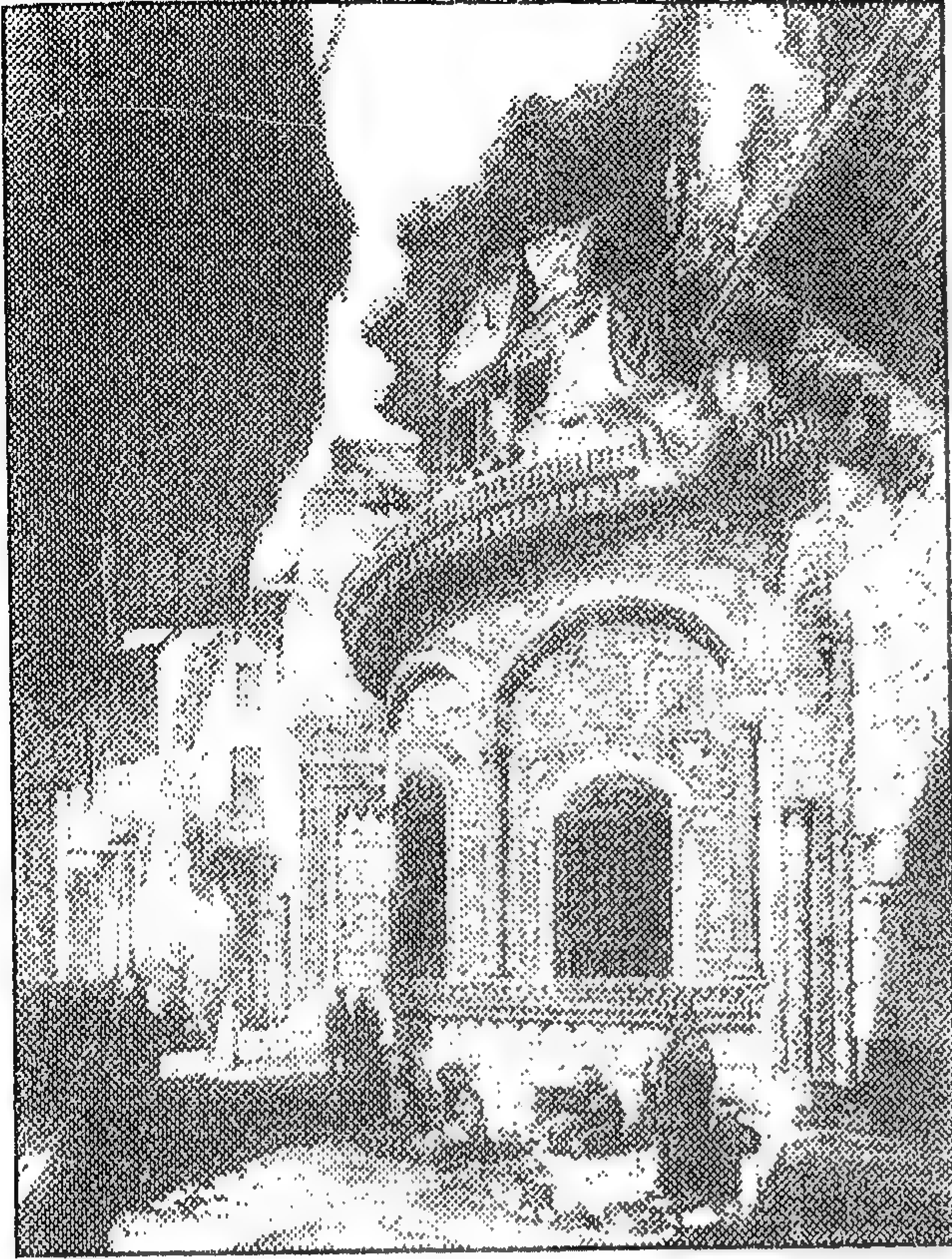
٣٣٥ على بن صالح الشاورى

(ومات) الإمام الفقيه الصالح الخير الشيخ/ على صالح بن موسى بن أحمد عمارة الشاورى المالكى مفتى فرشوط ، قرأ بالأزهر العلوم ولازمه العلامة الشيخ على العدوى وتفقه عليه، وسمع الحديث من الشيخ أحمد بن مصطفى

السكندرى وغيره ، ورجع إلى فرشوط، فولى افتاء المالكية بها، فسار فيها سيرا مقتصدا، ولما ورد عليه الشيخ ابن الطيب راجعا من الروم تلقى عنه شيئا من الكتب وأجازه، وكان لشيخ العرب همام بن يوسف فى حقه عناية (ص٨٧٥) شديدة وصحبة أكيدة، وكانت شفاعات العلماء مقبولة عنده، بعنايته، ولذلك راج أمره واشتهر ذكره وطار صيته وكان حسن المذاكرة والمحاورة محتشما فى نفسه، متجملا فى ملابسه وجيها معتبرا فى الأعين، وألف شيخنا السيد محمد مرتضى باسمه (نشق الغوالى من المرويات العوالى) وذلك أيام رحلته إلى فرشوط ونزوله عنده، ورفع من شأنه عند شيخ العرب وأكرمه إكراما كثيرا، ولما تغيرت أحوال الصعيد، قدم إلى مصر مع ابن مخدومه، ومازال بها حتى توجه إلى طندتا. كان يعتريه حصر البول فيجلس أياما وهو ملازم للفراش فزار وعاد. توفى يوم دخوله إلى بولاق نهار الثلاثاء ثالث عشر شعبان من السنة، وكان يوما مطيرا ذا رعد وبرق، فوصل خبره إلى الجامع الأزهر، فخرج إليه الشيخ على الصعيدى وكثير من العلماء ، وتخلف من تخلف لذلك العذر، فجهزوه هناك وكفنوه وأتوابه إلى الأزهر، وأردا الشيخ الصعيدى دفنه فى مدفن عبد الرحمن كتخدا، لصعوبة الذهاب به إلى القرافة، ثم دفنوه بالمجاورين بجانب تربة الشيخ الصعيدى التى دفن فيها.

٣٣٦ على بن عبد الرحمن العدوى

[ومات] الفقيه الفاضل العلامة الشيخ/ على بن عبد الرحمن بن سليمان بن عيسى بن سليمان الخطيب الجديمى العدوى المالكى الأزهرى الشهير بالخرايطى، ولد فى



سبيل عام بالقاهرة
((سبيل البادوية))

أول القرن وقدم الجامع الأزهر، فحضر دروس جماعة من فضلاء العصر ولازم بلديه الشيخ علي الصعيدى ملازمة كلية، ودرس بالأزهر ونفع الطلبة، وكان إنسانا حسنا (ص٨٧٦) منور الشيبة ذا خلق حسن وتودد وبشاشة ومروة كاملة، وكان له ميل تام فى علم الحديث ويتأسف على فوات اشتغاله به، ويحب كلام السلف ويتأمل فى معانيه مع سلامة الاعتقاد وكثرة الإخلاص. توفى عشية يوم الأربعاء ثانى المحرم افتتاح سنة خمس وثمانين وماية وألف.

٣٣٧ محمد بن اسماعيل النفراوى.

[ومات] الإمام العلامة الفاضل المحقق الدراك المتفنن الشيخ / محمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن خضر النفـروای المالكى، كان والده من أهل العلم والصلاح والزهد عن جانب عظيم، وعمر كثيرا حتى جاوز الماية

وانحنى ظهره، وتوفى سنة ثمان وسبعين وماية وألف، ربى المترجم فى حجر أبيه وحفظ القرآن والمتون وحضر دروس الشيخ سالم النفراوى والشيخ خليل المالكى وغيرهما، وتفقه وحضر المعقول على كثير من الفضلاء ومهر وأنجب ودرس، وكان جيد الحافظة قوى الفهم والغوص على عويصات المسايل ودقايق العلوم، مستحضرا للمسايل الفقهية والعقلية، ولما بلغ المنتهى فى العلوم المشهورة تاقت نفسه للعلوم الحكمية والرياضية، فأحضره والده للشيخ الوالد سنة إحدى وسبعين وماية وألف، والتمس منه مطالعته عليه فأجابه إلى ذلك ورحب به، وكان عمره إذ ذاك نيفا وعشرين سنة، ولما رأى ما فيه من الذكا والنجابة والقوة الاستعدادية والجد فى الطلب، اغتبط به كثيرا وصرف إليه همته وأقبل عليه بكليته وأعطاه مفتاح خزانة بالمنزل يضع فيها كتبه ومتاعه، واشترى له حمارا ورتب له (ص٨٧٧) مصروفا وكسوة ولازمه ليلا ونهارا، حتى اشتهر بنسبته إليه، فكان يرسله فى مهماته وأسراره إلى أكابر مصر وأعيانها مثل على بك وعبد الرحمن كتخدا وغيرهما، فيحسن الخطاب والجواب مع الحشمة وحسن المخاطبة، مع معرفتهم بفضله وعلمه وكانوا يكرمونه، ومدحهم بقصايد لم أعثر على شيء منها للإهمال وطول العهد، فكان لا يذهب إلى داره إلا فى النادر ثم يعود فى الضحوة الكبرى فيقيم إلى بعد العصر فيذهب إلى الجامع فيقرأ درسا فى المعقول ثم يعود وهكذا كان دأبه إلى أن مات! وتلقى عنه فن الميقات والهيئة والهندسة وهداية الحكمة وشرحها لقاضى زاده والجغميني، والمبادى والغايات والمقاصد فى أقل زمن مع التحقيق. وحضر عليه المطول والمواقف، والزيلعى فى الفقه

برواق الجبرت بالأزهر وغير ذلك. كل ذلك بقراءته، وعانى علم الأوفاق وتلقاه عن الشيخ المرحوم حتى أدرك أسراره وأقبلت عليه روحانيته وأجازه الملوى والجوهرى والحفنى والعفيفى وغيرهم، ولما نفى على بك إلى النوسات، أرسل إلى الشيخ [الوالد] فطلب منه أشياء يرسلها إليه مع المترجم، فأرسله إليه وأقام عنده أياما ورجع من غير أن يعلم أحد بذهابه ورجوعه، وكان يكتب الخط الجيد، وجوده على الشيخ أحمد المعروف بأبى العز، وكتب بخطه كثيرا، وألف حاشية على شرح العصام على السمرقندية وأجوبة عن الأسئلة الخمسة التى أوردها (ص٨٧٨)الشيخ أحمد الدمنهورى على علماء العصر وأعطاها إلى على بيك وقال له أعطها للعلما الذين يترددون عليك يجيبونى عنها إن كانوا يزعمون أنهم علما، فأعطاها على بك للشيخ الوالد وأخبره بمقالة الشيخ الدمنهورى، فقال له هذه وإن كانت من عويصات المسائل يجيب عنها ولدنا الشيخ محمد النفراوى» والخمسة الأسئلة المذكورة؟ الأولى فى إبطال الجزء الذى لا يتجزأ ، الثانى فى قول «ابن سينا» ذات الله نفس الوجود المطلق ما معناه، الثالث فى قول أبى منصور «الماتريدى» معرفة الله واجبة بالعقل مع أن المجهول من كل وجه يستحيل طلبه، الرابع فى قول «البرجلى» إن من مات من المسلمين لسنا نتحقق موته على الأسلام، الخامس فى الاستثناء فى الكلمة المشرفة هل هو متصل أو منفصل، فأجاب عنها بأجوبة منطوية على مطارح الإنظار دلت على رسوخه وسعة اطلاعه وغوصه ومعرفته بدقايق كلام أذكيا الحكماء والمتكلمين وفضلاء الأشعرية والماتريدية، وعانى الرسم فرسم عدة بسايط ومنحرفات وحسب كثيرا من

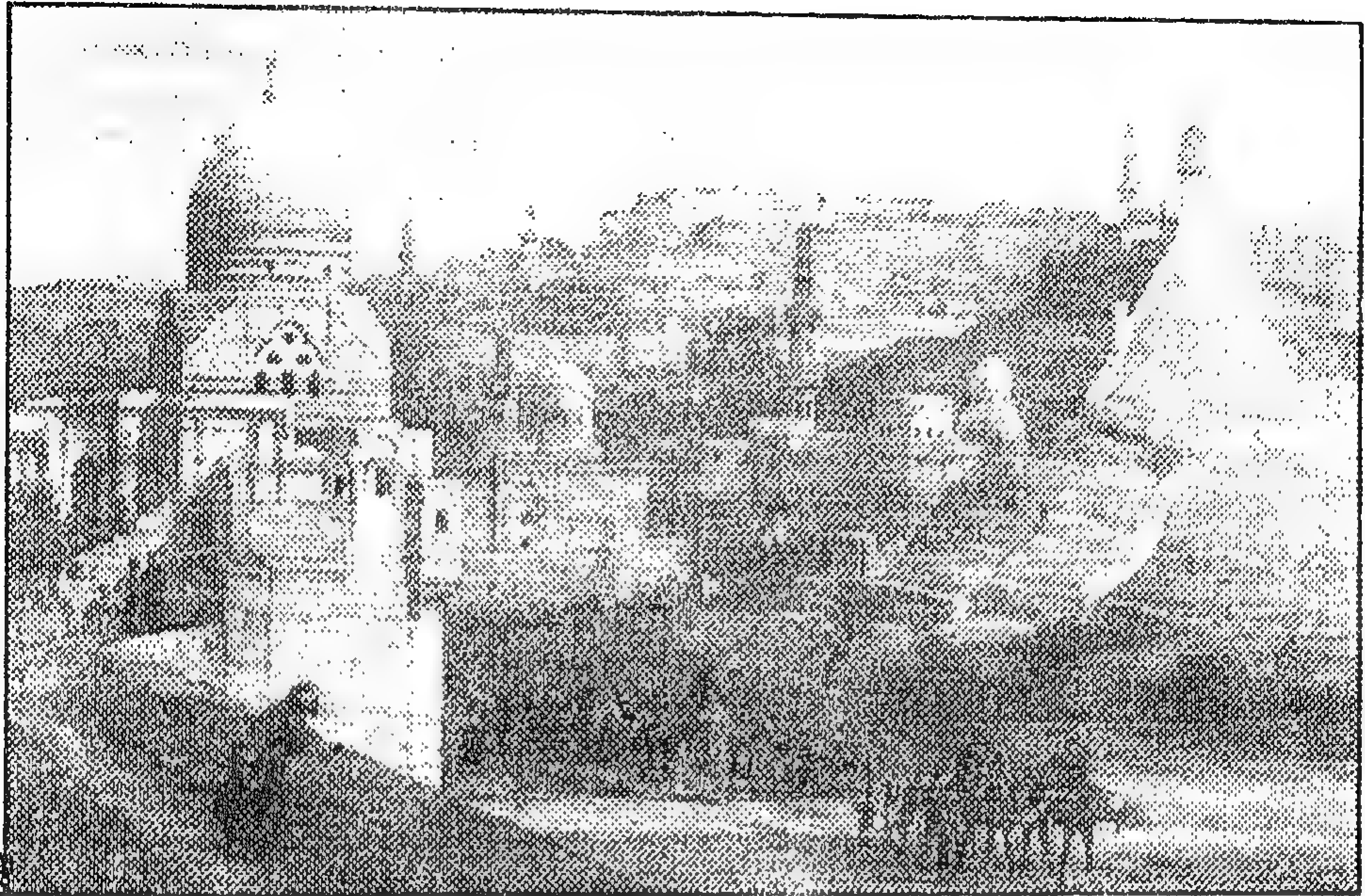
الأصول والدساتير، وتصدى لتعليم الطلبة الذين كانوا يردون من الآفاق لطلب العلوم الغريبة، وكتب شرحا على متن نور الإيضاح فى الفقه الحنفى باسم الأمير عبد الرحمن كتخدا، وله رسالة سماها (الطراز المذهب فى بيان معنى المذهب وهى عبارة عن سؤال ورد من ثغر سكندرية نظما، وكان له سليقة جيدة فى النثر والنظم، ولما ورد إلى مصر محمد أفندى سعيد قاضيا فى سنة إحدى وثمانين ومائة وألف (ص٨٧٩) امتدحه بقصيدة بليغة لم أعثر عليها، ومن نظمه ماكتب على باب ضريح السيدة نفيسة بالذهب على الرخام.

عرش الحقايق مهبط الأسرار
قبر النفيسة بنت ذى الأنوار
حسن بن زيد الحسن ابن الإما
م على ابن عم المصطفى المختار

وذلك حين جدد بناه الأمير عبد الرحمن كتخدا ومنه ما كتب على باب القبة:

عبد الرحمن لعفو قد ترجى
قد بناها روضة للزائرين
فلذا أرختها ياراديها
أدخلوها بسلام آمنين

وله غير ذلك كثير لم يحضرنى منه إلا هذان البيتان لكونى حفظتهما وأنا صغير أيام العمارة المذكورة، وكان به حدة طبيعة وهى التى كانت سببا لموته، وهو أنه حصل بينه وبين الشيخ سليمان البجيرمى منافسة فشكاه إلى الشيخ الدمنهورى وهو إذ ذاك شيخ الجامع، فأرسل إليه فلما حضر عنده فى مجلسه بالأزهر ، فتحامل عليه فقام، من عنده وقد أثر فيه القهر ، ومرض أياما وتوفى فى شهر جمادى الثانية من



السنة، واغتم عليه الشيخ المرحوم غما شديدا، وتأثر لفراقه وحزن لموته وتوعك أياما بسبب ذلك، ومن مآثره هذه الصيغة : اللهم صل على مظهر الجمال، ومنبع الكمال، مهبط الوحى، ومصدر الأمر والنهى، وعلى آله وصحبه وسلم) (ص٨٨٠) وتذكرت له هذين البيتين أيضا:

بالعز سيروا وبالسلامه
فالسعد أضحى لكم علامه
واللطف حصن مع الكرامه
لكم دواما إلى القيامه

٣٣٨ ابراهيم عبد الله الشرقاوى.

[ومات] الإمام الفقيه العلامة المفتى الشيخ/ ابراهيم ابن الشيخ عبد الله الشرقاوى الشافعى تفقه على علماء عصره وحضر دروس الأشياخ المتقدمين كالملوى والحفنى والبراوى والشيخ أحمد رزه والشيخ عطية الأجهورى، وأنجب فى

الأصول والفروع الفقهية، وتصدر ودرس وانقطع للإفادة والإفتاء والقضاء بين المتخاصمين من أهل القرى وأكثرهم من أهل بلاده، وكان لا يفارق محل درسه بالأزهر من الشروق إلى الغروب، وانفرد بالافتاء مدة طويلة على مذهبه، وقلما يرى فتوى وليس عليها جوابه، ولم يزل هذا دأبه حتى تعلل أياما وتوفى ثالث ربيع الثانى من السنة.

٣٣٩ على بن محمد الجزايرلى ابن الترجمان صاحب عرضحال استغاثة ابو مدين الغوث فى صف الجهاد. مات مأسورا فى الموسكو.

[ومات] أحد أذكيا العصر ونجباء الدهر من جمع متفرقات الفضايل وحاز أنواع الفواضل، الصالح الرحلة الشيخ/ على بن محمد الجزايرلى المعروف بابن الترجمان، ولد بالجزاير سنة ثلاثين ومایة وألف. وكان ينتمى إلى الأشراف، وزاحم العلماء بمناكبه فى تحصيل أنواع العلوم، وأجازه الشيخ سيدى محمد المنور التلمسانى رحمه الله، ودخل الروم مرارا، وحظى بأرباب الدولة وأتى إلى مصر وابتنى بها دارا حسنة قرب الأزهر، وكان يخبر عن نفسه أنه لا يستغنى عن الجماع فى كل يوم (ص٨٨١)، فلذلك ما كان يخلو عن إمرأة واثنتين حتى فى أسفاره، ولما ورد الأمير أحمد أغا أمينا على دار الضرب بمصر المحروسة الذى صار فيما بعد باشا، كان مختصا بصحبته لا يفارقه ليلا ولا نهارا،وله عليه إغداقات جميلة ، وهو حسن العشرة يعرف فى لسانهم قليلا، وبآخرة توجه إلى دار السلطنة وكانت إذ ذاك حركة السفر إلى الجهاد وكتب عرضحالا إلى السلطان مصطفى صورته «إن من قرأ استغاثة أبى مدين الغوث فى صف الجهاد حصلت النصر» وقدمه إلى السلطان ، فاستحسن أن يكون صاحب هذا العرض هو الذى يتوجه بنفسه يقرأ هذه الاستغاثة تبركا، ففاجأه الامر من حيث لا يحتسب وأخذ

فى الحال وكتب مع المجاهدين وتوجه رغما عن أنفه ووصل إلى معسكر المسلمين، وصار يقرأ فقدر الله الهزيمة على المسلمين لسوء تدبير أمرا العسكر، فأسر مع من أسر، وذهب به إلى بلاد موسقو وبقى أسيرا مدة، ولم يغثه أحد بخلاصة منهم، لاشتغال الناس بما هو أهم حتى توفى هناك شهيدا غريبا فى هذه السنة رحمه الله.

٣٤٠ على الفيومى.

(ومات) الشيخ الصالح العلامة/ على الفيومى المالكى شيخ رواق أهل بلاده ؛ حضر دروس الشيخ ابراهيم الفيومى وشيخنا الشيخ على الصعيدى ودرس برواقهم وكان سريع الإدراك متين الفهم له فى علم الكلام باع طويل، وتزوج ابنة الشيخ أحمد الحماقى الحنفى، وتوفى ثانى شهر رمضان من السنة ودفن بالمجاورين.

٣٤١ على الشيبينى.

(ومات) الشيخ الفاضل الصالح/ على الشيبينى الشافعى نزيل جرجا، قرأ على جماعة من مشايخ عصره وتكمل فى العربية والفقه، وتوجه إلى الصعيد فخالط أولاد همام من الهوارة فى بيج القرمون، فأحُبوه وسكن عندهم مدة ثم سكن جرجا (ص٨٨٢) وكان يتردد أحيانا إلى مصر وكان كثير الاجتماع بصهرنا على أفندى درويش المكتب، وكان يحكى لى عنه أشياء كثيرة من مآثره من الصلاح والعلم وحسن المعاشرة ومعرفة التجويد ووجوه القراءات، فلما تغيرت أحوال الصعيد أتى المترجم إلى مصر وكان حسن المذاكرة والمرافقة مع مداومة الذكر وتلاوة القرآن غالبا، توفى تاسع عشر رمضان فى بيت بعض أحبابه بعلة البطن، وصلى عليه الشيخ أحمد بن محمد الراشدى ودفن

بالمجاورين

[ومات] العمدة الفاضل اللغوى الماهر المنشىء الأديب الشيخ/ عبد الله بن منصور التلبانى الشافعى المعروف بكاتب المقاطعة ، وهو ابن أخت الشيخ المعمر أحمد بن شعبان الزعبلى، ولد سنة ثمان وتسعين وألف تقريبا وأدرك الطبقة الأولى من الشيوخ كالعزيزى والعشماوى والنفراوى، وكانت له معرفة تامة بعلم اللغة والقراءة، واقتنى كتبا نفيسة فى ساير الفنون كان سموحا بإعارتها لأهلها، وكان يعرف مظنات المسايل فى الكتب، وكان الأشياخ يجلونه ويعرفون مقامه، ولما دخل الشيخ ابن الطيب أحبه واغتبط به وبصحبته، وحصل حاشيته على القاموس فى مجلدين حافلين استكتابا، وقرظ على شرح البديعية لعلى بن تاج الدين القلعى ذكر فيه من نوع وسع الاطلاع له. ٣٤٢ عبد الله بن منصور التلبانى.

سعاد دعتنى يوم مرت تواصلا

الا أيها الحادون نيخوا المطا بنا

وكتب على المقامة التصحيفية للشيخ عبد الادكاوى وقد أهدى إليه نسخة منها ما نصه:

[عبد الله. عند الله. وجيه. وحيه. مجتم. مخيم. (ص٨٨٣). بقلوبنا . تعلو بنا. سماته. سما به. عمله. عماله. التواب. الثواب. ولا حرمنا. ولاء حرمنا. الابهج. الانهج. مهدى. مهذب. نواله. نوّاله. ماالهم. مألهم. دونه. دوّنه. بقالب. تعالى. نبية. بنية. فاحلا لنا. اخلالنا. لحبر. حبّر. بفصاحة. قضاحبه. وخير. جبر. احبابنا. احيابنا. ثره. بره. ومثال محب. من المحب. من . من . السلام. السلام]*

واتفق أن بعض المعترضين فى مجلسه قد وضع من هذا

* النص السابق موجودا فى مخطوط جامعة القاهر وغير موجود بكافة الطبعات السابقة لتاريخ الجبرتى.

الوضع.

فرد عليه المترجم وانتصر لصاحب المقامة فلما بلغ ذلك كتب إليه يشكره.

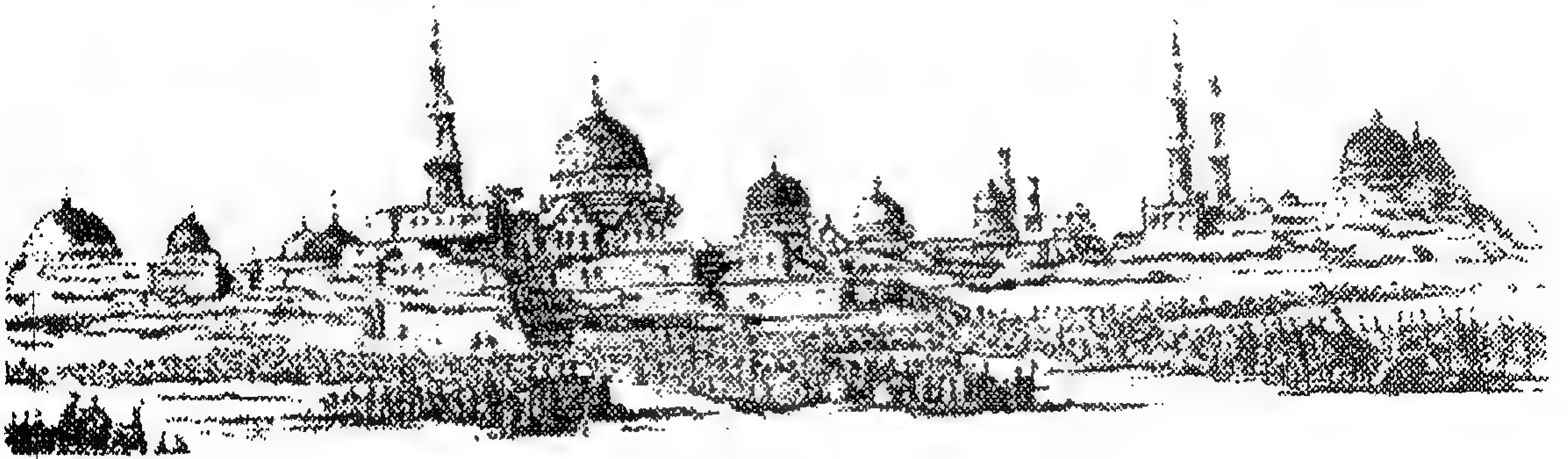
[عبد الله. عند الله. اوجه . اوّجه.لجمته. لحّ هتّه. نخبة. تحية. ندية. ندّيه. ينبيه. ببينة. ثابتات. بائيات. حبى. حيث. نصرنى. نصيرين. بنيثر ينيّر. بينر. سيّر. ذكى. دلت. معاينه. معانيه. علىء. علىّ. رتبة. زينته. حلة. خلة. ودفانى. ودقانى. عيب. عى. غبى يعيب. يعين. حاسد. حاشد. قوله. فوله . ودعه. ودغه. فاتهما. فأتهما. حسن. جنس. المعنى. المعين. بفصاحته. تفض ايحه. بقيت. تفتى. بحق. يحف. بتحف. تتحف. بها نهاء. محب. محب. اذاه. اداة. ادبك. اذيك. آسى. أسى . قلبه. اراحه. ازاحه. فصل . فضل . سيده. شيده. البصير.النصير]*

* هذا النص موجود فى مخطوط جامعة القاهرة وغير موجود بكافة الطبعات السابقة الصادرة عن كتاب الجبرتى.

ولم يزل حتى فاجأته المنون فى ثالث عشرين شعبان من السنة وصلى عليه بالجامع الأزهر ودفن شرقى مقام سيدى عبد لله المنوفى بالمجاورين رحمه الله.

٣٤٣ ابراهيم أفندى الهياتم

ومات الأمير الجليل ابراهيم أفندى الهياتم جمليان مطعونا فى نهار الأربع ثالث عشرين المحرم من السنة.



«سنة ست وثمانين ومائة وألف»[١٧٧٢م]

فيها فى المحرم خرج على بك إلى جهة البساتين كما تقدم فى أواخر العام الماضى وعمل متاريس ونصب عليها المدافع من البحر إلى الجبل واجتهد فى تشهيل تجريدة وأميرها على بك الطنطاوى وصحبته باقى الأمراء الذين قلدهم والعسكر فعدوا فى منتصفه لمحاربة محمد بك أبى الذهب واسماعيل بك ومن معهما وكانوا سايرين يريدون مصر فتلاقوا معهم عند بياضه [قرب المعادى] ووقعت بينهم معركة قوية ظهر فيها فضل القاسمية وخصوصا أتباع صالح بك وعلى أغا المعمار، ووقعت الهزيمة على عسكر على بك وساق خلفهم القبالى مسافة فمانعوا عن أنفسهم وعدوا على دير الطين،، وكان على بك مقيما به، فلما حصل ما حصل اشتد القهر بالمذكور وتحير فى أمره وأظهر التجلد وأمر بالاستعداد وترتيب المدافع وأقام إلى آخر النهار، وتفرق عنه غالب عساكره من المغاربة وغيرهم، وحضر محمد بك إلى البر المقابل لعلى بك ونصب صيوانه وخيامه تجاهه، فتفكر على بك فى أمره وركب عند الغروب وسار إلى جهة مصر ودخل من باب القرافة وطلع إلى باب العزب فأقام به حصة من الليل، وأشيع بالمدينة (ص٨٨٥) أن مراده المحاصرة بالقلعة ثم إنه ركب إلى داره وحمل حموله وأمواله وخرج من مصر وذهب إلى جهة الشام وذلك ليلة الخامس والعشرين من شهر المحرم وصحبته على بك الطنطاوى وباقى صناجقه ومماليكه وأتباعه وطوايفه، فلما أصبح يوم الخميس سادس عشرينه عدى محمد بك إلى بر مصر وأقدوا النار فى ذلك اليوم فى الدير بعد ما نهبوه،

* هروب على بك الكبير إلى الشام واستيلاء محمد بك ابو الذهب على القاهرة.

١١٨٦هـ.
١٤٨٨ق.
١٧٧٢م.
غاية الفيضان ١٦ قيراط ١٩ ذراع

□ فى أواخر القعدة سنة ١١٨٥ كان قيام تجريدة من مصر تحت إمرة اسماعيل بك الذى انضم بمن معه إلى أبى الذهب عندما تقابل معه. وفى محرم سنة ١١٨٦ عسكر على بك الطنطاوى بتجريدة كبيرة جهة البساتين ليصد محمد بك أبى الذهب ومن معه فحصلت بينهم مقتلة عظيمة عند البياضة انهزم فيها على بك وجماعته وآل الأمر الى ان على بك رجع القهقرى ودخل من باب القرافة الى منزله، وبعد ان اخذ امواله خرج وذهب الى الشام وصحبته على بك الطنطاوى، وكان ذلك فى ليلة الخميس السابع والعشرين من محرم. وفى يوم الخميس اوقدوا النار فى الدير [دير الطين] عند دار السلام بعد ان نهبوه، وتملك ابو الذهب مصر واستحضر عبداله كتخدا وقطع رأسه، ونادى بابطال المعاملة التى ضربها على بك وهى قروش مفرد ومجوز وقطع صغار تصرف بعشر انصاف وخمسة انصاف ونصف القرش واكثرها نحاس وعليها علامة على بك.

□ ١ توت ١٤٨٩ = ٩ سبتمبر ١٧٧٢ = الاربع ١١ رجب ١١٨٦.

□ ١ يناير ١٧٧٣ = ٢٥ كيهك ١٤٨٩ = الجمعة ٧ شوال سنة ١١٨٦.

ودخل محمد بك إلى مصر وصار أميرها ونادى أصحاب الشرطة على أتباعه [اى اتباع على بك] بأن لا أحد يؤويهم ولا يتاويهم. فكانت مدة غيبته سبعين يوما، وأرسل عبد الرحمن أغا مستحفظان إلى عبد الله كتخدا الباشا فذهب إليه بداره وقبض عليه وقطع رأسه ونادى بإبطال المعاملة التى ضربها المذكور بيد رزق النصرانى، وهى قروش مفرد ومجوز، وقطع صغار تصرف بعشرة أنصاف قرش، وكان أكثر ما نحاسا وعليها علامة على بك..

(وأما من مات فى هذه السنة من العظماء)

٣٤٤ على بن موسى(ابن النقيب) نقيب أشراف بيت المقدس.

[فمات] السيد الإمام العلامة الفقيه المحدث الفهامة الحسيب النسيب السيد على بن موسى بن مصطفى بن محمد ابن شمس الدين بن محب الدين ابن كريم الدين بن بهاء الدين داود بن سليمان بن شمس الدين بن بهاء الدين داود الكبير بن عبد الحافظ ابن أبى الوفا محمد البدرى ابن أبى الحسن على ابن شهاب الدين أحمد بن بهاء الدين داود بن عبد الحافظ بن محمد بن بدر ساكن وادى النسور ابن يوسف بن بدران بن يعقوب بن مطربن زكى الدين سالم (ص٨٨٦) بن [محمد بن محمد بن زيد بن] حسن بن السيد عريض المرتضى الأكبر ابن الإمام ززيد الشهيدبن الامام على زين العابدين ابن السيد الشهيد الامام الحسين ابن الامام على بن أبى طالب الحسينى المقدسى الأزهرى المصرى ويعرف بابن النقيب، لأن جدوده تولو النقابة ببيت المقدس، ولد تقريبا سنة خمس وعشرين ومائة وألف ببيت المقدس وبها نشأ وقرأ القرآن

على الشيخ مصطفى الأعرج المصرى والشيخ موسى كبيبة على عود ومحمد بن نسيبة الفضلى المكى، وأخذ العلم عن عم أمه صاحب الكرامات حسين العلمى نزيل مدينة اللد* وأبى بكر بن أحمد العلمى مفتى القدس والشيخ عبد المعطى الخليلى، ووصل إلى الشام فحضر دروس الشيخ أحمد المتينى والشيخ اسماعيل العجلونى والشيخ عبد الغنى النابلسى واجتمع على الشيخ صالح البشيرى الآخذ عن الخضر عليه السلام وعامر بن نعيم وأحمد القطنانى ومصطفى بن عمرو الدمشقى، وكان من الأبدال* وأحمد النحلاوى وكان من أرباب الكشف ومحمد بن عميرة الدمشقى وعمران الدمشقى وزيد اليعبداوى وخلفه بن على اليعبداوى ورضوان الزاوى وأحمد الصفدى المجذوب والشيخ مصطفى بن سوار، ودخل حماه فأخذ عن القطب السيد ياسين القادرى، وحلب فأخذ بها عن أحمد البنى وعبد الرحمن السمان، كلاهما من تلاميذ الشيخ أحمد الكتبى وعن الشيخ محمد بن هلال الرامهدانى والشيخ عبد الكريم الشرباتى، وعاد إلى بيت المقدس فاجتمع بالشيخ عبد الغنى النابلسى أيضا وبالسيد (ص٨٨٧) مصطفى البكرى بحلب حين كان راجعا من بغداد ، فأخذ عنه الطريقة ورغبه فى مصر فوردها، وحضر على الشمسى السجينى ومصطفى العزيزى والسيد على الضرير الحنفى وأحمد مصطفى الصباغ والشهابين الملكى والجوهرى والشمس الحفنى وأحمد العماوى وشيخ المذهب سليمان المنصورى، وأجازه سيدى يوسف بن ناصر الدرعى وأحمد العربى* وأحمد بن عبد اللطيف زروق وسيد محمد العياشى الأطروش والشيخ ابن الطيب، ورأس فى المذهب

* اللد: بشمال فلسطين

* الأبدال : فى لغة شالمتصوفة هم قوم من الصالحين لا تخلو منهم الدنيا إذا مات واحد منهم أبدل الله تعالى مكانه بآخر، مفرده بديل.

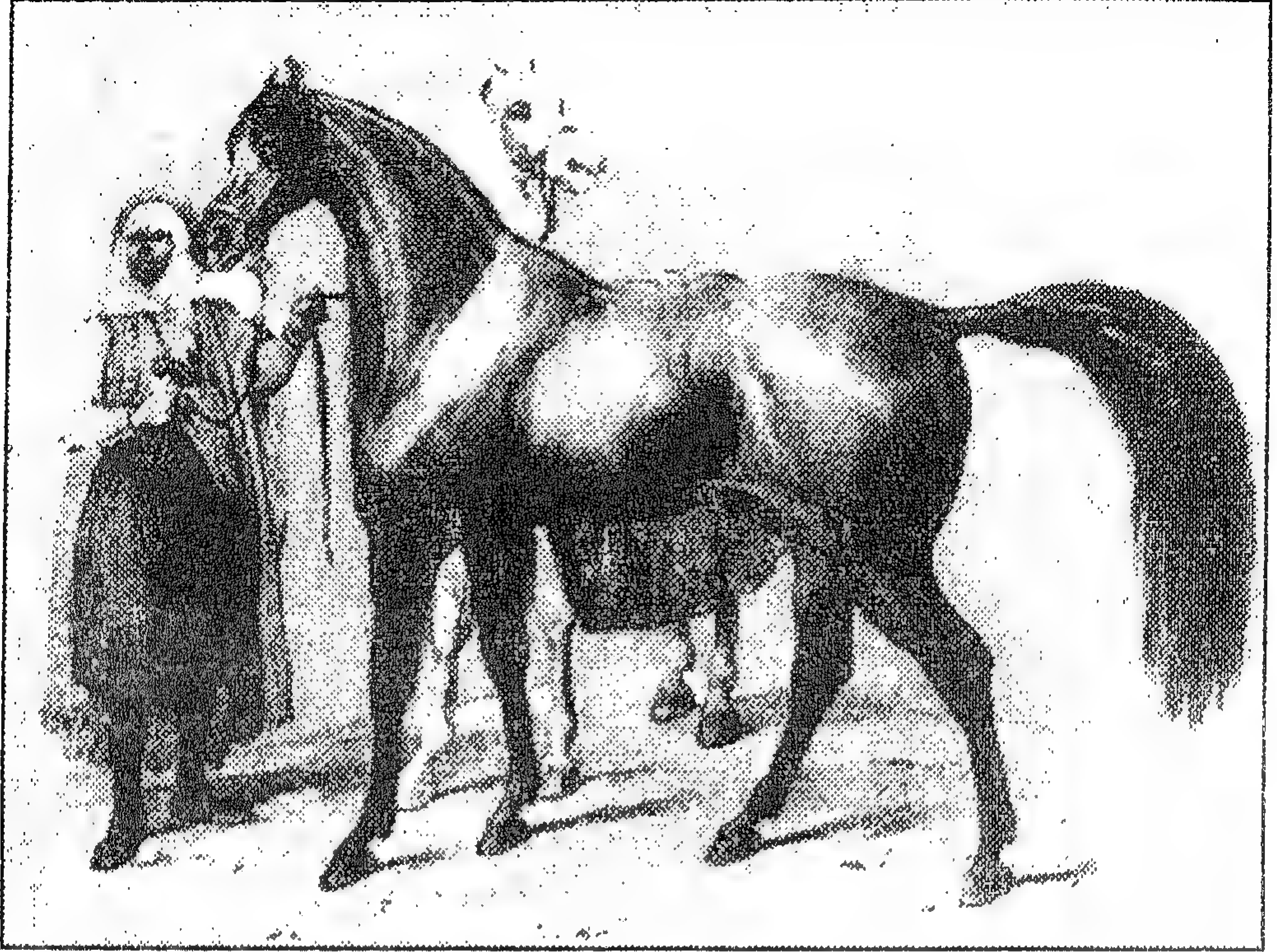
* من الملاحظ ان المغاربة ذوى الاصول البربرية غالبا ما يتلقبون بلقب «العربى».



الفارس المصرى على النسج القباطى

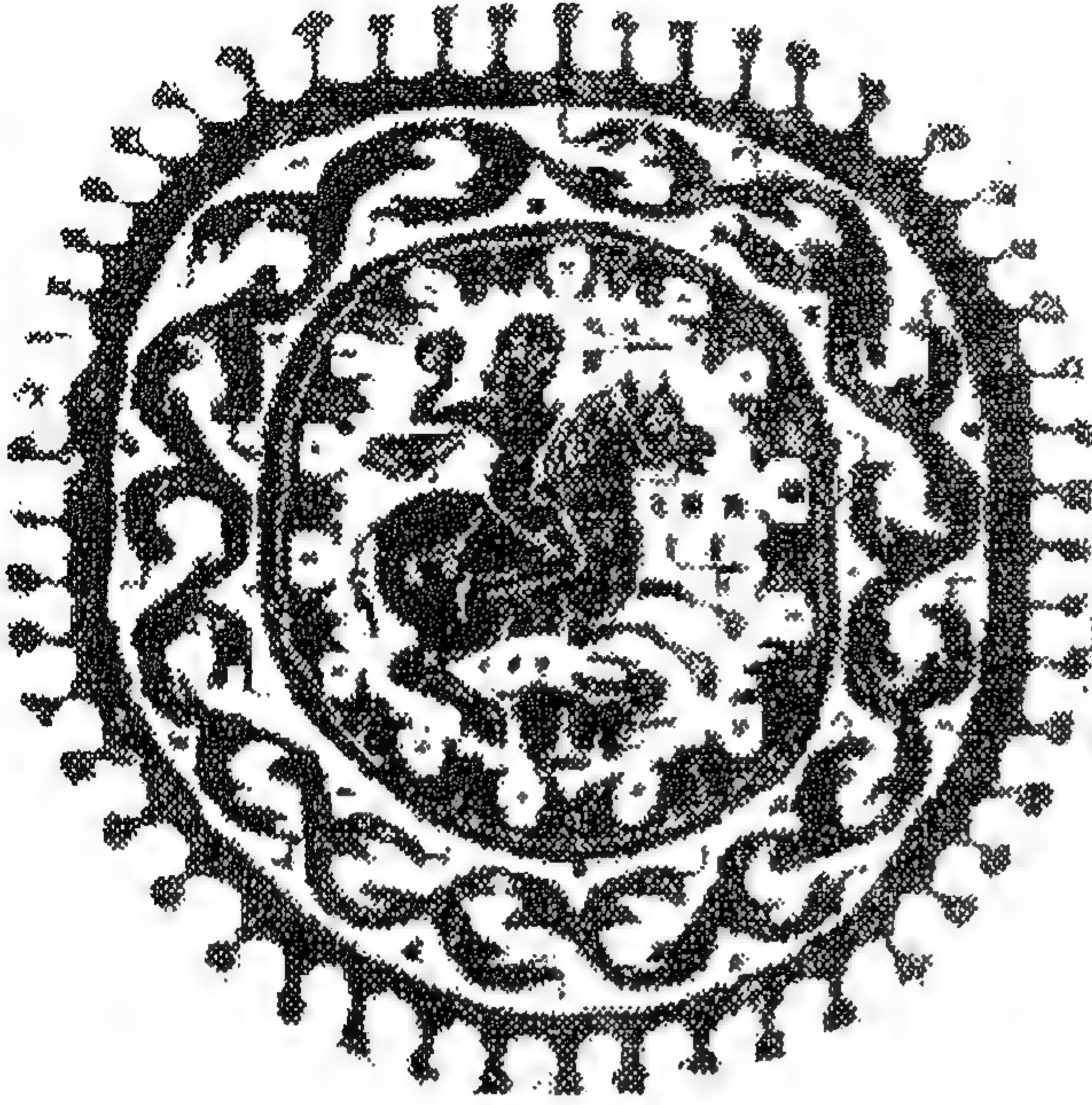
وتمهر فى الفنون ودرس بالمشهد الحسينى فى التفسير والفقه والحديث واشتهر أمره وطار صيته، وكان فقيها فى المذهب بارعا فى معرفة فنونه عارفا بأصوله وفروعه، يستنبط الأحكام بجودة ذهنه وحسن حافظته، ويكتب على الفتاوى برايق لفظه، وكانت له فى النثر طريقة غريبة لا يتكلف فى الأسجاع، وإذا سئل عن مسئلة كتب عليها الجواب أحسن من الروض جاد به الغمام، وأغزر من الوبل ساعده نوء النعام، ويكتب فى الترسل على سجية بادرة، وفكرة على السرعة صادرة ، وكان ذا جود وسخاء وكرم ومروة ووفاء، لا يدخل فى يده شى من متاع الدنيا إلا وبذله لسائليه وأغدق به على معتفيه(*). وكان منزله الذى قرب المشهد الحسينى موردا للآملين، ومحطا لرحال الوافدين، مع رغبته فى الخيل المنسوبة وحسن معرفته لأنسابها وعزوه لأربابها،

*معتفيه : يقال اعتفاه إذا أتاه يطلب معروفه.



وكان اصطبله دائما لا يخلو من اثنين أو ثلاثة يركب عليها ويضمرها(*) ويعتنى بأحوالها ويرغب فى شرائها لمعرفته بالفروسية (ص٨٨٨) ورمى السهام واستعمال السلاح واللعب بالرماح وغير ذلك، ولما ضاق عليه منزله لكثرة الوفاد عليه ولكثرة ميله إلى ربط الخيول انتقل إلى منزل واسع بالحسينية فى طرف البلد، بناء على أن الأطراف مساكن الأشراف، فسكنه وعمر فيه وفى الزاوية التى قرب بيته، وصرف عليها مالا كثيرا، وفى سنة سبع وسبعين ومائة وألف استخار الله تعالى فى التوجيه إلى دار السلطنة لأمور أوجبت رحلته إليها، منها أنه ركبت عليه الديون وكثر مطالبوها وضاق صدره من عدم مساعدة الوقت له، وكان إذ ذاك محل تدريسه بالمشهد الحسينى، وعزم عبد الرحمن كتخدا على هدمه وإنشائه على هذه الصورة ، ورأى أن هذه

*يضمرها: يعدها للسباق وذلك بأن يعلفها بسخاء حتى تسمن، ثم يعود بها إلى العلف العادى حتى تضمر وتخف.



الفارس المصرى على النسيج القباطى.

البطالة تستمر أشهرا فوجد فرصة وتوجه إليها وقرأ دروسا في الحديث فى عدة جوامع واشتهر هناك بالمحدث وأقبلت عليه الناس أفواجا للتلقى وأحبت الأمراء وأرباب الدولة وصارت له هناك وجاهة إلا أنه كان فى درسه ينتقل تارة إلى الرد العنيف على أرباب الأموال والأكابر وملوك الزمان، وينسبهم إلى الجور والعدوان، وانحرافهم عن الحق، فوشى به الحاسدون فبرز الأمر بخروجه من البلد وكان قد تزوج هناك فعاد إلى مصر، فلما وصل إلى بولاق ذهب إليه جماعة من الفضلاء واستقبلوه واستقر فى منزله وعاد إلى دروسه فى المشهد، وذلك سنة ثلاث وثمانين ومماية وألف، ولم يترك عادته المألوفة من إكرام الضيوف، وبذل المعروف، وكان لا يصبر على الجماع وعنده ثلاث نسوة شامية ومصرية ورومية، وإذا خرج إلى الخلاء أو بعض المتنزهات أخذ



الفارس المصرى على النسج القباطى.

صحبته من يريدها منهم (ص٨٨٩) ونصب لها خيمة وآلة الاغتسال مدة إقامته يوما أو يومين أو أكثر ، واتفق له فى آخر أمره أنه ذهب عند محمد بك أبى الدهب وكان فى ضائقه فحادثه الأمير على سبيل المباسطة وقال له «كيف رأيت أهل اسلامبول» فقال لم يبق باسلامبول ولا بمصر خير ولا يكرمون إلا شرار الخلق وأما أهل العلم فإنهم يموتون جوعا، ففهم الأمير تعريضه وأمر له بماية ألف نصف فضة من الضربخانة فقضى منها بعض ديونه وأنفق باقيها على الفقراء، وعاش بعدها أربعين يوما وتعلل بخراج أياما وأحضروا له رجلا يهوديا ففصده بمشتر [مشرط] قيل أنه مسموم فكان سببا لموته، وتوفى عصر يوم الأحد سادس شهر شعبان من السنة، وجهز فى صبح يوم الاثنين وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل ودفن بمقبرة باب النصر على

أكمة هناك، ولما مات أحضر له الناس من الأعيان عدة أكفان وكل منهم يريد أن لا يوضع إلا فى كفنه فأخذ من كل كفن قطعة وكفنوه فى مجموع ذلك جبرا لخواطرهم ، وأعطى الأمير محمد بك لأخيه مولانا السيد بدر الدين، عندما أخبره بموته خمسماية ريال لتجهيزه ولوازمه، وجلس مكانه فى الدار أخوه السيد بدر المذكور، وتصدر مكانه لإملاء درس الحديث النبوى بمسجد المشهد الحسينى وأقبلت عليه الناس والأعيان، ومشى على قدم أخيه وسار سيرا حسنا وجرى على نسقه وطبيعته فى مكارم الأخلاق وإطعام الطعام وإكرام الضيفان والتردد إلى الأعيان والأمراء والسعى فى حوايج الناس والتصدى لأهل حارته وخطته فى دعاويهم وفصل خصوماتهم وصلحهم والذب عنهم ومدافعة المتعدى عليهم ولو من الأمراء (ص٨٩٠) والحكام فى شكاويهم وتشاجرهم وقضاياهم حتى صار مرجعا وملجأ لهم فى أمورهم ومقاصدهم، وصار له وجاهة ومنزلة فى قلوبهم ويخشون جانبه وصولته عليهم، ثم إنه هدم الزاوية وما بجانبها وأنشأها مسجدا نفيسا لطيفا وعمل به منبرا وخطبة ورتب به إماما وخطيبا وخادما، وجعل بجانبه ميضأة ومصلى لطيفة يسلك إليهما من باب مستقل وبها كراسى راحة، وأنشأ بجانب المسجد دار نفيسة وانتقل إليها بعياله وترك الدار التى كانت سكنه مع أخيه لأنها كانت بالأجرة، وبنى لأخيه ضريحا بداخل ذلك المسجد ونقله إليه وذلك سنة خمس ومايتين وألف، فلما كانت الحوادث فى سنة ثلاث عشرة ومايتين وألف واستيلاء الفرنسيين على الديار المصرية وقيام سكان الجهة الشرقية من أهل البلد وهى القومة الأولى التى قتل فيها دبوى قايمقام تحركت فى السيد

بدر الدين المذكور الحمية وجمع جموعه من أهل الحسينية والجهات البرانى وانتبذ لمحاربة الإفرنج ومقاتلهم وبذل جهده فى ذلك، فما ظهر الإفرنج على المسلمين لم يسع المذكور الإقامة وخرج فارا إلى جهة البلاد الشامية وبيت المقدس، وفحص عنه الإفرنج وبثوا خلفه الجواسيس فلم يدركوه، فعند ذلك نهبوا داره وهدموا منها طرفا وكمل تخريبها أوباش الناحية وخربوا المسجد وصارت فى ضمن الأماكن التى خربها الفرنسى بهدم ما حول السور من الأبنية. ثم فى الواقعة الكبيرة الثانية عندما حضر الوزير والعساكر الرومية ورجعوا بعد نقض الصلح بدون طايل كما يأتى تفصيل ذلك، فلما حضروا ثانيا بمعونة (ص٨٩١) الانكليز وتم الأمر وسافر الفرنسيس إلا بلادهم ورجع المذكور إلى مصر وشاهد ما حصل لداره ومسجده من التخريب أخذ فى أسباب تعميرها وتجديدهما حتى أعادهما أحسن مما كانا عليه قبل ذلك، وسكن بها وهو الآن بتاريخ كتابة هذا المجموع سنة عشرين ومايتين وألف [١٨٠٥]* قاطن بها ومحله مجمع شمل المحبين، ومحط رجال القاصدين بارك الله فيه.

* أى ان الجبرتى حتى هذا التاريخ لم يكن قد انتهى من كتابه

٣٤٥ على بن شمس الدين الحضرى

[ومات] الفقيه المفنن الشيخ/ على بن شمس الدين محمد بن زهران على الشافعى الرشيدى الشهير بالخضرى، ولد بالثغر سنة أربع وعشرين وأمه آمنة بنت الحاج عامر بن أحمد العراقى وأمها صالحة بنت الشريف الحاج على زعيتر أحد أعيان التجار برشيد، حفظ المترجم الزبد والخلاصة وسبيل السعادة والمنهج إلى الديات، والجزرية والجوهرة، وسمع على الشيخ يوسف القشاشى الجزرية وابن عقيل

والقطر، وعلى الشيخ عبد الله بن مرعى الشافعى. فى شوال سنة إحدى وأربعين جمع الجوامع والمنهج وألقى منه دروسا بحضرته ومختصر السعد واللقانى على جوهرته، وشرح ابنه عبد السلام والمناوى على الشمايل والبخارى وابن حجر على الاربعين والمواهب، وعلى شمس محمد بن عمر الزهيرى معظم البخارى دراية والمواهب وابن عقيل والاشمونى على الخلاصة، وجمع الجوامع والمنصف على ام البراهين، ونصف النفراوى على الرسالة والبيضاوى إلى قوله تعالى (وإذا وقع القول) فكمله بعد موته.

وفى سنة ثمان وثلاثين وفد على الثغر الشيخ عطية الأجهورى فقرأ عليه العصام فى الاستعارات مع الحفيد وعلى الشيخ محمد الإدكاوى (ص٨٩٢) شرح السيوطى على الخلاصة والشنشورى على الرحبية والتحرير لشيخ الإسلام، ثم قدم الجامع الأزهر سنة ثلاث وأربعين فجاور ثلاث سنوات فسمع على الشيخ مصطفى العزيزى شرح المنهج مرتين والخطيب والشمايل وأجازه بالإفتاء والتدريس فى رجب سنة ست وأربعين، وكان به بارا رحيما شفوقا. بمنزلة الوالد حتى بعد الوفاة، وجرت له معه وقائع كثيرة تدل على حسن توجهه له دون غيره من الطلبة، وسمع على السيد على الحنفى الضرير الأشمونى، وجمع الجوامع والمغنى، وبعض المنفرجة، والقسطلانى على البخارى، وتصريف العزى. وعلى الشمس محمد الدلجى المغنى كله قراءة بحث، والخطيب وجمع الجوامع ، وعلى الشيخ على قايتباى الخطيب فقط، وعلى الشيخ الحفنى الخطيب والمنهج وجمع الجوامع والأشمونى ومختصر السعد، ألفية المصطلح

ومعراج الغيطى، وعلى أخيه الشيخ يوسف الأشمونى والمختصر ورسالة الوضع، وعلى الشيخ عطية الأجهورى المنهج والمختصر والسلم، وعلى أحمد الشبراملسى الشافعى المختصر والتحرير وبعض العصام ومنظومة فى أقسام الحديث الضعيف، وعلى الشيخ محمد السجينى الشمائل ومواضع من المنهج، وأجازه الشيخ الشبراوى بالكتب الستة* بعد أن سمع عليه بعضا منها، ورجع عن فتواه مرتين فى وقفين، وعلى الشيخ أحمد بن سابق الزعبلى المنهج كله مرتين وعلى الشيخ أحمد المكودى كبرى السنوسى وبعض مختصره دراية، وعلى الشيخ محمد المنور التلمسانى شيخ المكودى المذكور أم البراهين دراية، وعلى الشيخ أحمد العماوى المالكى بعض سنن أبى داودو جمع الجوامع (ص٨٩٣) والمغنى والأزهرية ، ولما رجع إلى الثغر لازم الشيخ شمس الدين الفوّى خطيب جامع المحلى فسرد عليه معظم متن الزبد والمنهج وشرحه والشنشورى ومتن العباب وهو الذى عرفه به وبطريق تركيب الفتاوى أسئلة وأجوبة وكان يقول لابد للمبتلى بالافتاء من العباب لوضوحه واستيعابه، وأجازه الشيخ شلبى البرلسى والشيخ عبد الدايم بن أحمد المالكى وأحمد بن قاسم الونى، وله مؤلفات جليلة منها : شرح لقطة العلجان وحاشية على شرح الأربعين النووية للشبشيرى أجاد فيها كل الإجادة وقد رأيت كلا منها بالثغر عند ولده السيد أحمد، توفى فى خامس عشرين شعبان من السنة.

* هى كتب الحديث الستة المشهورة التى جمعها: ابو داود، مسلم بن الحجاج، النسائى، الترمذى، ابن ماجه، البخارى. يضاف اليهم كتب: الدارمى، مالك، ابن حنبل.

٣٤٦ محمد بن عبد الواحد البنانى.

(ومات) الشاب الصالح، والنجيب الأريب الفالح العلامة المستعد النبيه الذكى، الشيخ/ محمد بن عبد الواحد بن

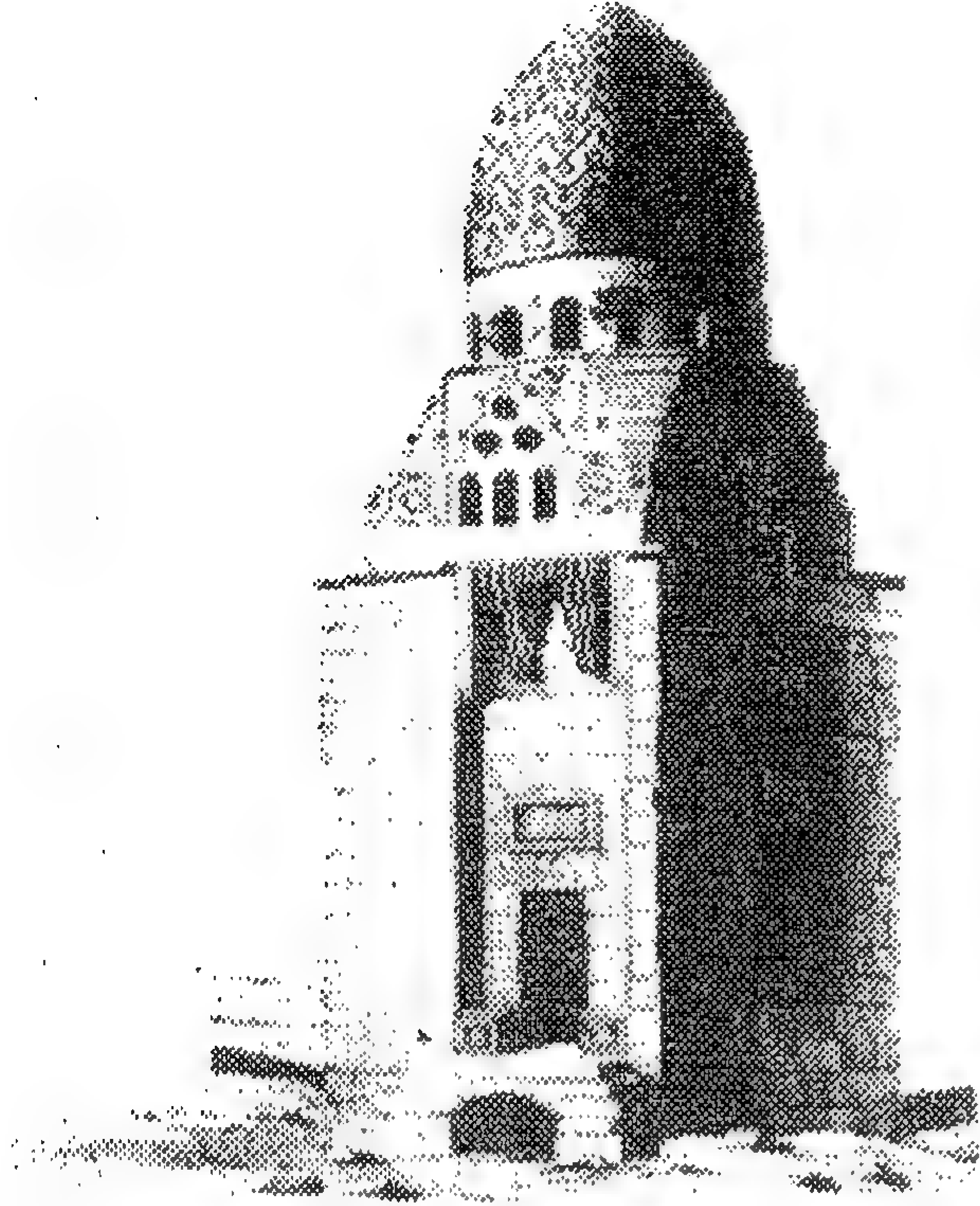
عبد الخالق البنانى، أبوه وجده وعمه من أعيان التجار والثروة بمصر، نشأ فى عفة وصلاح، حفظ القرآن والمتون وحبب إليه طلب العلم فتقشف لذلك وتجرد، ولازم الحضور والطلب، ودأب واجتهد فى التحصيل وسهر الليل، وكان له حافظة جيدة وفهم حاد وقوة استعدادية وقابلية، فأدرك فى الزمن اليسير مالم يدركه غيره فى الزمن الكثير، لازم شيخنا الشيخ محمد الجناجى المعروف بالشافعى ملازمة كلية، وتلقى عنه غالب تحصيله فى الفقه والمعقول والمنطق والاستعارات والمعانى والبيان والفرايض والحساب وشباك ابن الهائم وغير ذلك، وحضر دروس الشيخ الصعيدى والدردير وغيرهم حتى مهر وأنجب ودرس (ص٨٩٤) واشتهر بالفضل وعمل الختوم، وحضره أشياخ العصر وشهدوا بفضله وغزارة علمه، وانتظم فى عداد أكابر المحصلين والمفيدين والمستفيدين، ولم يزل هذا حاله حتى وافاه الحمام، انمحق بدره عند التمام، ومات مطعونا فى هذه السنة وهو مقتبل الشبيبة لم يجاوز الثلاثين عوضه الله الجنة، وهو ابن عم الإمام العلامة الشيخ مصطفى بن محمد بن عبد الخالق من أعيان العلماء المشاهير بمصر الآن بارك الله فيه.

٣٤٧ أحمد بن أحمد الحمامى

(ومات) الفقيه الفاضل المحقق الشيخ/ أحمد بن أحمد الحمامى الشافعى الأزهرى، ولد بمصر واشتغل بالعلم من صغره ومال بكليته إليه وحبب إليه مجالسة أهله، فلازم الشيخ عيسى البراوى حتى مهر وتفقه عليه، وحضر دروس الشمس الحفنى والشيخ على الصعيدى وغيرهما، وأجازوه، وحج فى سنة خمس وثمانين مرافقا لشيخنا الشيخ مصطفى

الطائي ورجعا إلى مصر وتصدر للتدريس والإفتاء في حياة شيوخه ودرس وأفاد وكان أكثر ملازمته لزاوية الشيخ الخضيرى ويقرأ درسا بالصرغمتشيه وانتفع به جماعة ، وله حاشية على الشيخ عبد السلام مفيدة، وأخرى على الجامع الصغير للسيوطى لم تتم، وكان ذا صلاح وورع وخشية من الله وسكون ووقار، توفى يوم الأربعاء تاسع ربيع الأول من السنة ودفن ثانى يوم بمشهد عظيم بالقرب من السادة المالكية.

[ومات] الإمام الصوفى العارف المعمر الشيخ/ علىّ بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القدوس ابن القطب شمس الدين محمد الشناوى الروحى الأحمدى المعروف ببندق، ولد قبل القرن وأخذ عن عميه محمد العالم وعلى المصرى، وهما عن (ص٨٩٥) عمهما الشمس محمد بن عبد القدوس الشهير بالدناطى عن ابن عمه الشهاب الخامى ومسكنهم بمحلة روح [قرب طنطا] ، وهو شيخ مشايخ الأحمدية فى عصره، وانتهت إليه الرياسة فى زمنه، وعاش كثيرا حتى جاوز المابة ممتعا بالحواس، وكان له خلوة فى سطح منزله ولها كوة مستقبلة طندتاء، بين يديها فضاء واسع يرى منها آثار طندتاء [طنطا] وهو مستقبل القبلة فى حال جلوسه ونومه ونظره إلى تلك الكوة، وأخبرنى أولاده أنه هكذا هو مستمر على هذه الطريقة من مدة طويلة، وتوفى فى أوايل جمادى الأولى من السنة، واجتمع بمشهده غالب أهل البلاد من المشايخ والأعيان والصلحاء من الآفاق، والسيد محمد مجاهد الأحمدى، والشيخ محمد الموجه ، والسيد أحمد تقى الدين وغيرهم ودفن عند أسلافه بمحلة روح. ٣٤٨ على بندق.



٣٤٩ خليل بك ابن ابراهيم بك بلفيا.

(ومات) الأمير/ خليل بك ابن ابراهيم بك بلفيا، تقلد الإمارة والصنجقية بعد موت والده وفتح بيتهم وأحيا مآثرهم ،و كان أهلا للإمارة ومحلا للرياسة، وتقلد إمارة الحج فى سنة إحدى وثمانين ورجع فى أمن وسخا، وطلع أيضا فى هذه السنة ومات بالحجاز ورجع بالحج أخوه عبد الرحمن أغا بلفيا.

٣٥٠ محمد (زوج جدة الجبرتى ام والدة)

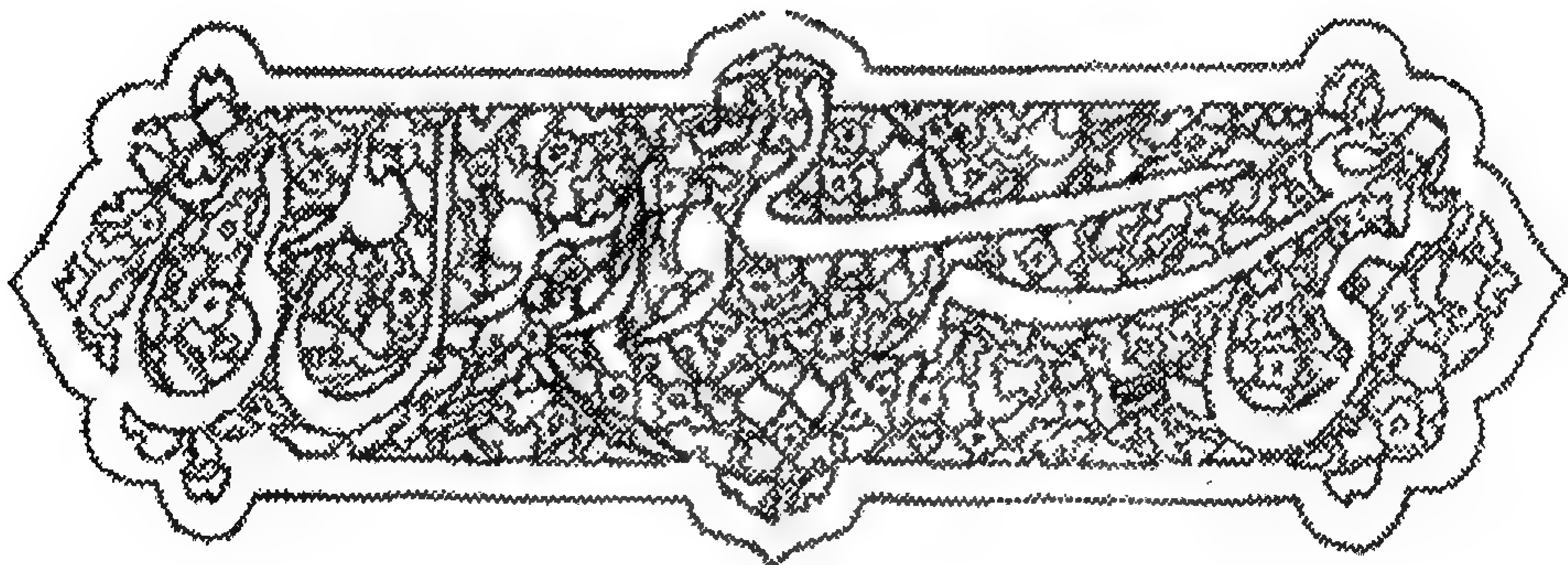
(ومات) الأجل المكرم الريس / محمد تابع المرحوم محمد أوده باشه طبال مستحفظان ميسو الجداوى، وهو زوج الجدة أم المرحوم الوالد تزوج بها بعد موت الجد فى سنة أربع عشرة ومائة وألف، وقطن بها ببندر جدة وأولدها حسينا ومحمد وتوفى سنة أربع وخمسين عن ولديه المذكورين وأخيهما محمود من أبيهما وعتقائه ومنهم المترجم، فرباه

ابن سيده وهو العم حسين (٨٩٦) فأنجب وعانى التجارة ورئاسة المراكب الكبار ببحر القلزم حتى صار من أعيان النواخيذ* الكبار واشتهر صيته وذكره وكثر ماله وبنى دارا بمصر بجوار المدارس الصالحية، واشترى المماليك والعبيد والجوارى وصار له دار بمصر وبجدة، ولم يزل حتى توفى بالشام وهو راجع إلى مصر ووصل نعيه فى سابع عشرين ربيع الثانى رحمه الله.

* النواخيد : فارسية مفردها ناخودا. والمقصود بها هنا اصحاب سفن التجارة.

٣٥١ محمد بن عبد العزيز البندارى.

(ومات) الخواجا الصالح المعمر الحاج/ محمد بن عبد العزيز البندارى وكان إنسانا حسنا وهو الذى عمر العمارة والمساكن بطندتا واشتهرت به، توفى فى غرة ربيع أول ـ بعد تعلل ـ رحمه الله تعالى.







سقوط على بك الكبير فى معركة الصالحية

١١٨٧هـ.
١٤٨٩ق.
١٧٧٣م.

سنة سبع وثمانين ومائة وألف [١٧٧٣م]

فيها تواترت الأخبار والإرجافات بمجى على بك من البلاد الشامية بجنود الشام وأولاد الظاهر عمر، فتهيأ محمد بك للقائه وبرز خيامه إلى جهة العادلية ونصب الصيوان الكبير هناك، وهو صيوان صالح بك وهو فى غاية العظم والاتساع والعلو والارتفاع، وجميعه بدوائره من جوخ صاية وبطانته بالأطلس الأحمر وطلائعه وعساكره من نحاس أصفر مموه بالذهب، فأقام يومين حتى تكامل خروج العسكر، ووصل الخبر بوصول على بك بجنوده إلى الصالحية، فارتحل محمد بك فى خامس شهر صفر فالتقيا بالصالحية وتحاربا فكانت

غاية الفيضان ٦ قيراط = ٢١ ذراع

- في ١٦ محرم/١٠ ابريل اقترب على بك بجيوشه، المحضرة معه من الشام، الى الصالحية، وفى ١٨ حصلت مقتلة بين عساكر على بك ومقدمة عساكر أبى الذهب، وقد جرح على بك فى هذه الواقعة. وفى ٥ صفر قام ابو الذهب يقصد الصالحية،وبعد محاربة فرت العساكر، اما على بك فبقى بفسطاطه ودافع عن نفسه بقدر طاقته، وانتهى الأمر بقيامه إلى المحروسة فأنزل فى داره للمعالجة فلم تنجح فتوفى فى ليلة ١٦ صفر، وقيل إنه مات مسموما.
- فى ٨ ربيع كانت وفاة السلطان مصطفى خان الثالث، ومدة سلطنته ١٦ سنة و٨أشهر، وفى ١٠ منه جلوس السلطان الغازى عبد الحميد خان.
- وفى ١٧ ربيع أول وصل خليل باشا الوزير

الهزيمة عَلَى عَلى بك وأصابته جراحة فى وجهه فسقط عن جواده فاحتاطوا به وحملوه إلى مخيم محمد بك، وخرج إليه وتلقاه وقبّل يده وحمله من تحت إبطه حتى أجلسه بصيوانه، وقتل على بك الطنطاوى وسليمان كتخدا وعمر جاويش وغيرهم، وذلك يوم الجمعة ثامن شهر صفر، ووصل خبر ذلك إلى مصر فى صبح يوم السبت، وحضروا إلى مصر وأنزل محمد بك أستاذه فى منزله الكاين بالأزبكية بدرب عبد الحق وأجرى عليه الأطبا لمداواة جراحاته.

إلى مصرعن طريق دمياط وكان فى مدة على بك محجوراً عليه.

□ وفى اوائل ذى الحجة شرع أبو الذهب فى تأسيس مدرسته.

□ ١ توت ١٤٩٠ = ٩سبتمبر ١٧٧٣ = الخميس ٢١ رجب سنة ١١٨٧.

□ ١ يناير ١٧٧٤ = ٢٥ كيهك ١٤٩٠ = السبت ١٧ ذو القعدة سنة ١١٨٧.

□ فى ١٧٧٤ هاجم كونته جينى قائد الاسطول الروسى فى البحر المتوسط ميناء بيروت.

وفى خامس عشر صفر وصل الحجاج ودخلوا إلى مصر، وأمير الحاج إبراهيم بك محمد (وفى تلك الليلة) توفى الأمير على بك وذلك بعد وصوله بسبعة أيام قيل إنه سم فى جراحاته، فغسل وكفن ودفنوه عند أسلافه بالقرافة.

١١٣ خليل باشا.

(وفى سابع عشر ربيع الأول) وصل الوزير خليل باشا والى مصروطلع إلى القلعة فى موكب عظيم، وذلك يوم الخميس تاسع عشره وضربوا له مدافع وشنكا من الأبراج وكان وصوله من طريق دمياط فعمل الديوان وخلع الخلع.

[ذكر من مات فى هذه السنة]

٣٥٢ احمد الجوهرى.

[ومات] فى هذه السنة الشيخ الإمام الصالح العلامة المفيد الشيخ أحمد بن الشيخ شهاب الدين أحمد بن الحسن الجوهرى الخالدى الشافعى، ولد بمصر سنة اثنتين وثلاثين ومائة وألفْ وبها نشأ وسمع الكثير من والده ومن شيخ الكل الشهاب الملوى وآخرين، وتصدر فى حياة أبيه للتدريس وحج معه وجاور سنة، وكان إنسانا حسنا ذا مودة

وبر وشهامة ومروة تامة وأخلاق لطيفة. توفى بعد أن تعلل أياما فى حادى عشر ربيع الأول، وصُلى عليه بالجامع الأزهر بمشـهـد حـافل ودفن على والده بالزاوية القـادرية بدرب شمس الدولة.

٣٥٣ على المرادى.

[ومات] المبجل المفضل الإمام العارف صاحب المعارف على بن محمد ابن القطب الكامل السيد محمد مراد الحسينى البخارى الأصل الدمشقى الحنفى، ويعرف بالمرادى نسبة لجدّه المذكور، ولد بدمشق (ص٨٩٨) وأخذ عن أبيه وغيره من العلماء كعلى ابن صادق الداغستانى وغيره، وكان إنسانا عظيم الشأن، ساطع البرهان، طيب الأعراق، كريم الأخلاق، منزله مأوى القاصدين، ومحط رحال الواردين، وهو والد خليل أفندى المفتى بدمشق، نزل عنده السيد العيدروس فأكرمه وبره، ولم يزل حتى توفى فى هذه السنة. وتوفى بعده بشهرين أيضا أخوه حسين أفندى المرادى رحمهما الله.

٣٥٤ إبراهيم الإدريسى.

[ومات] الماهر الأديب الشاعر الكاتب المنشئ الشيخ إبراهيم بن محمد سعيد بن جعفر الحسنى الإدريسى المنوفى المكى الشافعى ولد فى آخر القرن الحادى عشر بمكة، وأخذ عن كبار العلماء كالبصرى والنخلى وتاج الدين القلعى والعجمى، ثم من الطبقة التى تليه مثل على السخاوى وابن عقيلة فى آخرين من الواردين على الحرمين من آفاق البلاد، وأعلى ماعنده إجازة الشيخ إبراهيم الكورانى له، وله شعر نفيس وقد جمع فى ديوان، وبينه وبين السيد جعفر البيتى والسيد العيدروس مخاطبات ومحاورات، وكان الشيخ

العيدروس يقول فى حقه إنه أديب جزيرة الحجاز ولا استثنى، وفيه يقول:

إن إبراهيم أضحى أمة
قانتا لله رب العالمين
عالم أخلص فى أعماله
هكذا شأن العباد المخلصين

وله معارضة القصيدة الحائية لابن النحّاس، أبدع فيها وأغرب، ودخل الهند بسفارة صاحب مكة فأُكرم، وعاد إلى مكة وولى كتابة السر لملكها، وكان يكاتب رجال الدولة على لسانه على اختلاف طبقاتهم، وكان قلمه كلسانه سيّالا، وربما شرع فى كتابة سورة من (ص٨٩٩) القرآن وهو يتلو سورة أخرى بقدرها فلايغلط فى كتابته ولا فى قراءته، حتى تتمّا معًا وهذا من أعجب ماسمعت، وكان له مهارة ومعرفة فى علم الطب. وأما إنشاءاته فإليها المنتهى فى العذوبة. وتناسب القوافى، وأما نظمه فهو فريد عصره لايجاريه فيه مجارٍ ولايطاوله مطاول، فمن مشهور كلامه:

أعاتب ريم البر فى لفتاته
وأعذره إن قام فى خلواته
تراه رأى ظبى الأوانس آنسا
فأشرب حبا فى رنى لحظاته
أم اغتاظا لما أن رأى كل عاشق لحا الله
يوحده فى ذاته وصفاته
صبّا حاول القلبُ سلوة
ولم يدر أن الموتَ عينُ حياته.

ولولا النوى لم يطعم الوصل ذائقا
أو الفرق لم يرغب لجمع شتاته
ولولا مجازى ماعلمت حقيقتى
وعلمى بجهلى زاد عن شبهات

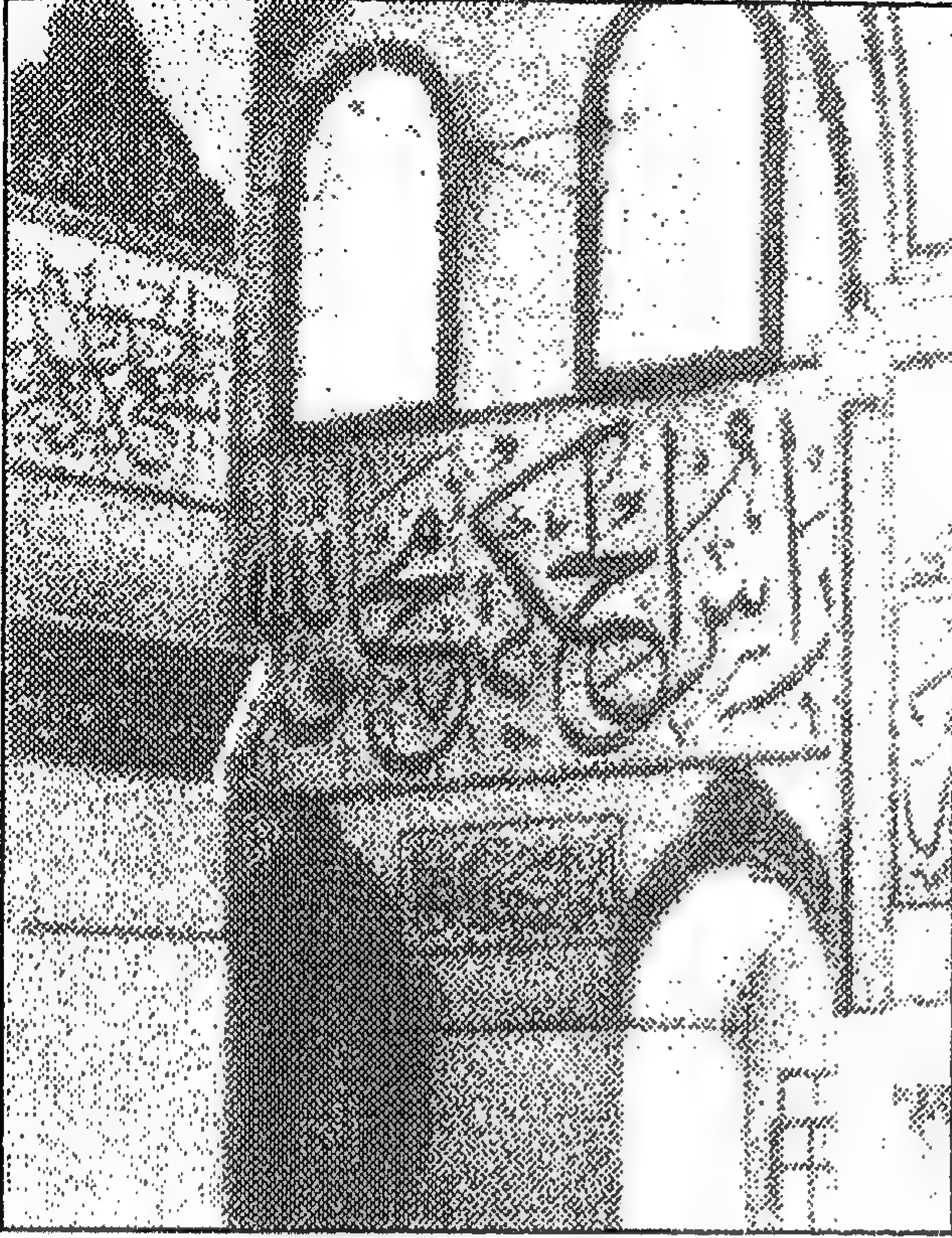
ومن كلامه بيتان من قصيدة اشتهر على الألسنة وهما
كيف يقوى على المقُام محب
قد أتاه الندا من المحبوب
قد رحمناك إننا نقبل العذ
ر ونمحو بالعفو رَيْنَ العيوب*

* الرين: بفتح الراء وسكون الياء بمعنى الدنس.

وله ديوان سماه (السبع السنابل فى مدح سيد الأواخر ص٩٩٠٠) والأوائل) ورسالة فى علم الطب مفيدة. توفى فى هذه السنة بمكة.

٣٥٥ عبد القادر كدك زاده.

[ومات] البارع المقرئ المجوِّد المحدث الشيخ عبد القادر بن خليل بن عبد الله الرومى الأصل المدنى المعروف بكدك زاده، ولد بالمدينة سنة أربعين وماية وألف، وبها نشأ وحفظ القرآن وجوّده على شيخ القراء شمس الدين محمد السجاعى نزيل المدينة تلميذ البقرى الكبير، وحفظ الشاطبية واشتغل بالعمل على علماء بلده والواردين عليه، سمع أكثر كتب الحديث على الشيخين ابن الطيب ومحمد حياة بقراءته عليهما فى الأكثر، ولازم الشيخ ابن الطيب ملازمة كلية حتى صار معيداً لدروسه، وكان حسن النغمة طيب الأداء، ولى الخطابة والإمامة بالروضة المطهرة، وكان إذا تقدم إلى المحراب فى الصلوات الجهرية تزدحم عليه



الخلق لسماع القرآن منه، ثم ورد إلى مصر فأدرك الشيخ المعمّر داود بن سليمان الخربتاوى فتلقى عنه أشياء وأجازه وذلك فى سنة ثمان وستين وماية وألف، وحضر الشيخ الملوى والجوهرى والحفنى والبليدى وحمل عنهم الكثير،وتزوج ثم توجه إلى الروم ثم عاد إلى المدينة فلم يقر له بها قرار، ثم أتى إلى مصر ودار على الشيوخ البقية ثانيا، وأخذ عنهم، وأحبه السيد إسماعيل بن مصطفى الكماخى، وصار يجلس عنده أياما فى منزله الملاصق لجامع قوصون، فشرع فى أخذ خطابته له فاشترى* له الوظيفة فخطب به على طريقة المدينة وازدحمت عليه الناس وراج أمره، وتزوج ثم توجه إلى الروم وباع الوظيفة وانخلع عما كان عليه وجلس هناك مدة وسمع السلطانُ قراءته فى بعض المواضع فى حالة (ص٩٠١) التبديل* فأحب أن يكون إمام لديه

* ظاهرة شراء المناصب الدينية وبيعها.

* حالة التبديل: أى يقراء القرآن بعدة قراءات.

وكـاد أن يتم ذلك فـأحسّ أمام السلطان بذلك فدعـاه إلى منزله وسقاه شيئاً مما يفسد الصوت حَسَدًا عليه، فلما أحس بذلك خرج فـاراً فعاد إلى مصر واشتغل بالحديث، وشرع فى عـمل المعـجم لشـيـوخـه الذين أدركـهم فى بلده وفى رحـلاته إلى البـلاد، ودخل حلب فـاجـتـمع بالشـيخ أبى المواهب القادرى وقرأ عليه شيئاً من الصحيح وأجازه، وأخذ عن السيد المعمّر إبراهيم بن محمد الطرابلسى النقيب ومن درويش مصطفى الملقى، ودخل طرابلس الشام وأخذ الاجازة من الشيخ عبد القادر الشكعاوى، ودخل «خادم» إحدى قرى الروم فاجتمع بالشيخ المعروف بمفتى «خادم» ورام أن يسـمع منه الأوليـة فلم يجـد عنه إسنادا وانما هو من أهل المعقـول فقط، ورجع إلى مـصـر فـاجتـمع بشيـخنا السيد مرتضى وتلقى عنه الحديث واهتم فى جمع رجاله وتمهر فى الإسناد وجمع من ذلك شيئًا كثيرا فى مسودات بخطه، ثم عـاد إلى الحرمين ومنهما إلى أرض اليمن فـاجتـمع بمن بقى من الشيوخ، وأخذ عنهم ودخل صنعاء ومدح كلا من الوزير والإمـام بقـصـيـدة فـأكـرم بهـا، واجـتـمع على علمـائها،وتلقى عنهم وصار بينه وبين الشـيخ أحـمـد قـاطن أحد علمائها محـاورات، ثم دخل كـوكبان فاجتـمع على فريد عـصره السيد عبد القادر بن أحـمد الحسنى من بيت الأئمة، ودخل شبام فاجتمع على السيد إبراهيم بن عيسى الحسين، واللحـيـة* فـاجتمع بها على الشيخ عيسى زرايق وذلك فى سنة خمس وثمانين وماية وألف وعاد إلى مصر بالفوايد الغزار بما حمل فى طول غيبته من النوادر والأسرار، (ص٢٠٩) وفى هذه الخطوات التى ذكرت دخل الصـعيـد من طريق القـصـيـر واجـتـمع على مـشـايخ عـربان الهـوارة

* اللحية بضم اللام وفتح الحاء وتشديد الياء المفتوحة بلد باليمن.

ومدحهم بقصايد طنانة وأكرموه، وله ديوان جُمع فيه شعره ومامدح به الأكابر الأولياء، وكان عنده مسودة بخطه وهذا قبل أن يسافر إلى الشام والروم واليمن والصعيد، فقد تحصل له في هذه السفرات كلام كثير مفرّق لم يلحقه بالديوان وكان كلما نزل في موضع ينشئ فيه قصيدة غريبة في بابها، وكان يغوص على المعاني بفكره الثاقب فيستخرجها ويكسوها حلة الألفاظ ويبرزها أعجوبة تلعب بالعقول، وتعمل عمل الشَّمُول* فلله دره من بليغ لم يبلغ معاصروه شأوه، ولو أقام في موضوع كغيره لأطْلَع ضياه، ولكنه ألف الغربة، وهانت عنده الكربة، فلم يبال بخشن ولا لين، ولم يكترث بصعب ولاهين، وأجازه الشيخ محمد السفاريني إجازه طويلة في خمسة كراريس فيها فوايد جمة، ومن كلامه ماكتبه لبعض أحبابه:

ولما نما سُقْمي تنشقت تُربكم
ومنه شَممْتُ البُرْءَ غِبَّ التنشق
فزدني نشوقا من تراب به الشفا
ولا تَصِفِ الإجزاء للمتشوق

ولم يزل تتنقل به الأحوال حتى سافر إلى القدس الشريف فمكث هناك قليلا وزار المشاهد الكرام، ومرا قد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم ارتحل إلى نابلس فنزل في دار السيد موسى التميمي وهو إذ ذاك قاضي البلد فأكرمه وآواه واحترمه ومرض أياما وانتقل إلى رحمة الله تعالى في سلخ جمادى الثانية منها، ووصل (ص٩٠٣) نعيه إلى مصر وكانت معه كتبه وماجمعه في سفره من شعره، والمعجم الذى جمعه في الشيوخ والأجزاء والأمالي التي حصلها، وضاع ذلك جميعه ولله في خلقه ماأراد.

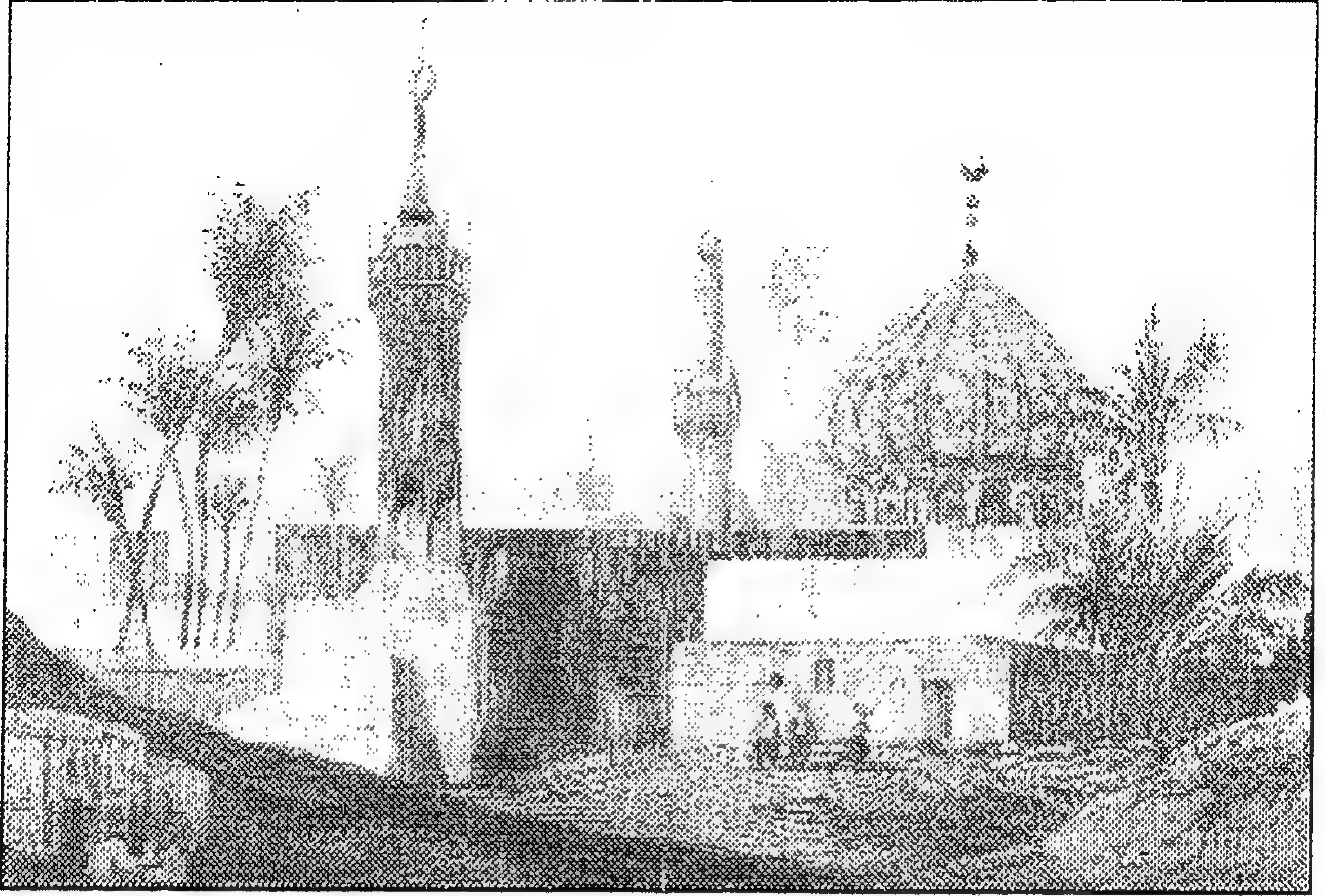
* الشمول : بفتح الشين الخمر.

[ومات] العمدة الشاب الصالح الشيخ محمد بن حسن الجزايرلى ثم المدنى الحنفى الأزهرى، ولد بمكة إذ كان والده يتجر بالحرمين فى حدود الستين، وقدم به إلى مصر فلازم الشيخ حسن المقدسى مفتى الحنفية ملازمة كلية، وانضوى إليه فقرأ عليه المتون الفقهية ودَرَّجه فى أدنى زمن إلى معرفة طرق الفتوى، حتى كان معيداً لدروسه وكاتبًا لسؤالاته، وربما كتب على الفتوى بإذن شيخه، وفى أثناء ذلك حضر فى المعقول على الشيخ الصعيدى والشيخ البيلى والشيخ محمد الأمير وغيرهما من مشايخ الوقت، وحّصل طرفا من العلوم، وصارت له الشهرة فى الجملة وأعطاه شيخه تدريسَ الحديث بالصرغتمشية فكان فى كل جمعة يقرأ فيه البخارى، وزوجه امرأة موسرة لها بيت بالأزبكية، وبعد وفاة شيخه تصدر للإقراء فى محله، وصار ممن يشار إليه، ولم يزل حتى مات فى عنفوان شبابه فى هذه السنة ويقال إن زوجته سمّته. ٣٥٦ محمد الجزايرلى.

[ومات] الأمير الكبير على بك الشهير صاحب الوقايع المذكورة والحوادث المشهورة، وهو مملوك إبراهيم كتخدا تابع سليمان جاويش تابع مصطفى كتخدا القازدغلى، تقلد الإمارة والصنجقية بعد موت أستاذه فى سنة ثمان وستين ومایة وألف، وكان قوى المراس شديد الشكيمة عظيم الهمة لايرضى لنفسه بدون السلطنة العظمى والرياسة الكبرى، ٣٥٧ على بك الكبير.

(ص٩٠٤) لايميل لسوى الجدولا يحب اللهو ولا المزح ولاالهزل، ويحب معالى الأمور من صغره، واتفق أن بعض ولاة الأمور تشاوروا فى تلقيده الإمارة فنُقل إليه مجلسهم وذكر له مساعدة فلان وممانعة فلان فقال: «أنا لاأتقلد

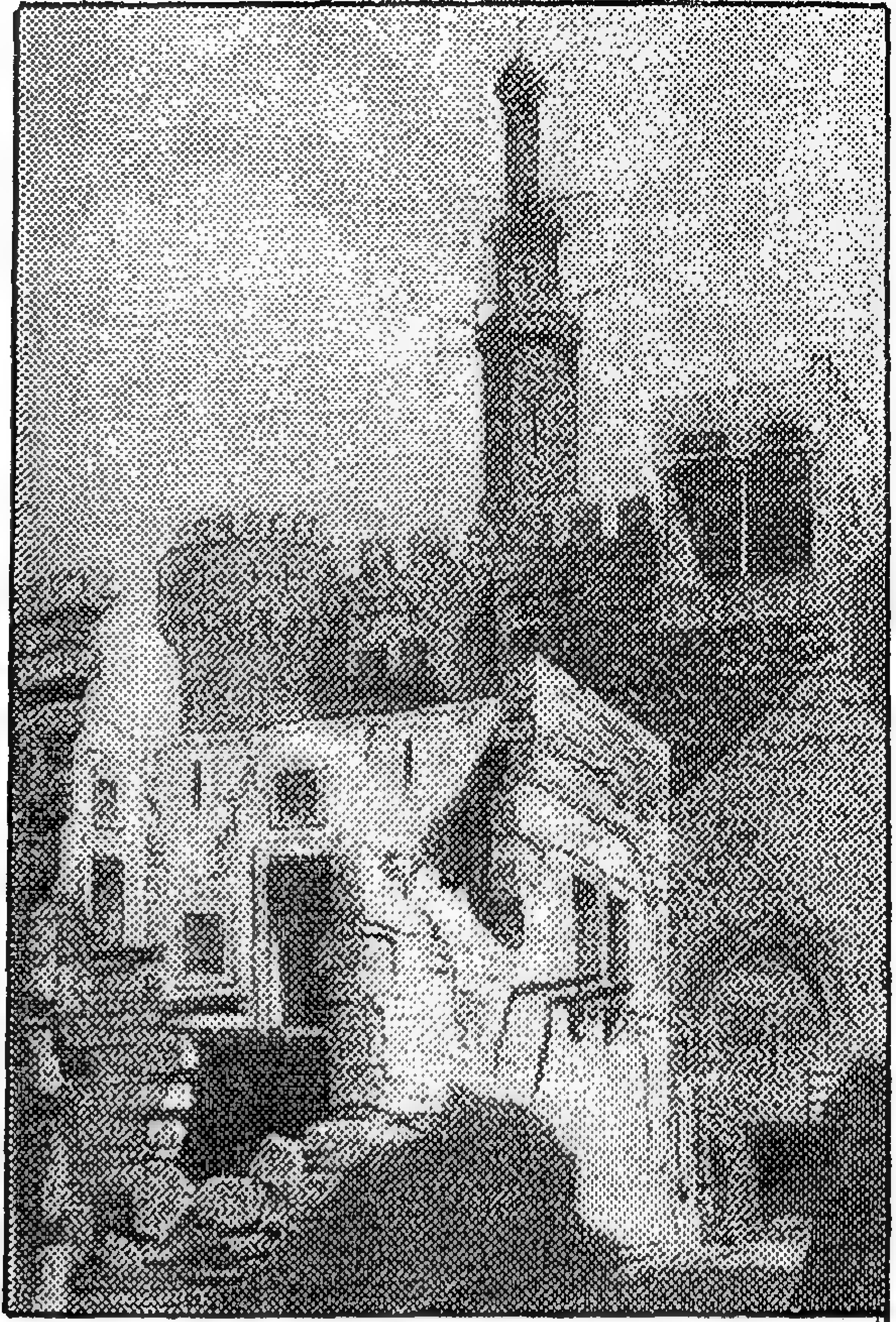
الإمـارة إلا بسـيـفى لابمعـونة أحـد». ولم يزل يرقى فى مدارج الصعود حتى عظم شأنه وانتشر صيته ونما ذكره، وكان يلقب (يجن على) ولقب أيضا (ببلوط قبان) وانضم إلى عبد الرحمن كتخدا وأظهر له خلوص المحبة واغتر هو أيضا به وظن صحة خلوصه فركن إليه وعضده وساعده ونوه بشأنه ليقوى به على نظرائه من الاختيارية والمتكلمين، واتفق أنه وقع بين أحـمـد جـاويش المجنون تابعـه وبين أهل وجاقه حادثة نقموا عليه فيها وأوجبوا عليه النفى بحسب قوانينهم واصطلاحهم، وأعرضوا الأمر على عبد الرحمن كتخدا أستاذه، فعارض فى ذلك ولم يسلم لهم فى نفى أحمد جاويش، ورأى أن ذلك نقصا فى حقه، فتلطف به بعضهم وترجوا فى إخراجه ولو إلى ناحية ترسا بالجيزة أياما قليلة مراعاة وحرمة للوجاق، فلم يرض وحنق واحتد، فلما كان فى اليوم الثانى واجتمع عليه الأمراء والأعيان على عادتهم قال لهم: «أيها الأمراء من أنا؟» أجابه الجميع بقولهم: «أنت أستاذنا وابن أستاذنا وصاحب ولائنا» قال: «إذا أمرت فيكم بأمر تنفذوه وتطيعوه؟» قالوا «نعم» قال: «على بك هذا يكون أميرنا وشيخَ بلدنا ومن بعد هذا اليوم يكون الديوان والجمعية بداره، وأنا أول من أطاعه وآخر من عصي عليه» فلم يسعهم إلاَّ قبول ذلك بالسمع والطاعة وأصبح راكبًا إلى بيت على بك وتحوَّل (ص٩٠٥) الديوان والجمعية إليه من ذلك اليوم واستفحل أمره، ولم يمض على ذلك إلا مدة يسيرةحتى أخـرج أحمد جاويـش المذكـور وحسن كتخدا الشعراوى وسليمان بك الشابورى كما تقدم، ثم غدر به أيضاً [اى غدر بعبد الرحمان كتخدا] وأخرجه إلى الحجاز من طريق السويس، وأرسل معه صالح بك



▲ الجامع الكبير برشيد

ليوصله إلى ساحل القلزم، فلما شيعه هناك أرسل بنفى صالح بك إلى غزة ثم رُدَّ إلى رشيد ومنها ذهب إلى منية ابن خصيب وتحصن بها، وجرد عليه المترجَم التجاريد ولم يزل ممتنعا بها حتى تعصب على المترجم خشداشينه وأخرجوه منفيا إلى النوسات، ثم وجهوه إلى السويس بعد قتل حسن بك الأزبكاوى، ثم منها إلى الجهة القبلية بعد قتل عثمان بك الجرجاوى وانضم إلى صالح بك وتعاقد معه وحضر معه إلى مصر وقتل الرؤساء من أقرانه، ثم غدر بصالح بك أيضا كما تقدم مجمل ذلك، ثم نفى باقى الأعيان وفرّق جمعهم فى القرى والبُلدان وتتبعهم خنقا وقتلا، وأبادهم فرعا وأصلا، وأفنى باقيهم بالتشريد، وجلوا عن أوطانهم إلى كل مكان بعيد؛ واستأصل كبار خشداشينه وقبيلته، وأقصى صغارهم عن ساحته وسُدته، وأخرب

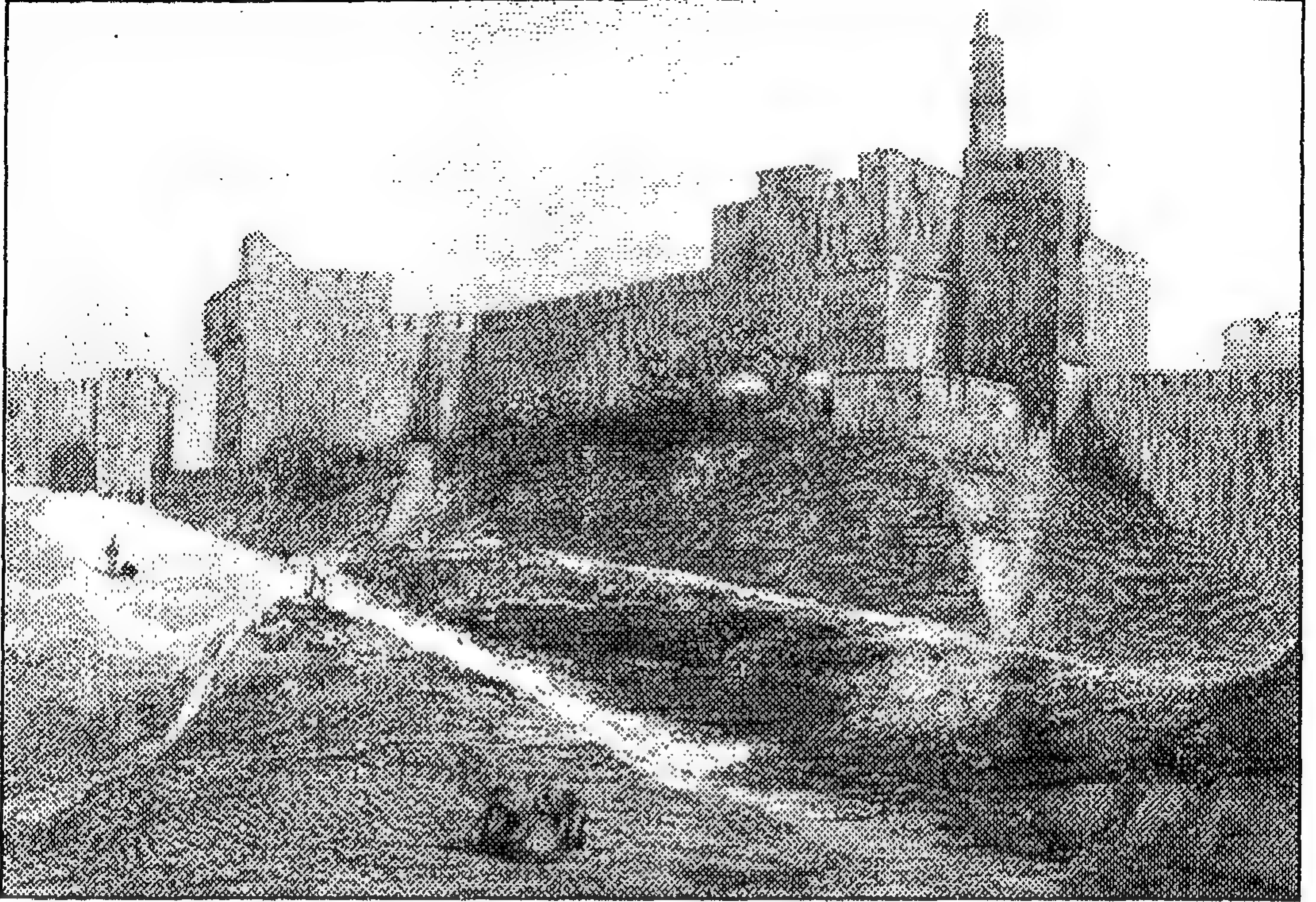
البيوت القديمة وأخرم القوانين الجسيمة والعوايد المرتبة، والرواتب التي من سالف الدهر كانت منظمة، وقتل الرجال، واستصفى الأموال، وحارب كبار العربان والبوادى، وعرب الجزيرة والهنادى، وأعاظم الشجعان، ومقادم البلدان، وشتت شملهم، وفرق جمعهم، واستكثر من شراء المماليك وجمع العسكر من ساير الأجناس واستخلص بلاد الصعيد، وقهر (ص٩٠٦) رجالها الصناديد، ولم يزل يمهد لنفسه حتى خلص له ولأتباعه الإقليم المصرى من الإسكندرية إلى أسوان، ثم جرد عساكره إلى البلاد الحجازية ونفذ أغراضه بها، ثم التفت إلى البلاد الشامية وتابع إرسال البعوث والسرايا والتجاريد إليها، وقتل عظماها وولاتها، واستولت أتباعه على البلاد الشامية حتى أنهم أقاموا فى حصار يافا أربعة أشهر حتى ملكوها، وعمر قلاع الإسكندرية ودمياط وحصنها بعساكره ومنع ورود الولاة العثمانيين، وكان يطالع كتب الأخبار والتواريخ وسير الملوك المصرية ويقول لبعض خاصته: إن ملوك مصر كانوا مثلنا مماليك الأكراد مثل السلطان بيبرس والسلطان قلاوون وأولادهم، وكذلك ملوك الجراكسة وهم مماليك بنى قلاوون إلى آخرهم كانوا كذلك، وهؤلاء العثمانية أخذوها بالتغلب ونفاق أهلها» وينوّه ويشير بمثل هذا القول بما فى ضميره وسريرته ولو لم يخنه مملوكه محمد بك لردّ الأمور إلى أصولها، وكان لايجالس إلا أهل الوقار والحشمة والمسنين، مثل محمد أفندى كاتب كبير الينكجرية، ومصطفى أفندى توكلى، وعبد الله كتخدا محمد باشا الراقم، ومرتضى أغا وأحمد أفندى، يجالسونه بالنوبة فى أوقات مخصوصة مع غاية التحرز فى الخطاب والمسامرة بوجيز القول، وكاتب إنشائه العربى



قلعة الفنار بالأسكندرية من ضمن القلاع التى عمرها على بك الكبير

الشيخ محمد الهلباوى الدمنهورى، وكاتبه الرومى مصطفى افندى الأشقر ونعمان أفندى وهو منجمه أيضًا، ويجلّ من العلما المرحوم الوالد والشيخ أحمد الدمنهورى والشيخ على العدوى والشيخ أحمد (ص٩٠٧) الحماقى، وكاتبه القبطى المعلم رزق بلغ فى أيامه من العظمة مالم يبلغه قبطى فيما رأينا، ومن مسقاته كرع المعلم إبراهيم الجوهرى وأدرك ماأدركه بعده فى أيام محمد بك وأتباعه من بعده؛ وتتبع المفسدين والذى يتداخلون فى القضايا والدعاوى ويتحيلون على إبطال الحقوق بأخذ الرشوات والجعالات وعاقبهم بالضرب الشديد والإهانة والقتل والنفى إلى البلاد البعيدة، ولم يراع فى ذلك أحدًا سواء كان متعممًا أو فقيهًا أو قاضيًا أو كاتبًا أو غيرها من البنادر والقرى، وكذلك المفسدون وقطاع الطريق من العرب وأهل

الخوف، وألزم أرباب الأدراك والمقادم بحفظ نواحيهم ومافى حوزهم وحدودهم، عاقب الكبار بجناية الصغار، فأمنت السبل وانكفت أولادُ الحرام وانكمشوا عن قبايحهم وإيذايهم، بحيث إن الشخص كان يسافر بمفرده ليلاً راكبًا أو مشايًا ومعه حمل الدراهم والدنانير إلى أى جهة ويبيت فى الغيط أو البرّية آمنًا مطمئنًا لايرى مكروهًا أبدًا، وكان عظيمَ الهيبة اتفق لأناس ماتوا فرَقًا من هيبته، وكثيرًامن كان يأخذه الرعدة بمجرد المثول بين يديه فيقول له: «هون عليك» ويلاطفه حتى ترجع له نفسه، ثم يخاطبه فيما طلبه بصدده، وكان صحيح الفراسة شديد الحذق، يفهم ملخص الدعوى الطويلة بين المتخاصمين ولايحتاج فى التفهيم إلى ترجُمان أومن يقرأ له الصكوك والوثايق، بل يقرؤها بنفسه كالماء الجارى ولو كان خطها سقيمًا، ولا يختم ورقة حتى يقرأها ويفهم مضمونها ثم يمضيها أو يمزقها، وألبس سرّاجينه (ص٩٠٨) قواويق فتلى [بالفاء]من جوخ أصفر تمييزًا لهم عن غيرهم من سراجين أمرائه، ولم يزل منفردًا فى سلطنة مصر لايشاركه مشارك فى رأيه ولا فى أحكامه، وأمراؤها وحكامها مماليكه وأتباعه فلم يقنع بما أعطاه مولاه وخوّله من ملك مصر بحريّها وقبليّها الذى افتخرت به الملوك والفراعنة على غيرها من الملوك، وشرهت نفسه لزيادة وسعة المملكة، وكلف أمراءه الأسفار وفتح البلاد حتى ضاقت أنفسهم وسئموا الحروب والغربة والبعد عن الوطن، فحالف عليه كبير أمرائه محمد بك ورجع بعد فتح البلاد الشامية بدون استئذان منه، واستوحش كل من الآخر فوثب عليه وفرّ إلى الصعيد،وكان ما كان من رجوعه بمن



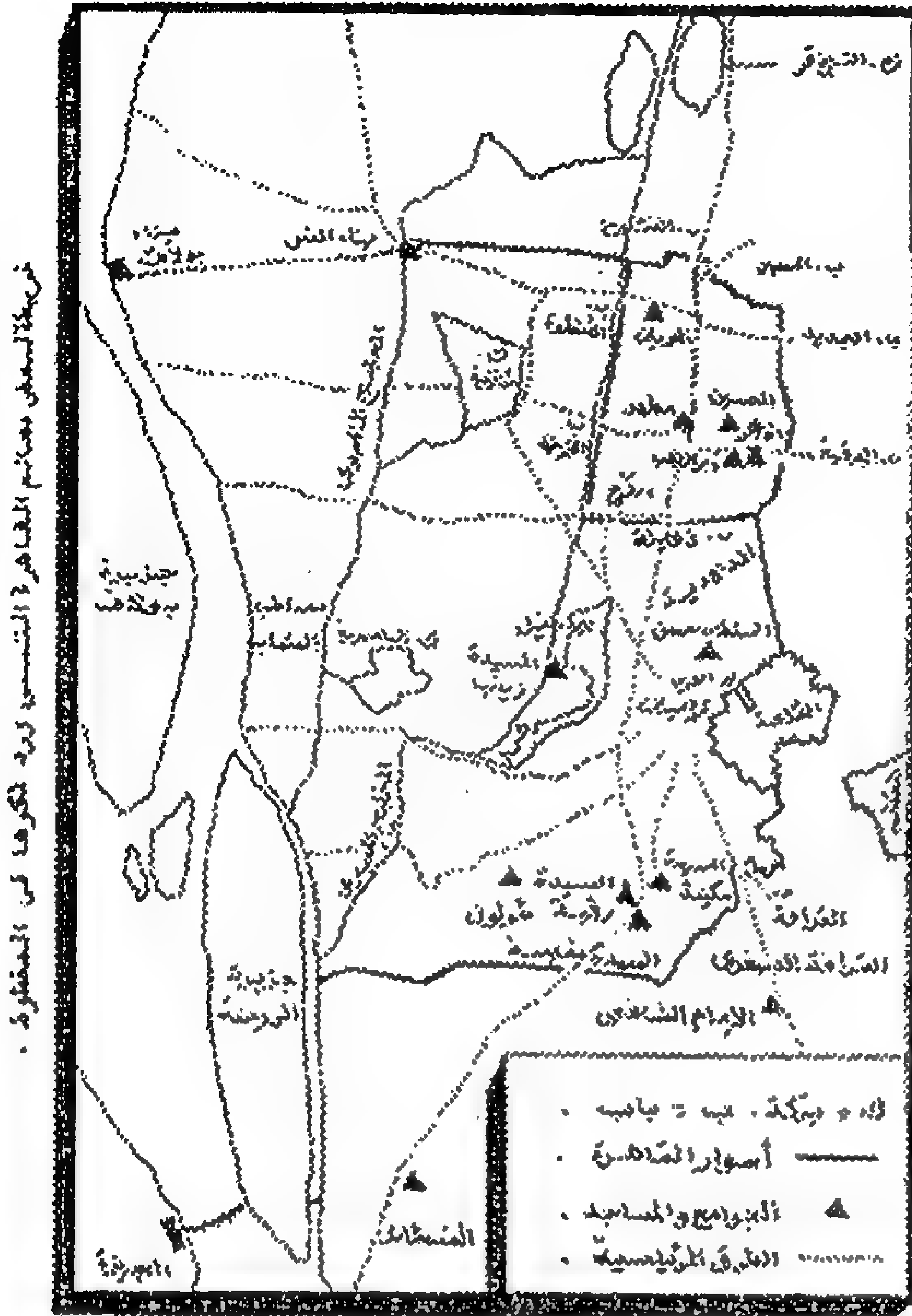
▲ أسوار مدينة القدس من الغرب

انضم إليه وخامر معه، وكانت الغلبة له على مخدومه، وفرّ منه إلى الشام وجنّد الجنود وقصد العَوْد لمملكته ومحل سيادته فوصل إلى الصالحية، وخرج إليه محمد بك وتلاقيا وأصيب المترجم بجراحة فى وجهه وأخذ أسيراً، وقتل من قتل من أمرائه، ورجع محمد بك وصحبته مخدومه المذكور محمولا فى تخت فأنزلوه فى داره بدرب عبد الحق فأقام سبعة أيام ومات والله أعلم بكيفية موته، وكان ذلك فى منتصف شهر صفر من السنة، فغسل وكّفن وخرجوا بجنازته وصُلى عليه بمصلى المؤمنين فى مشهد حافل، ودفن بتربة أستاذه إبراهيم كتخدا بالقرافة الصغرى بجوار الإمام الشافعى، ومدفنهم مشهور هناك وبواجهته سبيل يعلوه قصر مفتح (ص٩٠٩) الجوانب؛ ومن مآثره العمارة العظيمة

بطنتدا وهى المسجد الجامع والقبة على مقام سيدى أحمد البدوى رضى الله عنه، والمكاتب والميضأة الكبيرة والحنفيات وكراسى الراحة المتسعة والمنارتان العظيمتان والسبيل المواجه للقبة والقيسارية العظيمة النافذة من الجهتين ومابها من الحوانيت للتجار، وسميت هناك بالغورية لنزول تجار أهل الغورية بمصر فى حوانيتها أيام مواسم الموالد المعتادة لبيع الأقمشة والطرابيش والعصايب، وكان المشد على تلك العمارة المعلم حسن عبد المعطى وكان من الرجال أصحاب الهمم، وولاه سِدَانةَ الضريح عوضًا عن أولاد سعد الخادم لسو سيرتهم وظلمهم فنكبهم المترجَم وأخذ ماأمكنه أخذه من مالهم وهو شىء كثير وأنفقه فى هذه العمارة، وأوقف عليها أوقافاً اورتب بالمسجد عدّة من الفقهاء والمدرسين والطلبة والمجاورين وجعل لهم خبزاً وجرايات وشوربة فى كل يوم. وجدد أيضًا قبة الإمام الشافعى رضى الله عنه وكشف ماعليها من الرصاص القديم من أيام الملك الكامل الأيوبى فى القرن الخامس، وقد تشعث وصَدِى لطول الزمان فجدد ماتحته من خشب القبة البالى بغيره من الخشب النقى الحديث، ثم جعلوا عليه صفائح الرصاص المسبوك الجديد المثبت بالمسامير العظيمة وهو عمل كثير، وجدد نقوش القبة من داخل بالذهب واللازورد والأصباغ وكتب بإفريزها تاريخًا منظومًا بخط صالح أفندى، وهدم أيضًا الميضأة التى كانت من عمارة عبد الرحمن كتخدا وكانت صغيرة مثمنة الأركان ووسعها وعمل عوضها هذه الميضأة الكبيرة وهى مربعة مستطيلة

متسعة وبجانبها حنفية وبزابيز يُصَبُّ منها الماء، وحول الميضأة كراسى راحة بحيضان متسعة تجرى مياهها إلى بعضها وماؤها شديد الملوحة. ومن إنشائه أيضًا العمارة العظيمة التى أنشأها بشاطئ النيل ببولاق حيث دكك الحطب تحت ربع الخرنوب وهى عبارة عن قيسارية عظيمة ببابين يسلك منها من بحرى إلى قبلى وبالعكس وخانًا عظيمًا يعلوه مساكن من الجهتين وبخارجه حوانيت وشونة غلال حيث مجرى النيل، ومسجد متوسط فحفروا أساس جميع هذه العمارة حتى بلغوا الماء ثم بنوا لها خنازير مثل المنارات من الأحجار واستعلوا عليه بعد ذلك بالبناء المحكم بالحجر النحيت وعقدوا العقود والقواصر والأعمدة والأخشاب المتينة، وكان العمل فى ذلك سنة خمس وثمانين، ومات المترجم قبل إتمامها وبناء أعاليها، وكانت هذه العمارة من أشام العماير، لأن النيل انحسر بسببها عن ساحل بولاق وبطل تياره واندفع إلى ناحية إنبابة، ولم تزل الأرض تعلو والأتربة تزيد فيما بين زاوية تلك العمارة إلى شون الغلال ويزيد نموها فى كل سنة حتى صار لايركبها الماء إلا فى سنى الغرق، ثم فحش الأمر وبنى الناس دورًا (ص٩١١) وقهاوى فى بحرى العمارة وسحبوا إلى جهة قرب الماء مغربين وألقوا أتربة العمائر ومايحفرونه حول ذلك، واقتدى بهم الترابة وغيرهم ولم يجدوا مانعًا ولا رادعًا، وكلما فعلوا ذلك هرب الماء وضعف جريانه وربت الأرض وعلت وزادت حتى صارت كيمانًا تنقبض النفوس من رؤيتها وتمتلئ المنافس من عجاجها وخصوصًا فى وقت الهجير بعد أن كانت نزهة للناظرين، ولقد أدركنا فيما قبل ذلك تيارالنيل* يندفع من ناحية بولاق الدكرور إلى تلك

*كان مجرى النيل قبل عام ١١٨٥هـ=١٧٧١م يأخذ مجرى شرق المجرى الغربى الحالى عند بولاق، وقد أوضح الجبرتى هنا السبب فى ذلك.

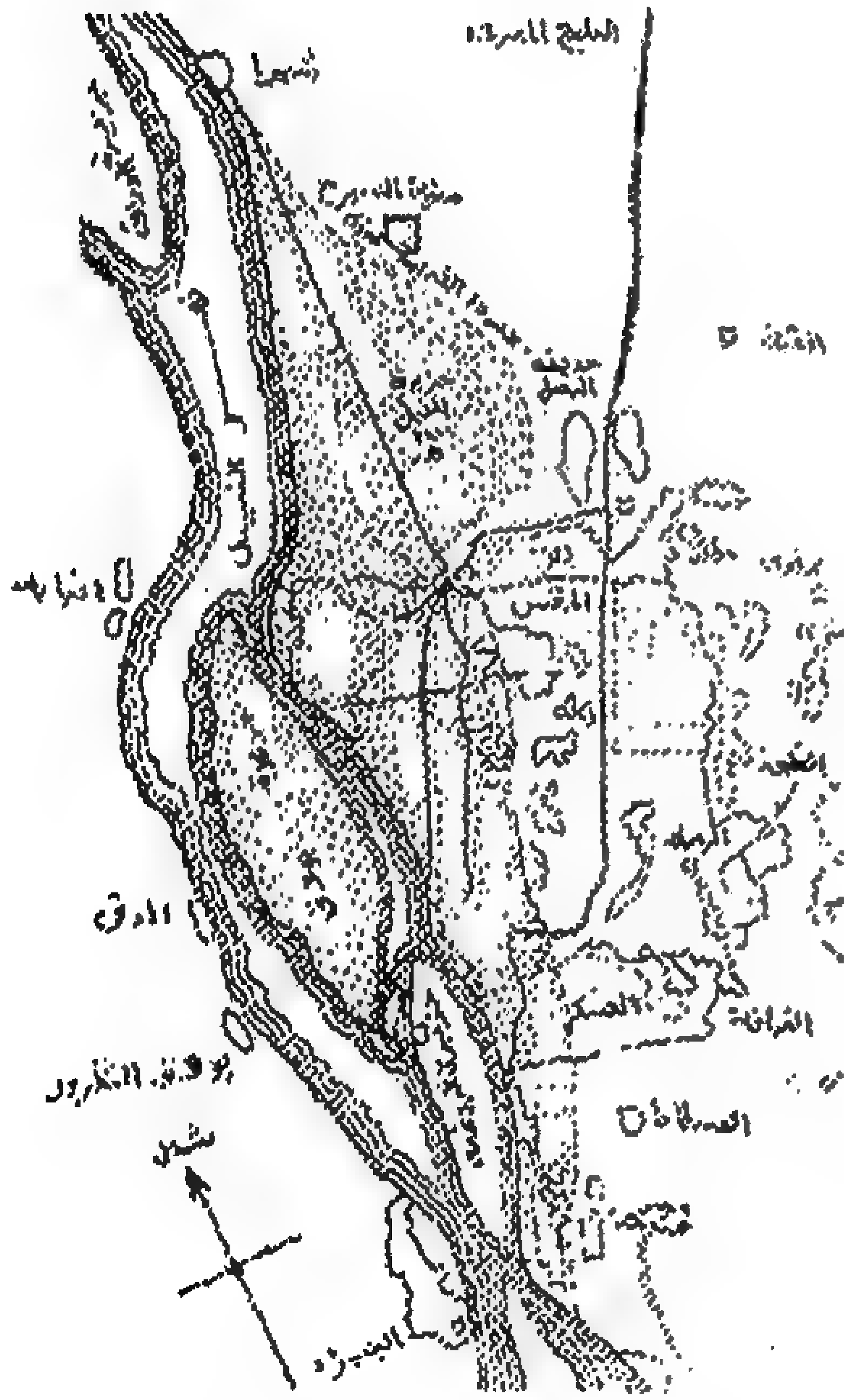


خريطة لبعض معالم القاهرة التي ورد ذكرها في المخطوطة.

الجهة، ويمر بقوته تحت جدران الدور والوكايل القبلية وساحل الشون ووكالة الأبزار وخضرة البصل وجامع السنانية وربع الخرنوب إلى الجيعانية، وينعطف إلى قصر الحلي والشيخ فرج صيفاً وشتاء ولايعوقه عائق ولايقدر أحد أن يرمي بساحل النيل شيا من التراب. فإن اطلع الحاكم على ذلك نكل به أو بخفير تلك الناحية وهذا شيء قد تودّع منه ومن أمثاله، وآخر من أدركنا فيه هذا الالتفات والتفقد للأمور الجزئية التي يترتب بزيادتها الضرر العام عبد الرحمن أغام مستحفظان، فإنه كان يحذو طريق الحكام السالفين إلى أن ضعفت شوكته بتأمر الأصاغر، وقُيّد حكمه بعد الإطلاق وتُرِكَ هذا الأمر ونُسِيَ بموته وتقليد الأغاشم، وتضاعف الحال حتى أن بعض الطرق الموصلة إلى بولاق استدت بتراكم الأتربة التي يلقيها أهل الأطراف خارج

الدروب، ولايجدون من يمنعهم أو يردعهم، وقدّرتْ علو الأرض بسبب هذه العمارة زيادةعن أربع قامات، فإننا كنا (٩١٢) نعد درج وكالة الابزاريين من ناحية البحر عندما كنا ساكنين بها قبل هذه العمارة نيفا وعشرين درجة، وكذلك سلم قيطون بيت الشيخ عبد لله القمرى وقد غابت جميعها تحت الأرض وغطتها الأتربة ولله عاقبة الأمور.

ومن إنشاء المترجم داره المطلة على بركة الأزبكية بدرب عبد الحق التى مات بها والحوض والساقية والطاحون بجوارها وهى الآن مسكن الست نفيسة، بالجملة فأخبار المترجم ووقايعه وسيرته لوجمعت من مبدأ أمره إلى آخره لكانت مجلدات، وقد ذكرنا فيما تقدم لُمَعًا من ذلك بحسب الاقتضاء مماستحضره الذهن القاصر، والفكر المشوش الفاتر، بتراكم الهموم، وكثرة الغموم، وتزايد المحن واختلاط الفتن واختلال الدول، وارتفاع السفل، ولعل العودَ يخضر بعد الذبول، ويطلع النجم بعد الأفول، أو يبّسم الدّهْر بعد كشارة أنيابه أو يلحظنا من نظرة المتغابى فى إيابه (شعر):



زمن كأحلام تقضى بعده
زمن نعلّلُ فيه بالأحلام

ولله فى خلقة من قديم الزمان عادة، وانتظار الفرج عبادة، نسأله انقشاع المصايب، وحسن العواقب.

٣٥٨ السلطان مصطفى بن أحمد خان

[ومات] سلطان الزمان السلطان مصطفى بن أحمد خان، تولى السلطنة فى سنة إحدى وسبعين وماية وألف فكانت مدة سلطنته ست عشرة سنة وكانت له عناية ومعرفة

بالعلوم الرياضية والنجومية ويكرم أرباب المعارف، وكان يراسل المرحوم الوالد (٩١٣) والشيخ أحمد الدمنهورى ويهاديهما، ويرسل إليهما الصلات الكتب، وأرسل مرة إلى الشيخ الوالد ثلاثة كتب مكلفة من خزانته، هو كتاب القهستانى الكبير، وفتاوى أنقروى، ونور العين فى إصلاح جامع الفصولين كلاهما فى الفقه الحنفى، وله مؤلف فى الفن الدقيق ينسب إليه، وتولى بعده السلطان عبد الحميد خان جعل الله أيامه سعيدة.

٣٥٩ على بك الطنطاوى.

[ومات] الأمير على بك الشهير بالطنطاوى وهو من مماليك على بك المذكور وكان من الشجعان المعروفين، والفرسان المشهورين ، ولم ينافق على سيده مع المنافقين، ولم يمرق مع المارقين، ولم يزل مع مخدومه فيما وجه إليه، حتى قتل بالصالحية بين يديه.

٣٦٠ اسماعيل افندى الروزنامجى.

[ومات] الرئيس المبجل الأمير اسماعيل أفندى الروزنامجى رئيس الكتبة بمصر، وكان إنسانا حسنا منور الوجه والشيبة ضابطا محررا خيرا، أصيب بوجع فى عينيه فوعده الحاج سليمان الحكاك بشىء من الكحل وأودعه فى ورقة وضعها فى طى عمامته، وكان بها ورقة أخرى فيها شىء من السليمانى* لم يتذكرها وهو أبيض والكحل أيضا أبيض، فلما حضر عنده أخرج الورقة التى بها السليمانى من عمامته وأعطاها له، وأمره أن يكتحل منا وقت النوم يظنها أنها ورقة الكحل، ثم انصرف إلى داره فلما نزع عمامته وقت النوم رأى ورقة الكحل وتذكر عن ذلك الأخرى فلم يمكنه الذهاب والتدارك لئلا لبعد المكان وفوات الوقت،

* السليمانى : من المواد السامه، اسمه العلمى كلوريد الزئباقوز.

والمسكين صلى العشاء واكتحل من الورقة فزال بصره فى الحال، واستمر مكفوفا إلى أ ن مات سحر ليلة الأحد سادس عشر ذى الحجة من آخر السنة وصلى عليه من الغد بسبيل المؤمنين ، ودفن بقبره الذى أعده لنفسه بالقرب من ابن ابى جمرة عوضه الله الجنة.

٣٦١ مراد أغا.

[ومات] الرجل الصالح الأمير/ مراد أغا تابع قيطاس بك القطامشي، وكان منجمعا عن الناس راضيا بحاله قانعا بمعيشته، ملازما على حضور الجماعة [صلاة الجمعه] والصلوات فى المسجد. توفى يوم الأربعاء سابع عشرين شوال وصلى على بمصلى أيوب بك ودفن بالقرافة عند الطحاوى.

٣٦٢ حسن كتخدا القازدغلى.

[ومات] الأمير/ حسن كتخدا مستحفظان القازدغلى الملقب بقرا، وكان من الأمراء الكبار أصحاب الحل والعقد بمصر فى الزمن السابق وانقطع فى بيته عن المقارشة والتداخل فى الأمور، وكان مريضا بمرض الأكلة فى فمه؛ ولذلك تركه على بك وأهمله حتى مات يوم الثلاثاء ثالث عشر ذى القعدة من السنة عن ذلك المرض وورم فى رجليه أيضا، ودفن فى يومه ذلك بالقرافة.

٣٦٣ مصطفى أفندى الأشقر.

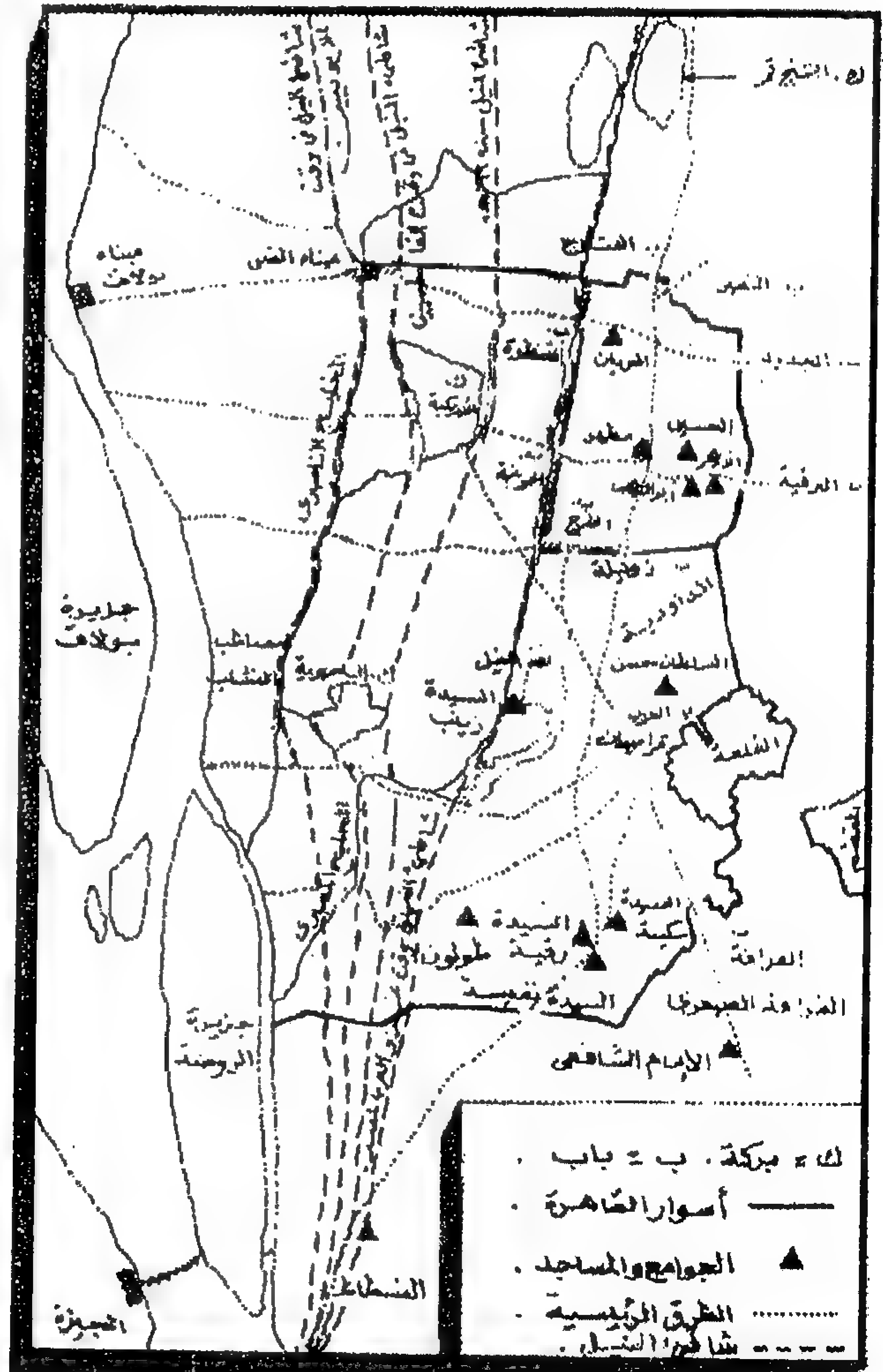
[ومات] أيضا مصطفى أفندى الأشقر كاتب ديوان / على بك ، خنقه خليل باشا بالقلعة فى سابع عشرين جمادى الأولى بموجب مرسوم من الدولة؛ حضر بطلب رأسه ورأس عبد الله كتخدا ونعمان أفندى ومرتضى أغا فوجد محمد بك أمضى الأمر فى عبد الله كتخدا، ونعمان أفندى ومرتضى اغا؛

ونعمان افندى ذهب إلى الحجاز إثر موت على بك، وكذلك مرتضى أغا اختفى وتغيب وذهب من مصر ولم يعلم له مكان، واستمر المترجم فطلبه الباشا (٩١٥) إلى الميرى فلما حضر إليه أمر بخنقه فخنقو وسلخوا رأسه ودفنوه بالقرافة وأخذ موجوداته الباشا إلى الميرى.

٣٦٤ اسماعيل الوهبى الخطاط.

[ومات] الأجل المبجل المجيد الضابط الماهر / اسماعيل بن عبد الرحمن الرومى الأصل ثم المصرى المكتب الملقب بالوهبى شيخ الخطاطين بمصر، كتب الخط وجوده على شيخ عصره السيد محمد النووى، وبرع واجتهد ، واشتغل قليلا بالعلم كت بيده المصاحف مرارا، وأما نسخ الدلائل والأحزاب والأوراد السبعة فمما لا يحصى كثرة، وكان إنسانا حسنا بشوشا محبا للناس فيه مكارم الأخلاق وطيب النفس، كتب عليه غالب من بمصر من أهل الكتابة، وكان صاحب نفس وهمة عالية وكان يلى منصب سيد فى الخدمة العسكرية، وكتب عدة ألواح كبار وتوجه بها بإشارة بعض أمراء مصر إلى المدينة المنورة، فعلقها فى المواجهة الشريفة بيده، ونال بهذه الزيارة الشريفة والخدمة المنيفة سرورا وشرفا، ولما كان سنة إحدى وثمانين ومائة وألف أتى الأمر من صاحب الدولة بتوجيه بعض عساكر مصرية تقوية للمجاهدين، فكان هو من جملة المعينين فيهم رئيسا فى طائفتهم، فتوجه إلى الاسكندرية وركب منها إلى الروم وأبلى فى تلك السفرة بلاء حسنا وبعد مدة أذن لهم بالانصراف فعاد إلى مصر وقد وهنت قواه واعترته الأمراض وزاد شكواه، وهو مع ذلك يكتب ويقيد، ويجيز ويعيد، ويحضر مجالس أهلى الخط على عادتهم، وجلس ملازما

لفراشه مدة حتى وافاه الحمام ليلة الأحد سادس عشر ذى الحجة، فجهز وصلى عليه بمشهد حافل فى مصلى المؤمنين، ودفن عند ابى جمرة قرب العياشي فى قبر كان أعده لنفس منذ مدة ولم يخلف بعد مثله رحمه الله.



١١٨٨ هـ.
١٤٩٠ق.
١٧٧٤م
غاية الفيضان قيراط/ ٢٢ ذراع

□ فى هذه السنة صار عزل قراخليل باشا. ثم تولى على مصر مصطفى باشا النابلسى.
□ وفى ٢٧ صفر تبوا لويز السادس عشر على سلطنة فرانسا، بدلا عن جده لويز الخامس عشر، المتوفى فى هذه السنة الافرنكية.
□ فيها الكيارى الانكليزى بريستلى استكشف غاز الاوكسجين.
□ وفى ربيع الثانى اقرت الدولة العلية محمد بك ابا الذهب على بيكابية مصر.
□ فى ١٢ من جماد أول معاهدة صلح كوجك قينارجى بين الترك والروسيا.
□ فى جما الثانى كان سفر قرا خليل باشا من القلزم يقصد جده.
فى شعبان كان انتهاء بناء مدرسة أبى الذهب وبناء جامع الخضيرى.
□ فيها تمم جورج ليزاج اختراع الة التلغراف ولعدم استيفائها لم يتيسر العمل بها.
□ فى هذه السنة تجهز ابو الذهب بجيش جرار للمسير الى البلاد الشامية ومحاربة الظاهر عمر.
□ وفيها كان تجديد جامع الخضيرى ، جدده سليمان افندى ابن الشيخ عبد الرحمن.
□ ١ توت ١٤٩١ = ٩ سبتمبر ١٧٧٤ = الجمعة ٣ رجب سنة ١١٨٨.
□ ١ يناير سنة ١٧٧٥ = ٢٥ كيهك ١٤٩١ = الأحد ٢٨ شوال سنة ١١٨٨.

(سنة ثمان وثمانين ومائة وألف [١٧٧٤م]

استهلت ووالى مصر خليل باشا محجوز عليه وليس له فى الولاية إلا الاسم والعلامة على الأوراق، والتصرف الكلى للأمير الكبير محمد بك أبو الذهب والأمرا وأعيان الدولة ومماليكه وإشراقاته، والوقت فى هدو وسكون وأمن، والأحكام فى الجملة مرضية والأسعار رخيّة وفى الناس بقيّة، وستائر الحياء عليهم مرخية، شعر:

وما الدهر فى حال سكون بساكن
ولكن مستجمع لوثوب

ذكر من مات فى هذه السنة

٣٦٥ حسن الجبرتى، والد المؤلف

[ومات] فى هذه السنة الإمام العلامة، والنحرير الفهامة، حامل لواء العلوم على كاهل فضله، ومحرر دقايق المنطوق والمفهوم بتحريره ونقله، من تكحلت بحبره عيون الفتوى، وتشنف المسامع بما عنه يروى، وارتفع من حضيض التقليد إلى ذر الفضايل، وسابق فى حلبة العلوم قصب الفواضل، الروض النضير، الذى ليس له فى ساير العلوم نظير، وهو فى فقه النعمان الجامع الكبير، عمدة الأنام، وفيلسوف الإسلام، سيدى ووالدى بدر الملة والدين أبو التدانى/ حسن بن برهان الدين ابراهيم بن الشيخ العلامة حسن بن الشيخ نور الدين على بن الولى الصالح شمس الدين محمد بن الشيخ زين الدين عبد الرحمن الزيلعى الجبرتى العقيلى

* يسمى مؤلف المقريزى «نبذة من أخبار الطايفة القايمة بالملة الاسلامية ببلاد الحبشة وقد نشر ضمن كتاب «القبايل العربية فى بلاد النوبة والحبشة» للدكتور عبد المجيد عابدين.

حقائق عن عبدالرحمن الجبرتى للدكتور محمد أنيس نشره بالمجلة التاريخية المصرية المجلدات ١٠/٩ مستمدة من وثائق المحكمة الشرعية

على الرغم من أن المؤرخ المصرى عبد الرحمن الجبرتى قد ألقى أضواء ساطعة على البيئة الخاصة والبيئة العلمية التى نشأ فيها عند ترجمته لوالده الشيخ حسن الجبرتى وفى مواضع متفرقة من تراجم شيوخ عصره، إلا أنه لا يكاد يذكر شيئا عن حياته بعد ذلك. فالجبرتى يختفى فى عجايب الآثر اختفاء يكاد يكون تاما، الأمر الذى يجعل الكتابة عن سيرته أمرا عسيرا للغاية. ويزيد من صعوبة هذا الأمر أن المعاصرين للجبرتى أو حتى القريبين منه لم يكتبوا عنه إلا فى القليل النادر. ولذلك يبدو البحث والتنقيب فى وثائق المحكمة الشرعية حول أملاك وأوقاف الجبرتية من الأهمية بمكان فى هذا الشأن. والملاحظات التى يتضمنها هذا المقال حول حياة الجبرتى، مستمدة من عدد من الوثائق الموجودة بدفتر خانة المحكمة الشرعية بالقاهرة.
وقد نشرنا فقط خمس وثائق فى اخر المقال مع محاولة مقابلة لقرائتها، وهذه هى النصوص الأصلية لبعض الوثائق . أما الوثائق الأخرى التى لم ننشرها واكتفينا بالإشارة إلى

الحنفى، وبلاد الجبرت هى بلاد الزيلع بأراضى الحبشة تحت حكم الحطى ملك الحبشة، وهم عدة بلاد معروفة تسكنها هذه الطايفة وهم المسلمون بذلك الاقليم ويتمذهبون بمذهب الحنفى والشافعى لاغير ، وينسبون إلى سيدنا أسلم بن عقيل بن أبى طالب، وكان أميرهم فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم النجاشى المشهور الذى آمن به ولم يره، وصلى عليه النبى صلاة الغيبة كما هو مشهور فى كتب الأحاديث، وهم قوم يغلب عليهم التقشف والصلاح، ويأتون من بلادهم بقصد الحج والمجاورة فى طلب العلم، ويحجون مشاة، ولهم رواق بالمدينة المنورة، ورواق بمكة المشرفة، ورواق بالجامع الأزهر بمصر ، وللحافظ المقريزى مؤلف فى أخبار بلادهم وتفصيل أحوالهم ونسبهم.

ومنهم القطب الكبير والمعتقد الشهير الشيخ اسماعيل بن سود كين الجبرتى تلميذ الشيخ ابن العربى ويسمى قطب اليمن، والشيخ عبد الله الذى ترجمه الحافظ السيوطى فى حسن المحاضرة، وهو الذى كان يعتقده الملك الظاهر برقوق، وأوصى عند موته بأن يدفن تحت قدمه بالصحراء، ومنهم الولى العارف الشيخ على الجبرتى الذى كان يعتقده السلطان الأشراف قايتباى وارتحل إلى بحيرة إدكو فيما بين رشيد والاسكندرية وبنى هناك مسجدا عظيما ووقف عليه عدة آماكن وقيعان وأنوال حياكة وبساتين ونخيل كثيرة، وهو موجود إلى الآن عامر بذكر الله والصلاة، وهو تحت نظر الفقير إلا أن غالب أماكنه زحفت عليها الرمال وطمستها وغابت تحتها، وفيه إلى الآن بقية صالحة، وبنى أيضا مسجدا شرقى عمارة السلطان قايتباى ودفن به، وقد خرب وانطمس معالمه (ص٩١٨) ولم يبق إلا مدفنه،

أرقامها فى دفاتر المحكمة الشرعية ، فهى ليست الصور الأصلية بل منقولة فى هذه الدفاتر عن الأصل. والوثائق الأصلية التى عنينا بنشرها هنا هى : أولا ـ حجة بيع عبد الرحمن الجبرتى لمنزل والده (وهو المنزل المعروف ببيت الجبرتية بالصنادقية) عام ١٢٠١هـ. وقد كتب على هامش الحجة ما يفيد أن عبد الرحمن الجبرتى قد استرده فى العام التالى أى فى سنة ١٢٠٢هـ. ثانيا ـ والوثيقة الثانية حجة بيع نفس البيت على يد ورثة الجبرتى فى سنة ١٢٩٩هـ. ثالثا ـ والوثيقة الثالثة تشمل حجة شراء عبد الرحمن الجبرتى لمنزل اخر بالصنادقية فى سنة ١٢٢٣هـ. رابعا ـ والوثيقة الرابعة تشمل حجة الأيلولة الصادرة فى سنة ١٢٥٧هـ. لورثة عبد الرحمن الجبرتى والخاصة بذلك البيت الذى اشتراه فى سنة ١٢٢٣هـ . خامسا ـ والوثيقة الخامسة تشمل حجة بيع المنزل المذكور فى الوثيقة الرابعة على يد ورثة عبد الرحمن الجبرتى فى نفس السنة أى فى سنة ١٢٥٧هـ.

أولا ـ سنة وفاة عبد الرحمن الجبرتى:
ذكر مترجمو عجايب الآثار إلى الفرنسية ـ دون الإشارة إلى أى مرجع لقولهم ـ أن الشيخ عبد الرحمن الجبرتى قتل أثناء عودته من قصر محمد على فى شبرا فى ليلة ٢٧ رمضان سنة ١٢٣٧هـ (٨ يونيو ١٨٢٢) ، وان انكروا أن ذلك قد حدث بإيعاز من محمد على باشا. وأخذ عنهم هذه الرواية، فيما يبدو ، المستشرق الانجليزى مكدونالد فى ترجمته للجبرتى فى دائرة المعارف الإسلامية، كما أخذ بنفس الرواية فهرس دار الكتب المصرية ١٩٣٠ ولويس شيخو فى كتابه الأدب العربى فى القرن التاسع عشر.

ومن المؤكد أن هذا الزعم خاطئ من أساسه. فالمراجع المعاصرة تؤكد ، مستقلة عن بعضها البعض، أن عبد الرحمن الجبرتى كان يحيا بعد ذلك التاريخ . فقد ذكر الرحالة الإيطالى GIAMBATISTA BROCCHI الذى زار مصر فى ديسمبر ١٨٢٢، فى يومياته بتاريخ أول ديسمبر أى يوم زيارته لعبد الرحمن

الجبرتي (١٦ ربيع أرل ١٢٣٨ه) ما يلي (زودني المسيو دروفتي في الاسكندرية برسالة إلى عالم عربي هو عبد الرحمن الجبرتي وقال لي أنه ضليع في علم الهيئة ، فما عتمت أن زرته بصحبة الخواجه مسرة ترجمان القنصلية الفرنسية، وكم كان دهشي عظيما حين وجدت هذا الفلكي أعمى.
فسألته إذا كان لدى الفلكيين في مصر الات يرصدون بها حركات الكواكب، فقال إنه ليس لديهم شيء منها وأن الذين ينصرفون إلى هذا العلم قليلون وقد يكون لدى بعضهم بعض الات مجلوبة من أوروبا.
فسألته إذا كان في إمكانهم أن يعرفو مواعيد الكسوف والخسوف؟ فأجاب نفيا. فسألته أيضا إذا كانوا يضعون التقاويم للجماهير؟ فقال إن لديه بعضها ولكن ليس فيها تقويم خاص) إلى أن قال (على أني لم أرد إطالة الحديث مع هذا الشيخ الطيب الذى قيل لي عنه إنه أعلم بالتاريخ العربي المصرى منه بعلم الفلك وأن له كتابا موثوقا به) . كذلك ذكر جورجي زيدان أنه وجد في مكتبة محمد بك عاطف في القاهرة مخطوطا راجعه الجبرتي بنفسه وأتم مراجعته (أطال الله في عمره) بتاريخ السبت ١٤ ربيع الأول سنة ١٢٤٠ ه(٦ نوفمبر ١٨٢٤) ومن الروايا التي تنفي وفاة الجبرتي في سنة ١٢٣٧ هـ ما ذكره اسكندر كاردين A.cardin المترجم والمستشار بالقنصلية الفرنسية بالاسكندرية الذى ترجم الجزء الثالث من عجائب الآثار إلى الفرنسية ونشره في عام ١٨٣٥م، فقد قال في مقدمة ترجمته أنه علم من أسرة الجبرتي أن أحد أبناء الجبرتي قتل في ليلة من ليالي رمضان سنة ١٢٣٨ هـ وأن الجبرتي حزن عليه حتى فقد بصره ولم يعش طويلا بعد ذلك.
أما الذين حددوا تاريخا آخر لوفاة الجبرتي ففي مقدمتهم المستشرق الإنجليزى ادوارد وليم لين W. Lane فقد ذكر عند كلامه عن الجبرتي انه توفى في سنة ١٨٢٥ أو سنة ١٨٢٦ (١٢٤٠ ـ ١٢٤١هـ) ، ولعل السبب في تردد لين في هذا التحديد يرجع

وحوله حايط متهدم بغير باب ولا سقف، وقبره ظاهر مكشوف يزار وللناس فيه اعتقاد عظيم، ومن كراماته التى أكرمه الله بها أنه يرى على قبره فى بعض الليالى المظلمة نور مثل قنديل المستنير، يرى ذلك سكان العمارة وغيرهم وهو أمر مشهور، ومنها أن السفار وقوافل الأعراب ينزلون بأحمالهم حول قبره فى الحوطة ويتركونها من غير حارس ليالى وأياما آمنين، فلا يتعدى عليها سارق ألبتة، ويعتقدون العطب للجانى فى بدنه أو ماله، وهو أمر مشهور أيضا مقرر فى أذهانهم إلى الآن.

ومنهم الامام الحجة المجتهد الفقيه الجدلى صاحب التصحيح والترجيح فخر الدين أبو عمر وعثمان الحنفى الزيلعى شارح الكنز المسمى بتبيين الحقايق شرح كنز الدقايق المدفون بحوطة سيدى عقبة بن عامر الجهنى والشيخ الزيلعى الشافعى المدفون بالقرافة الكبرى، وغير هؤلاء كثير ببلادهم وأرض الحجاز ومصر، والقصد بذلك التعريف بالنسبة ، قال تعالى «وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم». والنجاشى أول من آمن بالنبى صلى الله عليه وسلم من الملوك ولم يره، وأسلم على يد ابن عمه جعفر بن أبى طالب وزوجه أم حبيبه رضى الله عنها وجهزها من عنده وأرسلها للنبى من الحبشة إلى المدينة، ومن أراد الاطلاع على أخبار النجاشى رضى الله عنه مع النبى صلى الله عليه وسلم وهداياه إلى النبى وهدايا النبى إليه وبعض أخبار الحبشة (ص٩١٩) وما ورد فيهم من الآيات والأحاديث والآثار، فلينظر فى كتاب الطراز المنقوش فى محاسن الحبوش للإمام العلامة علاء الدين بن

محمد بن عبد الله البخارى خطيب المدينة المنورة، و«رفع شأن الحبشان» للعلامة جلال الدين السيوطى، «وتنوير الغبش فى فضايل السودان والحبش» لابن الجوزى، وفى تفسير البغوى أخرج أبو داود عن عائشة رضى الله عنها قالت: «لما مات النجاشى كنا نحدث أنه لا يزال يرى على قبره نور، وفى «أزهار العروش» من عرف اسمه من الصحابة من الحبوش ومن عبيده صلى الله عليه وسلم.

ومنهم أحد كبار المجاهدين والمهاجرين بلال بن رباح مؤذن رسول الله عليه وسلم ومولى أبى بكر الصديق، وهو أول من أذن فى الإسلام وأول من ثوب [اى قال: الصلاة خير من النوم] فى الفجر كما فى الأوايل للسيوطى ، وكان خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيت المال كما فى تهذيب الأسماء واللغات، وكان يبدل الشين بالسين، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى شأنه : «شين بلال سين عندى وعند الله» وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول «كان أبو بكر سيدنا واعتق سيدنا» يعنى بلالا، وروى عنه كثير من الصحابة. ومنهم ابو بكر وعمر وعلى وابن مسعود وابن عمر وأسامة بن زيد وجابر وأبو سعيد الخدرى وكعب بن عرفجة والبراء بن عازب وغيرهم وجماعة من التابعين رضى الله عنهم أجمعين. ومنهم شقران بضم الشين المعجمة مولى رسول الله (ص٩٢٠) واما خدمه من الحبشة الأحرار فكثيرون ، وكذلك الصحابيات من إمائه وأهل بيته، ومنهم أم أيمن ذات الهجرتين وهى مرضعته وحاضنته، وحليمة السعدية وثويبة وبركة جارية أم حبيبة، وبريرة مولاة عائشة رضى الله عنها،

إلى أنه وصل القاهرة يوم ٢ أكتوبر ١٨٢٥م. كذلك يحدد الحضراوى فى كتابه (نزهة الفكر) الوفاة بسنة ١٢٤١ هـ وذلك عند ترجمته لعبد الرحمن اذ يقول: (ثم صنف جملة مصنفات منها تاريخه فى مصر وأمرائها وقائعها وترجم فيه لمن أدركهم من مشايخ وقته وسماه عجايب الآثار فى التراجم والأخبار وهو فى أربع مجلدات من ابتداء سنة ١١٠٠ إلى سنة ١١٣٧. ثم عمى الشيخ المذكور فترك الكتابة فيه ثلاث سنوات إلى ١١٤٠. وهذا (ما) أخبرنى (به) أمين أفندى الحلوانى المدنى - ومازال فى عز وتمكين لمواظبته على الدروس بالأزهر فانتفع به الناس وكثرت تلامذته وبعد صيته إلى أن توفى سنة ١٢٤١ بمصر المحروسة ودفن بالمجاورين). غير أن وثائق المحكمة الشرعية تجعلنا نقطع بأن عبد الرحمن الجبرتى توفى فى عام ١٢٤٠هـ. وعلى وجه التحديد فيما بين غرة ربيع الثانى (٢٣ نوفمبر ١٨٢٤هـ) و٢٧ رمضان من سنة ١٢٤٩هـ (١٤ مايو ١٨٢٥) - ونحن نستند فى هذا التحديد على وثيقتين. الوثيقة الأولى تؤكد أن الجبرتى كان حياً حتى غرة ربيع الثانى من سنة ١٢٤٠هـ. تقول الوثيقة (٥) (بين يدى مولانا قايم مقام، ادعى فخر الفضلا الكرام الشيخ محمد شهاب الدين القبانى بخط الجمالية ابن المرحوم الشيخ إسماعيل شهاب الدين وهو الوكيل الشرعى عن سيدنا ومولانا الامام العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتى الحنفى ابن مولانا العلامة المغفور له الشيخ حسن الجبرتى الحنفى ابن المرحوم الشيخ إبراهيم وهو الناظر الشرعى يومئذ على وقف جدته لوالده المذكور... فى شان ماسيذكر بين يدى مولانا أفندى المومى إليه) وفى آخر الوثيقة (تحريراً فى غرة ربيع الثانى سنة اربعين ومايتين وألف). ولعل ماورد فى هذه الوثيقة من توكيل الشيخ عبد الرحمن الجبرتى للشيخ محمد شهاب الدين القبانى يؤكد ماذكره كل من كاردن وبروكى والحضراوى من أن الجبرتى كان قد فقد بصره فى الأيام الأخيرة من حياته. أما الوثيقة

الثانية فهي إقرار لنظارة أبناء الجبرتي على بعض الأوقاف التي كان الشيخ عبد الرحمن ناظرًا عليها ثم انتقلت نظارتها إلى أولاده من بعده، وقد صدر هذا الاقرار في ٢٧ رمضان من سنة ١٢٤٠هـ. تقول الوثيقة (قرر مولانا النايب المولخلافه (المولى خلافه) بمعرفة واطلاع حضرة سيدنا ومولانا الأستاذ الأعظم والملاذ الأفخم... قرر مولانا أفندى المولخلافة كلا من المكرم محفوظ وأخته لوالده الحرمة أمان المرأة ولدى المغفور له الشيخ عبد الرحمن الجبرتي نجل المغفور له العلامة الشيخ حسن الجبرتي الحنفي الأزهرى كان، وولدى أخيهما المرحوم خليل أفندى نجل الشيخ عبد الرحمن الجبرتي المشار إليه [illegible] والمصونة فاطمة سوية بينهم في النظر والتحدث على وقف كل من العارف بالله تعالى...) وفي آخر الوثيقة (تحريرًا في سابع عشرين رمضان سنة أربعين ومايتين وألف).

وهكذا تقطع هاتان الوثيقتان بأن عبد الرحمن الجبرتي توفى فيما بين الأول من ربيع الثاني سنة ١٢٤٠هـ والسابع والعشرين من رمضان من نفس السنة (٢٣ نوفمبر ١٨٢٤ ـ ١٤ مايو ١٨٢٥) وهذه الحقيقة يجب أن تضع حدًا الآن للجدل الطويل حول سنة وفاة الجبرتي، وان كنا نأمل أن يصل باحثون بمزيد من التنقيب في أوراق المحكمة الشرعية إلى تحديد يوم الوفاة.

وعلى ذكر سنة وفاة الجبرتي يحسن بنا هنا أن نذكر شيئا عن قبره لما تحمله القبور عادة من دلالة تشير إلى تاريخ وفاة ساكن القبر. فلا شك في أن عبد الرحمن الجبرتي مدفون بمقبرة الجبرتية المعروفة لليوم، وهي ببستان العلماء بالمجاورين (ويسميه الجبرتي في ترجمته لمعاصريه «البستان» أو بستان المجاورين). فلقد ذكر الحضراوى في ترجمته للجبرتي (ودفن بالمجاورين)، وإلى جانب ذلك فقد ذكر الجبرتي نفسه في ترجمته لوالده الشيخ حسن الجبرتي (ودفن عند أسلافه بتربة الصحراء بجوار الشمسي البابلي والخطيب الشربيني) ومقبرة الجبرتية المعروفة

ونبعة جارية أم هانىء بنت أبي طالب، وغفرة وسعيرة، وكذلك عبيد الصحابة، ومنهم مهجع بكسر الميم وفتح الميم مولى عمر بن الخطاب، وهو أول من استشهد ببدر وكان من المهاجرين الأولين، وعده النبي صلى الله عليه وسلم من سادات أهل الجنة وقال في شأنه «يوم قتل سيد الشهداء مهجع، وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة». ومنهم أسلم مولى عمر بن الخطاب وأيمن الحبشي المكي والد عبد الواحد بن أيمن، ويسار مولى المغيرة بن شعبة، أخرج الحسن ابن محمدالخلال في كرامات الأوليا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال لي يأبا هريرة يدخل عليّ الساعة من هذا الباب رجل من أجل السبعة الذين يدفع الله عز وجل عن أهل الأرض بهم الأذى. فإذا حبشي قد طلع من ذلك الباب أقرع أجدع على رأسه جرة فيها ماء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يأبا هريرة هو هذا ثم قال مرحبا بيسار ثلاث مرات وكان يرش المسجد ويكنسه، ومات في عهده صلى الله عليه وسلم. وأما الصحابة الأحرار من الحبوش الأخيار الذين كانوا يخدمون الرسول وأصحابه وأهل بيته فكثيرون جدا لا يمكن استيعابهم (ص٩٢١) في هذا الاطراد ضبطا وعددا، وكذلك أبناء الحبشيات من قريش من الصحابة والتابعين وأهل البيت الطاهرين والخلفاء العباسيين، ومن ولد بأرض الحبشة من الصحابة من الحبشيات مثل صفوان ابن أمية بن خلف الجمحي وعمرو بن العاص وغيرهما مثل عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وهو أول مولود في الإسلام بأرض الحبشة بالاتفاق، وكان يسمى بحر الجود وأخباره في السخاء والكرم مشهورة،

والحرث بن حاطب الصحابى ومحمد بن حاطب وعمرو بن أبى سلمة.

وفى الحبوش أخلاق لطيفة وشمايل ظريفة، وفيهم الحذق والفطانة ولطافة الطباع وصفاء القلوب لكونهم من جنس لقمان الحكيم، وهم أجناس منهم السحرتى والأمحرى [الامهرى]، وهم أحسن أجناس الحبوش الموصوفين بالصباحة والملاحة والفصاحة والسماحة والنعومة فى الخد والرشاقة فى القد، ولله در الشيخ العلامة القاضى عبد البر بن الشحنة الحنفى حيث يقول:

حبشية ساءلتها عن جنسها
فتبسمت عن در ثغر جوهرى
فطفقت أسأل عن نعومة ما خفى
قالت فما تبغيه جنسى أمحرى

والأمحرية تفوق على السحرتية باللطف والظرف، والسحرتية تفوق على الأمحرية بالشدة والعنف، فبينهما عموم وخصوص مطلق، وقيل إن النجاشى منهم رضى الله عنه، ويقال إن بنى أرفدة الذين لعبوا بحرابهم بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفازوا بخطابه (ص٩٢٢) أعنى قوله لهم «دونكم يابنى أرفدة» منهم، ويقرب من هذين النوعين نوعان آخران نوع الدموات وبلين ونوعان آخران وهما قمو وقتر ونوع آخر يسمى أزاره، وقال الشيخ شهاب الدين البزاعى من أبيات:

وخد ما حلا من بنات الحبو
ش من جلب زيلع أو من أزاره

وقال غيره:

ياسائلى عن زيلع

الآن تقع على بعد خطوات من قبر الخطيب الشربينى.

وتشتمل هذه المقبرة بوضعها الحالى، أى بعد العمارة التى قامت بها وزارة الثقافة والإرشاد القومى فى عام ١٩٥٨ باقتراح من العالم الأثرى الكبير الأستاذ حسن عبد الوهاب، على حوش مسقوف به قبران، على أحدهما تركيبة على غرر تركيبات العصر العثمانى المتأخر، والآخر عليه تركيبة بسيطة قصد بها الإشارة إلى وجود قبر. وكان على الجانب الغربى من قبر صاحب التركيبة الكبيرة قطعة من الرخام نقشت عليها ستة أبيات عن الشيخ حسن الجبرتى. ولكن مما يؤسف له حقا أن هذه اللوحة الرخامية قد انتزعت انتزاعا من التركيبة، عند بناء عمارة وزارة الثقافة فى عام ١٩٥٨، ووضعت فوق باب الحوش من الخارج - ليس هذا فقط، بل لقل الجانب الغربى من التركيبة إلى الجانب الشرقى للمقبرة على يسرة الداخل إلى الحوش من الباب الخارجى - والأصل يجب أن تكون له حرمته دائما. أما أبيات الدعاء للشيخ حسن الجبرتى والمنقوشة على اللوحة الرخامية فتقول:

يارب امطر سحب الرضى على
رمس حوى رئيس كل مفتى
علامة الدنيا جمال أهلها
مبارك الذات حميد النعت
السيد الذى بنور هديه
بت ظلام الغى أى بت
هو الجبرتى الإمام حسن
كشاف هم من إليه يأتى
عليه من رب العباد رحمة
تحيطه من الجهات الست
ما وحد المؤمن ربه وما
أرخت بشرى لك ياجبرتى

وتاريخ الوفاة فى الشطر الثانى من البيت الأخير ابتداء من (بشرى)= ١١٨٨هـ.

وكان الأستاذ حسن عبد الوهاب قد كتب مقالا فى جريدة الأهرام ذكر فيه أنه يعتقد أن عبد الرحمن الجبرتى مدفون فى القبر الثانى الذى ليست عليه تركيبة كبيرة حيث أن

والده مدفون فى القبر الاول الذى يحمل على أحد جانبيه الأبيات الشعرية السابقة ـ والحقيقة أنه ليس هناك ما يدل على ذلك فالقبران يحويان الجبرتية حتى قبل الشيخ حسن كما هو واضح من قول المؤرخ فى ترجمته لأبيه (ودفن عند أسلافه بتربة الصحراء).

والأرجح أن الشيخ عبد الرحمن دفن مع أبيه فى نفس المقبرة. أما لماذا لم يوجد نقش على المقبرة يفيد هذا المعنى؛ فلعله يرجع إلى اكتفاء أبناء عبد الرحمن الجبرتى بتلك الإشارة السابقة إلى الشيخ حسن الجبرتى أو لعله يرجع إلى الظروف الخاصة بتلك الإشارة السابقة إلى الشيخ حسن الجبرتى أو لعله يرجع إلى الظروف الخاصة التى أحاطت بوفاة الشيخ عبد الرحمن وفى مقدمتها التفكك الواضح الذى حدث فى أسرة الجبرتى بعد وفاة المؤرخ والذى نلمسه بوضوح فى حجج بيع أملاكه بالصنادفية .

ثانيا ـ أسرة الجبرتى:

تضيف وثائق المحكمة الشرعية بعض المعلومات الجديدة بالنسبة لأسرة المؤرخ.فقد ذكر المؤرخ فى ترجمته لوالده الشيخ حسن الجبرتى أن جده أم أبيه (الحاجة مريم بنت الشيخ العمدة الضابط محمد بن عمر المنزلى الانصارى) كان لها شأن كبير فى نشأة حسن وهى التى أوقفت عليه أوقافا كثيرة. والوثائق تذكرها باسم (المصونة الحاجة مريم خاتون بنت المرحوم شمس الدين المنزلى رئيس السادة الكتاب بمحكمة الصالحية النجمية) كذلك يذكر الجبرتى فى ترجمه لوالده (وتزوج بنت رمضان جلبى يوسف المعروف بالخشاب تابع كور محمدو هم بيت مجد وثروة ببولاق) ولم يذكر الجبرتى اسم هذه الزوجة. ولكن الوثائق تذكر اسمها (صفية خاتون بنت المرحوم رمضان جلبى الشهير بالخشاب).

كذلك يتضح من الوثيقة رقم (٤) والوثيقة رقم (٥) أن عبد الرحمن الجبرتى توفى عن ولد هو محفوظ وابنة هى أمان، وأنهما اشتركا مع زوجته المسماة شوق فى وراثة

وعن طريق الحبشه
صحبتها وصيفه
بحسنها مشربشه
تذكر أن أصلها
من فتيات الأنجشه
وعمها الخال فيا
طوبى لمن قد خمشه
وخدها لو مر فيـ
ـه الوهم يوما خدشه

«عودة وانعطاف»

إن الشيخ عبد الرحمن وهو الجد السابع لجامعه واليه ينتهى علمنا بالأجداد ، هو الذى ارتحل من بلاده ووصل إلينا خبره سلفا عن خلف، فقدم من طريق البحر إلى جدة وانتقل إلى مكة فجاور بها وحج مرارا وذهب أيضا إلى المدينة المنورة فجاور بها سنتين، ولقى من لقى بالحرمين من الأشياخ وتلقى عنهم ، ثم رجع إلى جدة وحضر إلى مصر من طريق القلزم فدخل إلى الجامع الأزهر فى أوايل العاشر وجاور بالرواق ولازم حضور الأشياخ واجتهد فى التحصيل وتولى شيخا على الرواق والتكلم على طايفته وتزوج وولد لهن. فلما مات خلف ولده الشيخ شمس الدين محمد، ونشأ على قدم الصلاح والاشتغال بطلب العلم، وتولى مشيخة الرواق كوالده، وأنجب وأقرأ دروسا فى الفقه (ص٩٢٣) والمعقول بالرواق وكان على غاية من الصلاح وملازمة الجماعة والسنن ولا يبيت عند عياله إلا ليلة أو ليلتين فى الجمعة، وغالب لياليه يبيتها بالرواق لأجل الاشتغال بالمطالعة أول الليل على السهارة والتهجد آخره، ومما اتفق له وعد من كراماته أن السِّراجَ انطفأ

فى بعض الليالى الشتوية فأيقظ النقيب لُيسْرِج له سراجا فقام من نومه منكرها وأخذ قنديلا وذهب ليسرجه فلما عاد به وقرب من الرواق رأى نورا فستر ذلك القنديل ونظر إليه من بعد لينظر من أين أتاه الإسراج فوجده يطالع فى الكراس وهو فى يده اليسار وسبابة يده اليمنى رافعها وهى تضىء مثل الشمعة المستنيرة ويطالع فى نورها ثم دخل النقيب بالقنديل فاختفى ذلك الضوء وعلم الشيخ ذلك من النقيب فعاتبه على التجسس وأشار إليه بكتمان سره، ولم يعش الشيخ بعد ذلك إلا قليلا، وتوفى إلى رحمة الله تعالى وخلف ابنه الشيخ على فنشأ أيضا على قدم أسلافه فى ملازمة العلم والعمل وصار له شهرة وثروة وتزوج بزينب بنت الإمام العلامة القاضى عبد الرحيم الجوينى، ومات فى حياة أخيه سنة تسع وثمانين وألف، وكان لزينب الجوينية أماكن جارية فى ملكها وقفتها على ولدى زوجها المذكورين، ولما توفى الشيخ حسن أعقب الجد ابراهيم (ص٩٢٤) رضيعا فكفلته والدته الحاجة مريم بنت الشيخ العمدة الضابط محمد بن عمر المنزلى الانصارى، فنشأ أيضا نشوءا صالحا حتى بلغ الحلم فزوجوه بستيتة بنت عبد الوهاب أفندى الدلجى فى سنة ثمان ومائة وألف ، وبنى بها فى تلك السنة وحملت بالمترجم وولدته فى سنة عشر ومائة وألف، ومات والده وعمره شهر واحد وسن والده إذ ذاك ست عشرة سنة فربته والدته بكفالة جدته أم أبيه المذكورة ووصاية الإمام العلامة الشيخ محمد النشرتى، وقرروه فى مشيخة الرواق كأسلافه والمتكلم عنه الوصى المذكور فتربى فى حجورهم حتى ترعرع وحفظ القرآن وعمره عشر سنين، واشتغل بحفظ المتون فحفظ الألفية الجوهرية ومتن كنز الدقايق فى الفقه ومتن السلم والرحبية ومنظومة ابن الشحنة فى الفرايض وغير ذلك، واتفق له فى أثناء ذلك وهو ابن ثلاث عشرة سنة أنه مر مع خادمه بطريق الأزهر فنظر إلى

الشيخ عبد الرحمن، فباعوا منزله الجديد بالصنادقية عام ١٢٥٧هـ، كما يتضح ذلك أيضا (أى أنهم الورثة الوحيدون) من حجة الأيلولة فى البيت القديم بالصنادقية التى صدرت فى سنة ١٢٦٠هـ. كذلك يتضح من هذه الوثائق أن محفوظ هو ابن السيدة شوق وهو ليس شقيقا لخليل الجبرتى أو أمان الجبرتى. وكان الأستاذ خليل شيبوب قد كتب عن أولاد الجبرتى (فقد توفرت لدينا معلومات خاصة تدل على أن عبد الرحمن توفى عن ابنيه (حسن ومحفوظ). ولكن الوثيقة رقم (٢) تؤكد خطأ هذا الزعم، لأن محفوظ هو الوريث الوحيد للجبرتى من الذكور ـ أما حسن الذى ذكره شيبوب فمن الواضح من نفس الوثيقة أنه لم يكن ابن الشيخ عبد الرحمن وإنما كان ابنا لزوجته شوق من زوجها حموده رجب.
كذلك تبدو أهمية هذه الوثائق فى تحديد ابن الجبرتى الذى قتل عام ١٢٣٧ه فى طريق شبرا ـ فما دام محفوظ هو الابن الذى عاش بعد أبيه فلابد أن يكون قتيل شبرا هو خليل الذى ذكره الجبرتى فى تاريخه عند ترجمته لعلى بن عبد الله الرومى الدرويش. وعلى ذكر أحفاد الجبرتى، اعتقد شيبوب أنه لم يبق بعد محفوظ الجبرتى ذرية عصب من عبد الرحمن وأن أولاد توحيدة ابنة محفوظ تكنوا بكنية الجبرتى ـ ولكن الوثيقة رقم (٢) تطالعنا بأن خليل قتيل شبرا كان له ولد اسمه محمد وأن محمدا هذا خلف ولدا اسمه خليل خيرى الذى اشترك فى بيع بيت الجبرتية القديم بالصنادقية سنة ١٢٩٩هـ.
أما بالنسبة لزوجات الجبرتى، فنحن نعلم أن الجبرتى تزوج فى عام ١١٨٢ه.
ولابد أن يكون هذا هو زواجه الأول، فقد ولد عبد الرحمن ـ حسب قوله فى سنة ١١٦٧هـ ـ وقد ذكر الجبرتى فى ترجمته للشيخ عبد الله بن عبد الله ابن سلامة الإدكاوى ما نصه : (ولما زوجنى المرحوم الوالد فى سنة اثنتين وثمانين وألف كتب إليه ال مهنئا ومؤرخا قوله:
ياماجدا أقواله

شيخ مقبل منور الوجه والشيبة وعليه جلالة ووقار طاعن فى السن والناس يزدحمون على تقبيل يده ويتبركون به، فسأل عنه وعرف أنه ابن الشيخ الشرنبلالى، فتقدم إليه ليقبل يده كغيره فنظر إليه الشيخ وتوسمه وقبض على يده وقال «من يكون هذا الغلام ومن أبوه؟ فعرفوه عنه، فتبسم وقال عرفته بالشبه، ثم وقف وقال اسمع ياولدى أنا قرأت على جدك وهو قرأ عَلَى والدى وأحب أن تقرأ علىّ شيا وأجيزك وتتصل بيننا (ص٩٢٥) سلسلة الإسناد وتحلق الأحفاد بالأجداد ، فامتثل إشارته ولازم الحضور عنده فى كل يوم وقرأ عليه متن نور الإيضاح تأليف والده فى العبادا وكتب له الإجازة ونصها : «الحمد لله الذى أنعم على عبده بتوفيقه، وأرشده إلى سواء طريقه، وأذاقه حلاوة التفقه فى دينه وتمام تحقيقه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المنعم بلطايف الإنعام وعظيمه ودقيقه، وأشهد أن سيدنا وسندنا محمد عبده ورسوله الهادى إلى الخير الكامل، والجبر الشامل، فأصبح كل أحد مغمورا فى بحر وجوده، محفوظا من كيد الشيطان وجنوده وتعويقه، على اله الأطهار، وصحابته الأخيار، وبعد فقد حضر لدى الولد النجيب، الموفق اللبيب، الفطن الماهر، الذكى الباهر، سليل العلما الأعلام ، ونتيجة الفضلا العظام، نور الدين حسن بن برهان الدين ابراهيم بن العلامة مفتى المسلمين وإمام المحققين ، الشيخ حسن الجبرتى الحنفى رحم الله أسلافه وبارك فيه، وقرأ على متن نور الإيضاح من أوله إلى آخره تأليف والدى المندرج إلى رحمة الله تعالى سيدى وسندى الإمام العلامة الشيخ حسن بن عمار الشرنبلالى، وأجزته أن يروى ذلك عنى وجميع ما يجوز لى روايته إجازة عامة كما أجازنى به وبفقه أبى حنيفة النعمان رضى الله عنه كما تلقى ذلك هو عن الشيخ على المقدسى شارح (ص٩٢٦) نظم الكنز عن العلامة الشلبى شارح الكنز عن

وفعاله طاب بذكرك
ياكنز طلاب المعا
رف جلها من در بحرك
يهنيك نجلك عابد الر
حمن زاد علا بفخرك
هنيته مليته
متعته يافرد عصرك
زوجته بكر الحا
سن فالثنى يتلو لشكرك
أبقاهما الله الكر
يم منعمين بطول عمرك
هذا هناه محبك الدا
عى لكم بسمو قدرك
والحال قد أرخته
شمس البها زفت لبدرك

وبيت التاريخ قوله (شمس البها زفت لبدرك) ١١٨٢هـ
كذلك نعلم عن زوجة الجبرتى الثانية من ترجمته للشيخ على بن عبد الله الرومى الدرويش الذى زوج الجبرتى ربيبته عام ١١٩٥ه (وهى أم الولد خليل فتح الله عليه) . وشيبوب يعتقد أن الجبرتى لم يتزوج بعد ذلك. ولكن الوثائق رقم (٢) ورقم (٤) ورقم (٥) تذكر السيدة شوق على أنها الزوجة الوحيدة التى عاشت بعد الجبرتى ، وهى ابنة الشيخ نصار نجم، فهى إذا ليست ربيبة عبد الله درويش الرومى الزوجة الثانية. فهل هى الزوجة الأولى التى تزوجها الجبرتى عام ١١٨٢ هـ. لا يبدو ذلك، فهى الزوجة الوحيدة التى عاشت بعد الجبرتى على الأقل لعام ١٢٦٠هـ، هذا إلى جانب أن أحد أبنائها من غير الجبرتى وهو حسين بن حمودة رجب عاش حتى عام ١٢٩٩ه (الوثيقة ٢) واشترك فى بيع بيت الجبرتى القديم بالصنادقية بعد أن ورث أمه فى حصتها فى هذا المنزل. وكل هذا يرجح أنها ليست الزوجة الأولى ، وأغلب الظن أنها زوجة ثالثة ـ كما يرجح أنها تزوجت بحمودة رجب وأنجبت حسن وحسين بعد وفاة الجبرتى وهما المذكورين فى (الوثيقة ٢) وليس قبل زواجها

القاضى عبد البر بن الشحنة عن المحقق الكمال بن الهمام عن سراج الدين قارئ الهداية عن علاء الدين السيرامى عن السيد جلال الدين شارح الهداية ، عن علاء الدين بن عبد العزيز البخارى، عن حافظ الدين صاحب الكنز، عن شمس الإئمة الكردى، عن برهان الدين صاحب الهداية، عن فخر الإسلام البزدوى، عن شمس الأئمة السرخسى، عن شمس الأئمة الحلوانى، عن القاضى ابن على النسفى، عن الإمام محمد بن الفضل البخارى ، عن عبد الله السندموني

عن الأمير عبد الله بن أبيه حفص البخارى عن أبيه المذكور، عن الإمام محمد بن الحسن الشيبانى، عن الإمام أبى يوسف عن الإمام الأعظم أبى حنيفة النعمان بن ثابت رضى الله عنه ، عن الإمام حماد بن سليمان، عن إبراهيم النخعى، عن الإمام علقمة، عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم، عن أمين الوحى جبريل عليه السلام، عن الله عز وجل، وأوصى الولد الأعز بالتقوى ومراقبة الله فى السر والنجوى، والله تعالى يوفقه وينفع به وبعلومه ويهدينا وأياه لما كان عليه السلف الصالح فى أساس الدين ورسومه. قال ذلك الفقير إلى الله تعالى حسن بن حسن الشرنبلالى الحنفى فى ثالث ربيع الأول من سنة ثلاث وعشرين وماية وألف، وتوفى الشيخ فى آخر تلك السنة وقد جاوز التسعين، واشتغل المترجم واجتهد فى طلب العلوم وحضر (ص٩٢٧) أشياخ العصر وتفقه على الإمام العلامة السيد على السيواسى الضرير، وحضر عليه شرح الكنز للعينى والدر المختار وكتاب الأشباه والنظاير لابن نجيم وشرح المنار لابن فرشته وشرح التحرير للكمال بن الهمام

من عبد الرحمن.
أما البنت الوحيدة التى عاشت بعده، فهى أمان حسب ما تفيد الوثائق وهى ليست ابنة لزوجة شوق كما هو واضح. فهل هى أخت شقيقة الخليل؟ ليس هناك ما يؤكد ذلك؛ ولكن من المؤكد أنها لم تخلف من بعدها بدليل أن أخيها غير الشقيق قد ورثها. (الوثيقة رقم ٢).
أما محفوظ الذى يذكر كثير فى هذه الوثائق فمن الواضح أنه ابن الشيخ عبد الرحمن من السيدة شوق. ويبدو أنه كان أصغر سنا من أمان، كما يبدو أنه كان مسئولا إلى حد كبير عن تبديد ثروة الأسرة. فهو الذى با ع بيت والده الجديد بالصنادقية ، وحين باعت ابنته فاطمة (أم فرج) البيت القديم بالصنادقية لم تتسلم شيئا لا هى ولا خليل خيرى بن محمد بن خليل الجبرتى لأن حصتهما كانت دينا على محفوظ.
ثالثا ــ عبد الرحمن الجبرتى:
لا تحمل هذه الوثائق توقيع الشيخ عبد الرحمن الجبرتى لأن حجج هذا العصر كانت تحمل توقيع الشهود فقط ــ وتشير إلى لقب للشيخ عبد الرحمن ــ لا نراه فى كتب التاريخ ــ وهو زين الدين (الوثيقة رقم ٣). كما تشير هذه الوثائق إلى المؤرخ بقولها (مولانا العلامة الشيخ عبد الرحمن الشهير بالجبرتى ابن المغفور له الشيخ حسن أفندى الجبرتى الحنفى). كما تشير إليه أيضا بقولها (فخر الفضلا العظام عمدة البلغا الكرام فخر المدرسين الفخام مفيد الطالبين بإفهام زين الشريعة والملة والدين مولانا العلامة الحبر البحر الفهامة عبد الرحمن الشهير بالجبرتى ابن خاتمة المحققين المندرج إلى أعلى عليين المغفور له العلامة الشيخ حسن أفندى الجبرتى الحنفى من أعيان أهل الإفادة والتدريس بالجامع الأزهر هو حالا كوالده المذكور كان) (وثيقة رقم ٣).
ولما كان هذا القول قد ورد فى وثيقة سنة ١٢٣٣هـ (١٨١٨م) فهو دليل على أن عبد الرحمن الجبرتى كان حتى ذلك الوقت وقبل وفاته بسبعة أعوام تقريبا يقوم بالتدريس

في الأزهر.!

ولما كانت هذه الوثيقة هي حجة إتمام شراء الجبرتي لبيته الجديد بالصنادقية فهي دليل على أن الجبرتي حتى عام ١٢٣٣ هـ كان موسرا إلى حد ما، فقد دفع ثمنا له ٩٩٠ ريالا مصريا، تبرع منها بثلاثمائة ريال (على سبيل الصلة والمعروف وقطعا لمادة الخصام والنزاع)، وهي حقيقة تعكس طبيعة الجبرتي الهادئة الكريمة.

كذلك يستنتج مما جاء في الوثيقة رقم (٢) ان الجبرتي تولى مشيخة رواق الجبرتية. فقد ذكرت الوثيقة مايلي(الشيخ عبد الرحمن الجبرتي الحنفي نجل المرحوم الشيخ حسن أفندى الجبرتي الحنفي شيخ رواق السادة الجبرت بالرواق داخل الجامع الأزهر هو كوالده كان) . ويلاحظ كذلك أن جميع الوثائق تشير إلى الشيخ حسن الجبرتي بقولها (حسن أفندى الجبرتي) وهو لقب لم تطلقه هذه الوثائق على الشيخ عبد الرحمن، وكان اللقب لا يطلق إلا على من تولى وظيفة القضاء أو الافتاء.

رابعا: بيتا الجبرتي بالصنادقية

المعتقد بين بحاث التاريخ أنه كان للشيخ عبد الرحمن بيت واحد بالصنادقية، وصفه خليل شيبوب بقوله : «وتقع هذه الدار إلى يمين السالك في الخطة (الصنادقية) من جهة الأزهر على بعد خطوات من مدرسة السنانية قبل خان الجلابة». ومن المؤكد أن هذا المنزل هو الذى ورثه عبد الرحمن عن والده، فقد ذكرته الوثيقة رقم (٢) بقولها (المعروف بإنشاء وتجديد وسكن الشيخ حسن أفندى الجبرتي). ونحن نعلم أن الشيخ عبد الرحمن كان قد رأى في سنة ١١٩١ أن يهدم هذا الدار ليبنيها من جديد وأنه أتم ذلك في سنة ١١٩٢ . فقد ذكر الجبرتي في ترجمته للشيخ مصطفى بن أحمد المعروف بالصاوى ما نصه: «ولما عمر الفقير جامع هذه الشوارد داره التي بالصنادقية بالقرب من الأزهر في سنة إحدى وتسعين ومائة والف عمل المترجم أبياتا وتاريخا قمت بطراز مجلس العقد الداخلي وهي:

وشرح جمع الجوامع ومختصر السعد، وعلى العلامة الشيخ أحمد التونسي المعروف بالدقدوسي الحنفي شرح الكنز للعلامة الزيلعي والدرر لملا خسرو والسيد على السراجية في الفرائض وشرح منظومة بن الشحنة في الفرايض والشنشورى على الرحبية والتلخيص ومتن الحكم وشرح التحفة، وعلى الشيخ على العقدى الحنفي ملامسكين على الكنز ومتن الهداية والسراجية والمنار والنزة في علم الغبار والقلصادى ومنظومة ابن الهايم وعلى الفقيه محمد بن عبد العزيز الزيادى الحنفي ملتقى الأبحر وفتح القدير ، والحكم لابن عطاء الله والقدورى وعقود الجمان في المعاني والبيان وإيساغوجي، وعلى الشيخ الفقيه المحدث الشهاب أحمد بن مصطفى الاسكندرى الشهير بالصباغ شرح الكبرى وأم البراهين وشرح العقايد والمواقف وشرح المقاصد للسعد والكشاف والبيضاوى والشمايل والصحيحين رواية ودراية والأربعين النووية والمشارق والقطب على الشمسية والمواهب اللدنية وشرح النخبة، وعلى الشيخ منصور المنوفي شرح ابن عقيل على الألفية والشيخ خالد على الآجرومية والأزهرية والتوضيح وشرح تصريف العزى وشرح التلمسانية (ص٩٢٨) والخبيصي على التهذيب، وشيخ الإسلام على الخزرجية، وعلى الشيخ عيد النمرسي شرح الورقات والسمرقندية وآداب البحث والعضدية والعصام على السمرقندية وعلم الجبر والمقابلة والعروض وأعمال المناسخات والكسورات والأعداد الصم والغربال والمساحة والحساب، وعلى الشيخ شلبي البرلسي تلخيص المفتاح والمطول والتجريد، وعلى الشيخ محمد السجيني الضرير المكودى على الألفية والفاكهي وشرح الشذور وملاجامي،

خليلى هذا الروض فـاحت زهوره
ولاح على الأكـوان حـقـا ظهـوره
وزاد لنناء عـبق الجـو طيـبـه
فـمنه عـبيـر المسك طاب عـبـوره
سما فى سماء الكون فانتهج العلا
برقـعـتـه وازداد سـرا سـروره
ألم تر أجسام الوجود تراقصت
وجـاء التـهـانى باسـمـات ثغـوره
مكان على التقوى تأسس مجده
من سـور التـوفـيق والهـدى سـوره
وفردوس عدن فـاح فـوح نسيمه
وحـفـتـه ولدان النعـيم وحـوره
ومجلس أنس كل ما فيه مشرق
ومـقـعـد صـدق قـد تسامى حبوره
بناء يروق العين حـسـن جـمـاله
ورونقـه يشـفى الصـدور صـدوره
ومن مـسـجـد بانيـه تزايد بهـجـة
وقلد من در المعـالى لحـوره
عـزيز بنى بيت المكارم فـانثنت
تغنى به حـمـدا ومـدحـا طيـوره
وأحيا رسوم المجد والفخر والتقى
وزانت بأعـلام الكـمـال سطوره
فلا زال فيه الفضل تسمو شموسه
وتـسـمـو على كل البـدور بدوره
ودام به سـعـد السـعـود مؤرخـا
حـمى العـز بالمولى الجـبـرتى نوره

وتحدد الوثيقة (١) مكان المنزل على النحو التالى (المكان الكاين بمصر المحروسة تجاه الجامع الأزهر بخط الخراطين [هو خط الصنادقية] بالقرب من مدرسة السنانيه المجاور لوكالة المرحوم الخواجا جمال الدين الدهبى شاه بندر التجار بمصر كان المعروف بخان النشارين) ـ وتحدده الوثيقة رقم (٢) تحديدا أدق على النحو التالى (الحد القبلى ينتهى سفلا لطريق الشارع وفيه باب المكان والحانوت المذكورين وعلو الشارع المرقوم وطوله عشرة أمتار وثلاثون سانتى متر والحد المذكورين وعلوا الشارع المرقوم وطوله عشرة أمتار وثلاثون سانتى متر والحد الغربى ينتهى سفلا وعلوا للوكالة المعروفة بوكالة القفاصين الجارية فى وقف المرحومة الست زينب



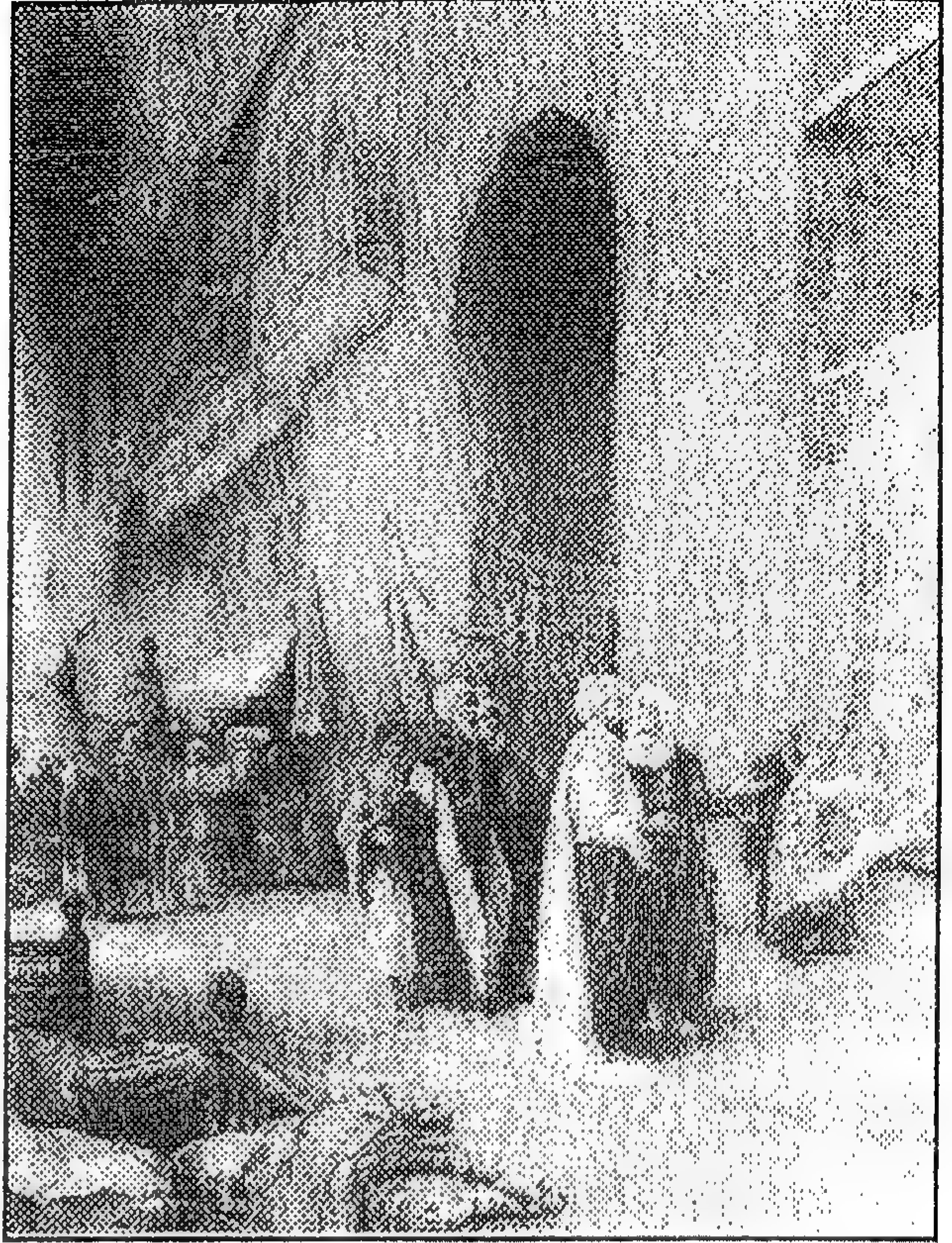
وشرح مختصر ابن الحاجب والمطول، وعلى الشيخ أحمد العماوى شرح الجوهرة لعبد السلام والسكتانى على الصغرى وشرح مختصر السنوسى والكافى ونوادر الأصول والجامع الصغير وشرح المقاصد، وعلى الشيخ حسن المدابغى الأشمونى على الألفية وشرح المراح وقواعد الإعراب والمغنى، وعلى الشيخ الملوى شرحه على السلم وشرح معراج الغيطى وأوضح المسالك وأوايل الكتب الستة والمسلسلات والمسندات. وحضر أيضا دروس الشيخ عبد الرءوف البشبيشى وأبو العز العجمى وغيرهما، وجد فى التحصيل حتى فاق أهل عصره وباحث وناضل ودرس بالرواق فى الفقه والمعقول وبالسنانية ببولاق، وكان لجدته أم أبيه مكان مشرف على النيل بربع الخرنوب عندما كان النيل ملاصقا لسدته فسكنها مدة فكان يغدو إلى الجامع ثم يعود

البارودية بنت اسماعيل بن على، والحد الشرقى ينتهى سفلا لحانوت وحاصل بوكالة النشارين الجارين فى وقف السلطان أينال لنظارة سعادة مولانا خديو مصر، وعلوا ينتهى لوكالة النشارين المذكورة الجارية فى وقف السلطان إينال المذكور وطول كل من الحدين المذكورين اثنى عشر مترا وخمسة وعشرون سانتى متر. والحد البحرى ينتهى سفلا وعلوا لوكالة النشارين المذكورة وطوله عشرة أمتار وعشرون سانتى متر، فجملة مسطح أرض ذلك ماية واحدة وأربعة وعشرون مترا وخمسة وسبعون سانتى متر).

أما بالنسبة لداخل هذا المنزل فيحسن أن ننقل هنا وصفه من الحجة المؤرخة فى ١٢٠١ هـ لأن ذلك البيت تم تعميره فى سنة ١١٩٢هـ. تقول هذه الوثيقة فى وصف داخل المنزل (المشتمل .. على واجهة غربية [المقصود هنا القبلية لأن النيل بالنسبة لهم كان الحد الشرقى.] بها حانوت وباب مقنطر يدخل منه إلى حوش لطيف سقف بعضه به منور وبير ماء معين وسلم يتوصل منه إلى أروقة مركبة على بعضها بعضا مطلة على الشارع السالك علو الواجهة المذكورة، وجميع خلو الطبقة التى من جملة الأربعة طباق الكاينة بالربع الذى علو خان النشارين بمصر المحروسة بخط الخراطين المذكور قريبا من الجامع الأزهر بالدور العلوى لسكن عبد الرحيم الشامى المختلطة الطبقة المذكورة الآن بالمكان المذكور وصارت من جملة منافعه وحقوقه ، وا ستجد بذلك من الأبنية بالصفة التى هو عليها الآن والمعلوم ذلك عندهما [البائع هنا هو عبد الرحمن الجبرتى] شرعا والجارى أصل الطبقة المذكورة فى وقف المرحوم أحمد بن السلطان أينال وخلو الطبقة المذكورة مع ملك المكان المذكورة فى تصرف وانتفاع الشيخ زين الدين عبد الرحمن الجبرتى.

وقد باع الجبرتى هذا البيت فى عام ١٢٠١ هـ بثمن قدره ٤/١ ١٢٣ ريالا أبو طاقة ـ ونحن نعلم أن الجبرتى استرد هذا المنزل فى العام التالى، فقد كتب على هامش الوثيقة

إلى بولاق، وله حاصل بربع الخرنوب يجلس فيه حصة ثم يعود إلى السنانية فيملى هنا درسا ثم احترق ذلك المنزل بما فيه وتلفت فيه أشياء كثيرة من المتاع والصينى القديم فانتقلت إلى مصر، وكانوا يذهبون إلى مكان لها بمصر العتيقة (ص٩٢٩) فى أيام النيل بقصد النزاهة، وهى التى أعانته على تحصيل العلوم حتى أنه كان يقول «ماعرفت المصرف واحتياجات المنزل والعيال إلا بعد موتها» ومع اشتغاله بالعلم كان يعانى التجارة والبيع والشراء والمشاركة والمضاربة والمقايضة ، وكانت جدته ذا غنى وثروة ولها أملاك وعقارات ووقفت عليه أماكن منها الوكالة بالصنادقية والحوانيت بجوارها وبالغورية ومرجوش ومنزل بجوار المدرسة الأقبغاوية، ورتبت فى وقفها عدة خيرات ومكتب لإقراء أيتام المسلمين بالحانوت المواجه للوكالة المذكورة وربعة تقرأ فى كل يوم وختمات فى ليالى المواسم وقصعتين ثريد فى كل ليلة من ليالى رمضان وثلاث جواميس تفرق على الفقهاء والأيتام والفقراء فى عيد الأضحية، وتزوج بجدته المذكورة بعد موت جده الأمير على أغا باش اختيار متفرقة المعروف بالطورى ، وتزوج المترجم بابنته وله حكم قلاع الطور والسويس والمويلح وكانت إذ ذاك عامرة وبها المرابطون ويصرف عليهم العلوفا والاحتياجات، ولما مات على أغا المذكور سنة سبع وثلاثين تقلد ذلك بعده المترجم مدة مع كونه فى عداد العلماء وربى معتوقيه عثمان وعليا ولم يزالا فى كنفه حتى ماتا بعد مدة طويلة وأرسل خادما له يسمى سليمان الحصافى جربجيا على قلعة المويلح فقتلوه هناك فتكدر لذلك وترك هذا الأمر وأعرض عنه وأقبل على شأنه من الاشتغال ، وماتت زوجته بنت الأمير على أغا المذكور



فى حياة أبيها فتزوج ببنت رمضان جلبى بن يوسف المعروف بالخشاب تابع (ص٩٣٠) كور محمد وهم بيت مجدوثروة ببولاق ولهم أملاك وعقارات ووأوقاف. ومن ذلك وكالة وربع وحوانيت تجاه جامع الزردكاش وبيت كبير بساحل النيل وآخر تجاه جامع مرزة جربجي وهو سكن رمضان جلبى المذكور وكان إنسانا حسنا رقيق الحاشية وفيه فضيلة وسليقة جيدة، ومن نظمه فى إعارة الكتب قوله:

كتابك لا تعره ولا لألف
فإنك لا تعود لذاك تلفى
فخذ قولى وشد يدا عليه
فإن خالفت فقدك فيه يكفى
ولست مقلدا فى النصح بل قد
تكرر فقد ما أعطته كفى

(صدر تقايل شرعى [اى فسخ العقد شرعا] من الحاج محمد بن عبد الله محمود المذكور قرينه للشيخ عبد الرحمن الجبرتى المذكور قرينه فى كل ما هو مقيد قرينه بموجب حجة شرعية مسطرة من الصالحية النجمية بمصر مؤرخة فى تاسع عشر ربيع الثانى سنة اثنين ومايتين وألف سنة ١٢٠٢) كذلك ورد فى الوثيقة رقم (٢) أن ورثة الجبرتى قد باعوا هذا المنزل فى سنة ١٢٩٩هـ بمبلغ قدره ١٤٠ جنيها ذهبا.

غير أن المؤرخين لايذكرون شيئا عن منزله الآخر بالصنادقية الذى كان، كما يفهم من الوثائق ، فى مواجهة المنزل الأول الذى ورثه عن أبيه. ومن الواضح من الوثيقة رقم (٣) أن الجبرتى اشترى هذا المنزل الثانى بخط الصنادقية سنة ١٢٣٣هـ. وتحدد الوثائق هذا المنزل على النحو التالى (المكان الكاين بمصر المحروسة بخط الخراطين قريبا من مدرسة السنانية والجامع الأزهر على يسرة السالك طالب للأشرفى وسوق العطارين البلدى، الجارى أصل ذلك فى وقف المرحوم جوهر القنقبای) ثم صف هذه الوثائق داخل المنزل على النحو التالى (المشتمل .. على باب بالشارع الأعظم يمنه الطالب لمدرسة السنانية، يدخل من الباب المذكور إلى دهليز به باب استثنى يدخل منه إلى حوش به يمنه قنطرة سفلها معالم منظرة يقابلها واجهة البناء سفلها بير علو الدهليز - والقنطرة والسبيل المركب على القنطرة والسبيل المركب على القنطرة وحايط البير كامل علو ذلك من حقوق الغير ولم يكن داخلا فى عقد ذلك، فيما بين المنظرة وواجهة البير باب يدخل منه الى اسطبل علوه مقعد يتوصل إليه من سلم علو ذلك من حقوقه - وبالحوش يسرة الطالب للاسطبل باب يدخل منه إلى دهليز علوه من حقوق الغير ، بالدهليز باب يدخل منه إلى رحاب مفروش بالرخام القديم به باب يدخل منه إلى قاعة تحوى إيوانين ودور قاعة بها بابان إحدهما يدخل من إلى مجازيه به كرسى راحة وسلم يتوصل منه إلى أغانى والسطح العالى على على ذلك وهو علو

فـــإن ألجـــأت للإعطاء فـــاقـــبض
نظيـــــرا مـــثله إن كـــــان يكفى
وإن ترم اسم ناظمـــــه حـــســـــابا
فـــضف أحـــدا إلى تســعين ألف

[ومات] رمضان جلبى المذكور سنة تسع وثلاثين ومـاية وألف، واستمرت ابنته فى عصمة المترجم حتى ماتت فى المحرم سنة اثنتين وثمانين ومـاية وألف وعمرها ستون سنة، وكانت من الصالحات الخيرات المصونات،و حجت صحبته فى سنة إحدى وخمسين، وكانت به بارة وله مطيعة، ومن جملة برها له وطاعتها أنها كانت تشترى له من السرارى الحسان من مالها وتنظمهن بالحلى والملابس وتقدمهن إليه وتعتقد حصول الأجر والثواب لها بذلك، وكان يتزوج عليها كثيرا من الحرائر ويشترى (ص٩٣١) الجوارى فلا تتأثر من ذلك ولا يحصل عندها ما يحصل فى النساء من الغيرة، ومن الوقايع الغريبة أنه لما حج المترجم فى سنة ست وخمسين واجتمع به الشيخ عمر الحلبى بمكة، أوصاه بأن يشترى له جارية بيضاء تكون بكرا دون البلوغ وصفتها كذا وكذا، فلما عاد من الحج طلب اليسرجية الجوارى لينتقى منهن المطلوب فلم يزل حتى وقع على الغرض فاشتراها وأدخلها عند زوجته المذكورة حتى يرسلها مع من أوصاه بإرسالها صحبته، فلما حضر وقت السفر أخبرها بذلك لتعمل لهم ما يجب من الزوادة ونحو ذلك، فقالت إنى أحببت هذه الوصيفة حبا شديدا ولا أقدر على فراقها وليس لى أولاد وقد جعلتها مثل ابنتى والجارية بكت أيضا وقالت لا أفارق سيدتى ولا أذهب من عندها ابدا، فقال وكيف

المقعد المذكور، والباب الثانى يدخل منه إلى مطبخ تجاهه قاعة صغيرة وسلم يتوصل منه إلى طبقة وإلى سطح صغير وما لذلك من المنافع والمرافق والحقوق الداخلية فيه والخارجة عند خلا العلو المرقوم فانه من حقوق الغير).
ويلاحظ بالنسبة للوكالات المجاورة للبيتين، إن وكالة النشارين هى نفسها وكالة السلطان أحمد بن اينال وهى على يسرة البيت القديم، ووكالة القفاصين وهى على يمنة البيت القديم ومن المحتمل أنها هى أيضا وكالة الجلابة التى وردت فى الوثيقة رقم (٣).

الوثيقة رقم (١)
١٤ رمضان سنة ١٢٠١
الأمر كما ذكر فيه
ختم: توكلى على خالقى عبده حسن
نمقه الفقير إليه عز شأنه حسن المولىخلافه (المولى خلافه) بمصر المحروسة غفر له
هو إنه بمجلس الشرع الشريف الأنور بمحكمة الجامع الحاكمى بمصر المحروسة لدى سيدنا ومولانا فخرقضاة الإسلام وكمال ولاة الأنام الحاكم الشرعى الحنفى الموقع خطه الكريم أعلاه دام علاه آمين بحضرة كل من المكرم الحاج أحمد جمليان ابن المرحوم على والأمثل المكرم منلا مصطفى رضوان بن المرحوم يوسف اسلامبولى والسيد الشريف مصطفى الجرلى ابن المرحوم السيد صالح والشيخ محمد أحمد الرفاعى القبانى برأس خان الخليلى دام كمالهم آمين اشترى فخر أمثاله الكرام الحاج محمد بن عبد الله معتوق المرحوم السيد الشريف محمود ناظر الكسوة الشريفة كان بماله لنفسه من بايعه الشيخ الإمام الفاضل الهمام سليل العلما الكرام زين الدين عبد الرحمن الجبرتى الحنفى ابن المرحوم العلامة الشيخ بدر الدين حسن الجبرتى الحنفى شيخ مشايخ أهل الافادة والافتا والتدريس بالجامع الأزهر كان فباعه جميع المكان الكاين بمصر المحروسة تجاه الجامع الأزهر بخط الخراطين بالقرب من مدرسة السنانية المجاور لوكالة المرحوم الخواجا

يكون العمل؟ قالت ادفع ثمنها من عندى واشتر أنت غيرها ففعل. ثم إنها اعتقتها وعقدت له عليها وجهزتها وفرشت لهـا مكانا على حـدتهـا وبنى بهـا فى سنة خـمس وسـتين وكـانت لا تقدر على فراقها ساعة مع كونها صارت ضرتها وولدت له أولادا، فلما كان فى سنة اثنتين وثمانين المذكورة مرضت الجارية فمرضت لمرضها وثقل عليهما المرض فقامت الجارية فى ضحـوة النهـار فنظرت إلى مـولاتهـا وكـانت فى حالة غطوسها فبكت وقالت «إلهى وسيدى إن كنت قدرت بموت سيدتى اجعل يومى قـبل يومـهـا، ثم رقـدت وزاد بهـا الحال ومـاتت تلك الليلة فـأضجعوها بجانبـهـا فاسـتيقظت مولاتها آخر الليل وجستها بيدها وصارت تقول زليخا زليخا فقالوا لها إنها نائمـة فقالت إن قلبى (ص٩٣٢) يحـدثنى أنهـا مـاتت ورأيت فى منامى مـا يدل على ذلك فـقـالوا لـهـا حيـاتك البـاقـيـة، فلمـا تحـقـقت ذلك قـامت وجلسـت وهى تقول: لا حياة لى بعدها وصارت تبكى وتنتحب حتى طلع النهـار وشرعـوا فى تشـهيلها وتجـهيـزها وغـسلوها بين يديهـا وشـالوا جنازتهـا ورجعت إلى فـراشـهـا ودخلت فى سكرات الموت ومـاتت آخـر النهـار وخرجـوا بجنازتها أيضـا فى اليـوم الثانى، وهذا من أعـجب ما شاهدته ورأيته ووعيته، وكـان سنى إذ ذاك أربع عـشـرة سنة. واشـتـغل المتـرجم فى أيام اشتغاله بتـجـويد الخط فكتب على عـبد الله افندى الأنيس وحسن أفندى الضيـائى طريقـة الثلث والنسخ حتى أحكم ذلك وأجازه الكتبة وأذنوه أن يكتب الإذن على اصْطلاحهم ثم جـود فى التـعليق على أحـمـد أفندى الهندى النقـاش لفـصـوص الخـواتم حـتى أحكم ذلك وغلب على خطه طريقتـه ومـشى عليـهـا، وكتب الديوانى والقـرمـة وحـفظ

جمال الدين الذهبى شاه بندر التجار بمصر كان المعروف بخان النشارين[وكالة السلطان احمدان اينال] المعروف المكان المذكور سابق بالنشا وتجديد وسكن المرحوم الشيخ حسن أفندى الجبرتى والد البايع المذكور المشتمل ذلك بدلالة حجة التبايع الشرعية المسطرة من الصالحية النجمية بمصر المؤرخة فى حادى عشرين رمضان سنة تسعين ومايه وألف وحجة التقايل الشرعية المسطرة من الباب العالى بمصر المؤرخة فى خامس عشرين جماد أول سنة سبع وتسعين ومايه وألف على واجهة غربية بها حانوت وباب مقنطر يدخل منه إلى حوش لطيف سقف بعضه به منور وبير ماء معين وسلم يتوصل منه إلى أروقة مركبة على بعضها بعضا مطلة على الشارع السالك علو الواجهة المذكورة وجميع خلو الطبقة التى من جملة الأربع طباق الكائنة بالربع الذى علو خان النشارين بمصر المحروسة بخط الخراطين المذكور قريبا من الجامع الأزهر بالدور العلوى.
المجاور لسكن عبد الرحيم الشامى المختلطة الطبقة المذكورة الآن بالمكان المذكور وصارت من جملة منافعه وحقوقه وما استجد بذلك من الأبنية بالصفة التى هو عليها الآن المعلوم ذلك عندهما شرعا والجارى أصل الطبقة المذكورة فى وقف المرحوم أحمد ابن السلطان اينال وخلو الطبقة المذكورة مع ملك المكان المذكور فى تصرف وانتفاع الشيخ زين الدين عبد الرحمن الجبرتى البايع المذكور ويده وحوزه وتصرفه واختصاصه الشرعى بمفرده إلى تاريخه يشهد له بذلك حجتى التبايع والتقايل المحكى تاريخهما أعلاه وله ولاية بيع ذلك وقبض ثمنه بالطريق الشرعى
وبالتصادق على ذلك اشترا صحيحا شرعيا وبيعا بتا لازما ناجزا محررا مرعيا انعقد بينهما فى ذلك يوم تاريخه بإيجاب وقبول شرعيين بثمن قدره عن ذلك من الريالات الحجر الابى طاقة مايه ريال واحدة وثلاثة وعشرون ريالا وربع ريال حجرا بطاقة ثمنا حالا مقبوض ذلك من الحاج أحمد محمود المشترى المذكور بيد الشيخ زين الدين عبد الرحمن

الجبرتى البايع المذكور قبضا شرعيا بتمام ذلك وكماله باعترافه بذلك لشهوده ومن ذكر أعلاه فى يوم تاريخه الاعتراف الشرعى ولم يتأخر له قبله من كامل ذلك ولا من بعضه مطالبة ولا شىء قل ولا جل واعترف المشترى المذكور بتسلم ذلك وحيازته لنفسه التسلم والحيازة الشرعيين بعد النظر والمعرفة والإحاطة بذلك علما وخبرة نافيتين للجهالة شرعا وبمقتضى ذلك صار الحاج محمد محمود المشتر المذكور يستحق ملك كامل المكان وملك خلو الطبقة المتداخلة به المبتاعين المذكورين أعلاه يتصرف فى ذلك لنفسه بمفرده خاصة بساير وجوه التصرفات الشرعية دون البايع المذكور ودون كل أحد ويقوم بما على ذلك من الحكر لجهة وقف أصل المذكور حكم المعتاد الجارى به العادة الصيرورة والاستحقاق والتصرف والقيام الشرعيات بالطريق الشرعى للمقتضى المشروح وتصادقا على ذلك وذلك بعد أن تقايل الحاج محمد محمود المشترى المذكور مع الشيخ زين الدين عبد الرحمن البايع المذكور أحكام التبايع الشرعى الصادر فيما قبل تاريخه منه له فى كامل ما ذكر باعاليه المعين ذلك بالحجة الشرعية المسطرة من الصالحية النجمية بمصر المؤرخة فى ثانى عشر رمضان سنة مايتين وألف تقايلا شرعيا وتفاسخا احكام ذلك تفاسخا مرعيا وتسلم كل منهما ما وجب له تسلمه شرعا باعترافهما بذلك الاعتراف الشرعى وصار العمل والمعول على ما نص وشرح أعلاه التصادق الشرعى المقبول وثبت لاشهاد بذلك لدى مولانا افندى المومى اليه بشهادة شهوده ثبوتا شرعيا وحكم بموجب ذلك حكما شرعيا تحريرا فى رابع عشر رمضان سنة واحد ومايتان وألف شهوده

إمضاء إمضاء إمضاء إمضاء

صدر تقايل شرعى من الحاج محمد بن عبد الله محمود المذكور قرين الشيخ عبد الرحمن الجبرتى المذكور قرينه فى كامل ما هو مقيد قرينه بموجب حجة شرعية مسطرة من الصالحية النجمية بمصر مؤرخة فى تاسع

الشاهدى واللسان الفارسى والتركى حتى أن كثيرا من الأعاجم والأتراك يعتقدون أن أصله من بلادهم لفصاحته فى التكلم بلسانهم ولغتهم، وفى سنة أربع وأربعين اشتغل بالرياضات فقرأ على الشيخ محمد النجاحى رقايق الحقايق للبسط الماردينى والمجيب والمقنطر ونتيجة اللاذقى والرضوانية والدر لا بن المجدى ومنحرفات السبط، وإلى هنا انتهت معرفة الشيخ النجاحى وعند ذلك انفتح له الباب، وانكشف عنه الحجاب، وعرف السمت والارتفاع والتقاسيم والأرباع والميل الثانى والأول والأصل الحقيقى والمعدل وخالط أرباب المعارف، وكل من كان (ص٩٣٣)من بحر الفن غارف، وحل الرموز، وفتح الكنوز، واستخرج نتايج الدر اليتيم، والتعديل والتقويم ، وحقق أشكال الوسايط فى المنحرقات والبسايط والزيج والمحلولات وحركات التداوير والنطاقات والتسهيل والتقريب والحل والتركيب والسهام والظلال ودقائق الأعمال وانتهت إليه الرياسة فى الصناعة، وأذعنت له أهل المعرفة بالطاعة، وسلم له عطارد وجمشيد الراصد وناظره المشترى وشهد له الطوسى والأبهرى، وتبوأ من ذلك العلم مكانا عليا وزاحم بمنكبه العيوق والثريا وقدم القدوة العلامة والحكيم الفهامة الشيخ حسام الدين الهندى. وكان متضلعا من العلوم الرياضية والمعارف الحكمية والفلسفية، فنزل بمسجد فى مصر القديمة واجتمع عليه بعض الطلبة مثل الشيخ الوسيمى والشيخ أحمد الدمنهورى وتلقوا عنه أشياء فى الهيئة، فبلغ خبره المترجم فذهب إليه للأخذ عنه، فاغتبط به الشيخ وأحبه، وأقبل بكليته عليه فلم يزل به حتى نقله إلى داره وأفرد له مكانا وأكرم نزله وقام بأوده وطالع عليه الجغمينى وقاضى زاده والتبصرة والتذكرة وهداية

عشر ربيع الثانى سنة اثنين ومايتين وألف سنة ١٢٠٢.

الوثيقة رقم (٢)
١٢ رجب سنة ١٢٩٩
مافيه من البيع والشرا
نمقه الفقير إليه عز شانه المتشرف برتبة مكة المكرمة قبوجقلى زاداه السيد عبد الرحمن نافذ القاضى بمصر المحروسة عفى عنهما
ختم : محكمة مصر الشرعية الكبرى ختم: السيد عبد الرحمن نافذ
هو أنه بالقسمة العسكرية بمصر المحروسة بعد أن أحال حضرة سيدنا ومولانا فخر السادة الموالى العظام قاضى قضاة الإسلام يومئذ بمصر المحمية الموقع خطه الكريم دام اعلاه آمين النظر فى شأن ما سيذكر فيه على حضرة العلامة الشيخ راشد أفندى أحد عضوى المجلس الشرعى بهذه المحكمة فلديه بالمجلس المشار إليه بحضرة كل من المكرم حسن أفندى عثمان الدخاخنى الساكن بدرب سعادة بثمن الدرب الأحمر ابن المرحوم عثمان محمد الدمياطى ابن محمد الدمياطى والمكرم السيد على عاشور العطار بخط الأزهر الساكن بحارة الدويدارى بثمن الجمالية بمصر ابن المرحوم محمد عاشور ابن عمر عاشور دام كما لهم آمين. اشترى المكرم الحاج منلا محمد حسين الاصفهانى الساكن بالمكان الآتى ذكره فيه ابن المرحوم عبد الهادى الاصفهانى ابن المرحوم الحاج على بماله لنفسه من بايعيه الثلاثة هم المكرم خليل خيرى المستخدم بالسكة الحديد سابقا الساكن بخط الواجهة ببولاق ابن المرحوم محمد خليل الجبرتى ابن المرحوم خليل الجبرتى ابن المرحوم الشيخ عبد الرحمن الجبرتى الحنفى نجل المرحوم الشيخ حسن أفندى الجبرتى الحنفى شيخ رواق السادة الجبرت بالرواق داخل الجامع الأزهر هو كوالده كان والمكرم حسين رجب الدلال بسوق النحاسين بمصر الساكن بوكالة الوش بخط وثمن الجمالية ابن المرحوم حمودة رجب ابن المرحوم عمر رجب والحرمة



الحكمة لأثير الدين الأبهرى وما عليها من المواد والشروح مثل السيد والميبدى قراءة بحث وتحقيق وأشكال التأسيس فى الهندسة وتحرير إقليدس والمتوسطات والمبادى والغايات والأكر وعلم الإرتماطيقى والجغرافيا وعلم المساحة وغير ذلك، ثم أراد أن يلقنه علم الصنعة الإلهية وكان من الواصلين فيها فغالطه عن ذلك وأبت نفسه الاشتغال بسوى العلوم المهذبة للنفس، وكان يحكى عنه أمورا وعبارت وإشارات تشعر بأنه كان من الكُمَّل الواصلين فى كل شيء، ولم يزل عنده حتى عزم على الرحلة وسافر إلى بلاده. وقدم إلى مصر الإمام العلامة الشيخ محمد الغلانى الكشناوى وسكن بدرب الأتراك، فاجتمع عليه المترجم وتلقى عنه علم الأوفاق وقرأ عليه شرح منظومة الجزنائية للقوصونى والدر والترياق والمرجانية فى خصوص المخمس

الخالى الوسط، والأصول والضوابط والوفق المئينى وعلم التكسير للحروف وغير ذلك ، وسافر الشيخ إلى الحج وجاور هناك، فلما رجع أنزله عنده وصحبته زوجته وجواره وعبيده، وكمل عنده غالب مؤلفاته ، ولم يزل حتى مات كما تقدم ذكر ذلك فى ترجمته، ولقى المترجم فى حجاته الشيخ النخلى وعبدا لله بن سالم البصرى وعمر بن أحمد بن عقيل المكى والشيخ محمد حياة السندى الكورانى وأبو الحسن السندى والسيد محمد السقاف وغيرهم، وتلقى عنهم وأجازوه وتلقوا هم عنه أيضا عنه ولقنه أبو الحسن السندى طريق السادة النقشبندية والأسماء الإدريسية. وهذه صورة إجازة الشيخ عمر بن أحمد بن عقيل ومن خطه نقل: «بسم الله الرحمن الرحيم الحمدلله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى خصوصا أفضل أنبيائه وعترته الطاهرين، وصحابته أجمعين وبعد، فإن مما تطابقت عليه النصوص وتوافقت عليه ألسنة العموم والخصوص، أن الباحث عن السنة الغراء لاتباع هدى سيد الأنبياء ، الموجب لمحبة ذى الآلاء والنعماء، هو الفائز بالقدح (ص٩٣٥) المعلى، والمرفوع إلى المقام الأعلى . ومن المعلوم أنه لم يبق فى زماننا ما يتداول منها إلا التعلل برسوم الإسناد، بعد انتقال أهل المنزل والناد، فذو الهمة هو الذى يثابر على تحصيل أعلاه، وينافس فى فهم متنه ويفحص عن معناه ، ويناقش فى رجاله الذين عليهم مغناه، ألا وهو الشيخ الأجل الراقى بعزمه المتين من العلم والعمل إلى أعلى محل سيدنا وأستاذنا الشيخ حسن بن المرحوم ابراهيم بن الشيخ حسن الجبرتى أمده الله بالمدد الإلهى فطلب من هذا الفقير أن أجيزه. فلما لم أجد بدا من الامتثال، قلت سايلا التوفيق فى

فاطمة ام فرج الساكنة بحارة الجودرية بتمن الدرب الأحمر بنت المرحوم الشيخ محفوظ الجبرتى المتوفى الآتى ذكره فيه ابن المرحوم الشيخ عبد الرحمن الجبرتى المذكور أعلاه الثابت معرفة المتبايعين المذكورين اسما وعينا ونسبا بشهادة من ذكر معرفة شرعية فباعوه على الحكم الآتى بيانه فيه جميع ملك كامل بناء المكان الكاين بمصر المحروسة بخط الخراطين المعروف الآن بخط الصنادقية تجاه جامع الأزهر بالقرب من مدرسة السنانية بتمن الجمالية وما تداخل بالمكان المذكور من بناء الثلاث طباق والمكان علو احداهن والفسحة بجوارهم والحاصل وصار ذلك من جملة منافعه وحقوقه يعرف ذلك بانشا وتجديد المرحوم الجبرتى المذكور والمشتمل ذلك بدلالة حجة الأيلولة الشرعية المسطرة من هذه المحكمة المؤرخة فى جادى عشرين القعدة سنة ستين ومايتين والف على مساكن علوية وسفلية ومنافع ومرافق وتوابع ولواحق وحقوق وجميع بناء الحانوت التى بواجهة المكان المذكور المشتملة بالدلالة المذكورة على داخل ودرفتى باب ومنافع وحقوق التى كانت أدخلت بالمكان المذكور ثم أخرجت منه وصارت الحانوت المذكورة كما كانت أولا المحدود المكان المذكور مع ما تداخل به من الثلاث طباق والمكان علو احداهن والفسحة والحانوت بواجهته المذكورين أعلاه الآن بحدود أربعة بدلالة الاملا والكشف المشمول باسم وختم حسن افندى ثابت المهندس بهذه المحكمة الحد القبلى ينتهى سفلا لطريق الشارع وفيه بابى المكان والحانوت المذكورين وعلوا للشارع المرقوم وطوله عشرة أمتار وثلاثون سانتى متر والحد الغربى ينتهى سفلا وعلوا للوكالة المعروفة بوكالة القفاصين الجارية فى وقف المرحومة الست زينب البارودية بنت اسماعيل بن على والحد الشرقى ينتهى سفلا لحانوت وحاصل بوكالة النشارين الجارين فى وقف السلطان أينال نظارة سعادة مولانا خديو مصر وعلوا ينتهى لوكالة النشارين المذكورة الجارية فى وقف السلطان أينال المذكور وطول كل من الحدين

القول والفعال؛ أجزت مولانا الشيخ حسن المذكور المنوه بذكره أعلى السطور، أجزل الله تعالى له الأجور ما يجوز لى وعنى روايته من مقروء ومسموع، وأصول وفروع، بشرطه المعتبر من تقوى الله والصيانة وضبط الألفاظ وسير الرجال والديانة، حسبما أجازنى بذلك شيوخ أكابر عدة، هم فى الشدائد عدة؛ ومنهم بل ومن أجلهم سيدى وجدى لأمى بعد أن قرأت عليه جانبا كبيرا من كتب الحديث وغيره قراءة تحقيق وتدقيق، وغيره من الشيوخ أهل التوفيق ، وقد سمع مولانا الشيخ حسن منى أوايل البخارى ومسلم وأبى داود والنسائى والترمذى وابن ماجه والموطأ، فليرو عنى المجاز المذكور متى شاء مما اتصلت بى روايته متى أراد رفع سند أو كتاب لمن هو من أهل الدراية، وهو دام أنسه وزكا قدسه فى غنية عن ذلك، ولكن جرت العادة بأخذ الأكابر عن الأصاغر (ص٩٣٦) تكثيرا لسوادنا، فهى سند سيد الأوايل والأواخر ، وكذلك أجزت له بالصلاة المشهورة النفع بهذه الصيغة: اللهم صل على سيدنا محمد وآله كما لا نهاية لكمالك وعد كماله بنصب عدو جره، حسبما أجازنى بها مولانا الشيخ طاهر بن الملا ابراهيم الكورانى عن شيخه الشيخ حسن المنوفى مفتى الحنفية بالمدينة سابقا عن شيخه مولانا الشيخ على الشبراملسى عن بعض أجلاء شيوخه وأمره أن يصلى بها بين المغرب والعشاء بلا عدد معين وبالمواظبة عليها يظهر نتايج فتحها خصوصا لمبتغى هذا العلم المجد فى طلبه من ذويه نفعه الله تعالى بالعلم وجعله من أهليه. وقد أجزت الشيخ المذكور ضاعف الله تعالى له الأجور، بالأسماء الأربعينية الإدريسية السهروردية بقراءتها وإقرائها لخل صادق إن وجد، كما أجازنى بذلك جملة من

المذكورين أثنى عشر مترا وخمسة وعشرون سانتى متر والحد البحرى ينتهى سفلا وعلو لوكالة النشارين المذكورة وطوله عشرة أمتار وعشرون سانتى متر فجملة مسطح أرض ذلك مابة واحدة وأربعة وعشرون مترا وخمسة وسبعون سانتى متر وجميع أرض المكان المبتاع المذكور المحدود بحدود أربعة بدلالة الاملا والكشف المذكورين الحد القبلى ينتهى لطريق الشارع المرقوم وفيه باب المكان المذكور وطوله ستة أمتار وثمانين سانتى متر والحد الشرقى ينتهى بعضه سفلا للحانوت المذكورة أعلاه وباقيه ينتهى سفلا للحانوت والحاصل الذين بوكالة النشارين المذكورة المذكورين وعلوا لوكالة النشارين المذكورة وطوله مبتدا من قبلى ومبحر بقدر أربعة أمتار ثم يميل شرقا بقدر ثلاثة أمتار ونصف متر ثم يعتدل حتى يتلاقا بالحد البحرى بمقدر ثمانية أمتار وخمسة وعشرون سانتى متر والحد البحرى ينتهى سفلا وعلو لوكالة النشارين المذكورة وطوله عشرة أمتار وعشرين سانتى متر والحد الغرى ينتهى سفلا وعلوا لوكالة القفاصين المذكورة وطوله اثنى عشر مترا وخمسة وعشرون سانتى متر فجملة مسطح الأرض المكان المذكورة مابة متر واحدة وعشرة أمتار وخمسة وسبعون سانتى متر وبالحد الشرق من المكان المذكور ركوب من حقوق المكان المبتاع المذكور علو بن الحانوت المبتاعة والحانوت والحاصل الجاريين فى وقف السلطان أينال المذكور المرقومين التى عبرة الركوب المذكور طولا من الجهة الغربية مبتدا من قبلى ومبحرا بقدر اربعة أمتار ثم يميل مشرقا بقدر ثلاثة أمتار ونصف متر ثم يعتدل مبحرا حتى يتلاقا بالحد البحرى بقدر ثمانية أمتار وخمسة وعشرون سانتى متر وطولا من الجهة البحرية بقدر ثلاثة أمتار ونصف متر وطوله من الجهة الشرقية اثنى عشر مترا وخمسة وعشرون سانتى متر وطوله من الجهلة القبلية سبعة أمتار ومسطحه ستة وخمسون مترا وسبعة وثمانون سانتى متر وبالحد البحرى المذكور ركوب من حقوق ذلك أيضا علو وكالة النشارين المذكورة الجارية فى وقف

السلطان أينال المذكور التى عبرة طول كل من جهته البحرية والقبلية ثمالية أمتار وسبعون سانتى متر وعرض كل من جهتيه الشرقية والغربية ثلاثة أمتار ونصف متر ومسطحه ثلاثين متر وخمسة واربعون سانتى متر وبالحد الغربى المذكور ركوب من حقوق ذلك أيضا علو وكالة القفاصين المذكورة التى عبرة طوله من الجهة الشرقية تسعة أمتار وثمانون سانتى متر وطوله من الجهة البحرية مبتدا مشرق مغرب بقدر خمسة أمتار ثم يميل مبحرا بقدر مترين ثم يعتدل حتى يتلاقا بالحد الغربى بقدر خمسة أمتار وطوله من الجهة الغربية مبتدا من قبلى ومبحر بقدر سبعة أمتار وستين سانتى متر ثم يميل مغربا بقدر ثلاثة أمتار وأربعين سانتى متر ثم يعتدل مبحرا بقدر متر واحد وثلاثين سانتى متر ثم يميل مشرقا بقدر ثمانين سانتى متر ثم يعتدل مبحرا بقدر مترين اثنين ثم يميل مشرقا بقدر سبعين سانتى متر ثم يعتدل مبحرا حتى يتلاقا بالحد البحرى بقدر متر واحد وثلاثين سانتى متر وطوله من الجهة القبلية ثمانية أمتار وستين سانتى متر ومسطحه مابة متر واحدة وأربعة أمتار وخمسة وستين سانتى متر وجملة مسطح الثلاث ركوبات المذكورة مابة متر واحدة وتسعون مترا وسبعة وتسعون سانتى متر كل ذلك مقاس وحساب المهندس المذكور كما ذلك معين بالكشف المرقوم وشهرة ذلك فى محله تدل عليه المعلوم ذلك عندهم شرعا والجارى ذلك فى ملك البايعين الثلاثة المذكورين أعلاه وأيديهم وحوزهم وتصرفهم الشرعى بمفردهم إلى تاريخه بيان الحكم الموعود بذكره أعلاه فما باعه خليل وفاطمة المذكورين أعلاه سوية بينهما الحصة التى قدرها اثنان وعشرون قيراطا وسدس قيراط من كل ذلك آل ذلك إليهما إرثا من قبل مورثهما المرحوم محفوظ الجبرتى الموعود بذكره أعلاه المتوفى قبل تاريخه عن ابنته فاطمة وابن ابن أخيه لوالده المذكور أعلاه هو خليل خيرى البايعين المذكورين أعلاه من غير شريك ومخلف عن المتوفى المذكور أعلاه من كل من ذلك يشهد له إلى حين وفاته بالحصة

الشيوخ، وقد اتصل سندى بها أيضا عن مولانا وسيدنا الأمجد مولانا الشيخ أحمد بن محمد النخلى أنزل عليه شآبيب الرحمة والغفران الواحد العلى، وهو يرويها عن الشيخ حجازى الديربى عن الشيخ شهاب الدين أحمد بن على الخامى الشناوى وأجازه شيخه أيضا بشرحها للشيخ عثمان النحراوى، قال الشيخ عثمان أجازنى بالأسماء الإدريسية العظام الشيخ كمال الدين السودانى وهو يرويها عن شيخه أبى المواهب أحمد الشناوى عن السيد صبغة الله أحمد عن السيد وجيه الدين العلوى عن الحاج حميد الشهير بالشيخ محمد الغوث عن الحاج حضور عن أبى الفتح هدية الله سيرمست عن الشيخ قاضن (ص٩٣٧) السنارى عن الشيخ ركن الدين أبى الفتح عن الشيخ صدر الدين أبى الفضل عن الشيخ السهرودى عن سيدى وجيه الدين المعروف بعمويه، عن الشيخ أحمد أسود الدينورى عن الشيخ ممشاد الدينورى عن الشيخ أبى القاسم الجنيد البغدادى عن خاله سرى السقطى عن الشيخ معروف الكرخى عن الشيخ داود الطائى عن الشيخ حبيب العجمى عن سيد التابعين حسن البصرى، عن إمام المشارق والمغارب سيدنا على بن أبى طالب عن سيدنا ومولانا سيد الخلق حبيب الحق عبده ورسوله وحبيبه وصفيه وخليله النبى الرسول الحاوى لجميع الكمالات الأصلية والفرعية، الجامع لكل الصفات السنية والمراتب العلية، المبعوث لكل الخلق، المتخصص بالقرب من العالم الحق، سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم، محمد صلى الله عليه وسلم، قال ذلك بفمه وكتبه، تعلمه أسير ذنبه عمر بن أحمد بن عقيل السقاف باعلوى، وحفيد مولانا الشيخ عبد

الله بن سالم البصرى عفا الله تعالى عنهم أجمعين، سايلا من الشيخ المذكور أن لا ينسانى وأصولى ومشايخى فى الدين وجميع أقاربى من صالح الدعوات فى خلواته وجلوات وحركاته وسكناته، وأوصى بما أوصى به نفسى وساير المسلمين من ملازمة التقوى وكمال الاستعداد واتباع سبيل الهدى والرشاد، وأسأل الله تعالى (ص٩٣٨) الكريم المنان أن يوفقنى وإياه والمسلمين لصالح القول والعمل ويجنبنا الخطأ والزلل . ويجعلنا من العلماء العاملين والهداة الراشدين ، وأن يميتنا على سنة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحابته أجمعين، فى كل وقت وحين. وللمترجم أشياخ غير هولاء كثيرون اجتمع بهم وتلقى عنهم وشاركهم وشاركوه، مثل على أفندى الداغستانى، والشيخ عبد ربه سليمان بن أحمد القشتالى الفاسى، والشيخ عبد اللطيف الشامى، والجمال يوسف الكلارجى، والشيخ رمضان الخوانكى، والشيخ محمد النشيلى، والشيخ عمر الحلبى، والشيخ حسين عبد الشكور المكى، والشيخ ابراهيم الزمزمى، وحسن أفندى قطة مسكين، وأحمد أفندى الكرتلى، والأستاذ عبد الخالق بن وفا، وكان خصيصا به، وأجازه بالأحزاب، وهو الذى كناه بأبى التدانى، وألبسه التاج الوفائى، والسيد مصطفى العيدروس، وولده السيد عبد الرحمن ، والسيد عبد الله العيدروسى، والشيخ على بندق الشناوى الأحمدى، وكثير من المشايخ الأزهرية مثل السيد محمد البنوفرى، والشيخ عمر الإسقاطى، والشيخ أحمد الجوهرى، والشيخ أحمد الدلجى بن خال المترجم ، والشيخ أحمد الراشدى، والشيخ ابراهيم الحلبى صاحب حاشية الدر، والسيد سعودى مُحَشّى

التى قدرها أربعة عشر قيراطا من كل من ذلك الأيلولة المحكى تاريخها أعلاه وآلت إليه الحصة التى قدرها ثمانية قراريط وسدس قيراط باقى حصته المخلفة عنه المذكورة أعلاه بالإرث الشرعى من قبل والدته المرحومة شوق بنت المرحوم نصار أبو نجم ابن المرحوم نصار والمرحومة أمان بنت المرحوم الشيخ عبد الرحمن الجبرتى والمرحوم حسن ابن المرحوم حمودة رجب المذكور أعلاه والمتوفية المرحومة شوق المذكورة عن كل من أولادها الثلاثة هم محفوظ الجبرتى المتوفى المذكور وحسن حسين البايع المذكور ابنى المرحوم حمودة رجب المذكور أعلاه ثم توفى المرحوم حسن الابن المذكور عن كل من أخيه لوالدته المرحومة شوق المتوفية المذكورة هو محفوظ الجبرتى المرقوم أعلاه وأخيه شقيقه حسين رجب المذكور ثم توفيت المرحومة أمان المذكورة أعلاه عن أخيها لوالدها المذكور أعلاه هو محفوظ المتوفى المرقوم من غير شريك ومخلف عن المرحومة شوق والمرحومة أمان المتوفيتين المذكورتين أعلاه الحصة التى قدرها عشرة قراريط من كل ذلك على ما يتبين فيه ما هو مخلف عن المرحومة شوق المتوفية المذكورة الحصة التى قدرها ثلاثة قراريط من كل من ذلك وما هو مخلف عن المرحومة أمان المتوفية المرقومة الحصة التى قدرها سبعة قراريط باقى حصتها المخلفة عنهما المذكورة أعلاه يشهد لهما إلى حين وفاتهما بذلك الحجة المذكورة وما باعه حسين رجب المذكور الحصة التى قدرها قيراط واحد ونصف وثلث قيراط باقى كل من ذلك آل ذلك إليه إرثا من قبل أخيه شقيقه المرحوم حسين رجب ووالدته المرحومة شوق المتوفين المذكورين على الوجه المسطور ويشهد لكل من المتوفيين المذكورين بوضع يده على ما هو مخلف عنه من كل من ذلك بطريق الملك الشرعى إلى حين وفاته وبانتقال ذلك من بعده لورثته المذكورين ويجريان ذلك فى ملك البايعين المذكورين إلى تاريخه على الوجه المسطور كل ممن سمى أعلاه المخصوم على. هامش الحجة المذكورة أعلاه بمعنى ذلك

وللبايعين المذكورين ولاية بيع ذلك بالطريق الشرعى بدلالة ما شرح أعلاه وبالتصادق على ذلك اشتار (ء) صحيحا شرعيا وبيعا ووفا انعقد بينهم فى ذلك يوم تاريخه بإيجاب وقبول شرعيين بثمن قدره عن ذلك من الجنيهات الذهب ضرب مصر التى عبرة الواحد منها ماية غرش صاغ جنيه واحدة وأربعون جنيها على مايبين فيه ما هو عن ثمن حصة خليل وفاطمة المذكورين سوية بينهما ماية جنيه واحدة وثلاثون جنيها من ذلك وما هو عن ثمن حصة حسين رجب المذكور عشرة جنيهات باقى ذلك قاص المشترى المذكور خليل وفاطمة المذكورين أعلاه بمبلغ ثمن حصتهما المعينة لهما أعلاه لظير ما يستحقه بذمة مورثهما المرحوم محفوظ الجبرتى المتوفى المذكور من الدين الشرعى الواجب الادا شرعا الموافق لذلك قدرا وعددا وصفة حسب تصديقهما على ذلك التصديق الشرعى بريت بذلك ذمة المتوفى المذكور ووارثيه المذكورين من مبلغ الدين المرقوم وبريت بذلك ذمة المشترى المذكور من مبلغ الماية والثلاثون جنيها المذكور خليل وفاطمة المذكورين وقبض حسين رجب البايع المرقوم ثمن حصته المعينة له أعلاه من المشترى المرقوم قبضا شرعيا بتمام ذلك وكماله باعترافه بذلك بحضرة من ذكر أعلاه فى يوم تاريخه الاعتراف الشرعى واعترف المشترى المذكور بتسلم ذلك وحيازته لنفسه تسلما وحيازة شرعيين بثمن قدره بعد النظر والمعرفة والإحاطة بذلك علما وخبرة نافين للجهالة شرعا وبمقتضى ذلك وبما شرح أعلاه صار المكرم الحاج منلا محمد حسين المشترى المذكور أعلاه يستحق ملك كامل بناء المكان وما تداخل به على الوجه المسطور وبناء الحانوت المذكورة ثانيا وأرض المكان المذكور آخرا الصادر له فى ذلك التبايع المشروح أعلاه بالصفة التى عليها كل من ذلك الآن يتصرف فى ذلك لنفسه بمفرده خاصة بساير وجوه التصرفات الشرعية دون كل أحد وعليه القيام بما يقابل طبقتين من الثلاث طباق والمكان علو إحداهما والفسحة

ملا مسكين، وغيرهم من الأكابر والأخيار، وأهل الأسرار والأنوار، حتى كمل فى المعارف والفنون، ورمقته بالإجلال العيون، وعلا شأنه على علماء الزمان، وتميز بين الأقران، وأذعنت له أهل الأذواق، وشاع ذكره فى الآفاق، ووفد عليه الطلاب (ص٩٣٩) البلدانيـــــة، والواردون من النواحى الافاقية، وأتوا إليه من كل فج يسعون لميقاته ولزموا الطواف بكعبة فضله والوقوف بعرفاته، فمنهم من ينفر بعد اتمام نسكه وبلوغ أمينتــه، ومنهم من يواظب على الاعـتكاف بساحته، وكان رحمه الله عذب المورد للطالبين، طلق المحيا للواردين، يكرم كل من أم حـــمـــاه ويبلغ الراجى مناه، والمعـتـفى جدواه، والرغب أقـصى مرمـاه، مع البشـاشـة والطلاقة وسعة الصدر والريافة وعدم رؤية المنة على المجتدى، ومسامحة الجاهل والمعتدى، مع حسن الأخلاق والصفات، التى سجدت لها الخناصر كأنها أيات سجدات:

له صــحـــائف أخـــلاق مـــهـــذبة
منهـا العـلا والحـجـا والفـضل ينتـسج

وكانت ذاته جامعة للفضايل والفواضل، منزهة عن النقائص والرذايل، وقورا محتشما مهيبا فى الأعين معظما فى النفوس محبوبا للقلوب، ولا يعادى أحدا ولا يخاصم على الدنيا، فلذلك لا تجـد من يكرهه ولا من ينقم عليـه فى شىء من الأشيـاء ، وأما مكارم الأخلاق والحلم والصـفح والتـواضع والقناعة وشرف النفس وكظم الغيظ والانبساط إلى الجليل والحقير كل ذلك سجيت وطبعه من غير تكلف لذلك، ولا يرى لنفسه مقاما أصلا، ولا يعرف التصنع فى الأمور، ولا دعوى علم ولا معرفة ولا مشيخة على التلاميذ والطلبة، ولا يرضى التعاظم ولا تقبيل اليد، وله منزلة عظيمة فى قلوب

الأكابر والامرا والوزرا والأعيان، ويسعون إليه ويذهب إليهم لبعض المقتضيات والشفاعات ويرسل إليهم فلا يردون شفاعته ولا يتوانون فى (ص٠ ٩٤) حاجة يتكلم فيها، وله عندهم محبة ومنزلة فى قلوبهم وزيادة عن نظراته من الأشياخ لمعرفته بلسانهم ولغتهم واصطلاحهم ورغبتهم فيما يعلمونه فيه من المزايا والأسرار والمعارف المختص بها دون غيره، وخصوصا أكابر العثمانيين والوزرا وأهل العلوم والفضلا منهم، مثل على باشا ابن الحكيم وراغب باشا وأحمد باشا الكور وغيرهم، ويأتون إليه أحيانا فى التبديل، وأكرموه وهادوه، وكل ذلك مع العفة والعزة وعدم التطلع لشى من أسباب الدنيا بوظيفة أو مرتب أو فايظ أو نحو ذلك، وكان بينه وبين الأمير عثمان بك ذى الفقار صحبة ومحبة، وحج فى أيام إمارته على الحج مرافقا له مرات من ماله وصلب حاله ولم يصله منه سوى ما كان يرسله إليه على سبيل الهدية، وكان منزل سكنه الذى بالصنادقية ضيقا من أسفل وكثير الدرج، فعالج ابراهيم كتخدا على أن يشترى له أو يبنى له دارا واسعة فلم يقبل، وكذلك عبدالرحمن كتخدا وكان له ثلاثة مساكن أحدها هذا المنزل بالقرب من الأزهر وآخر بالإبزارية بشاطئ النيل ومنزل زوجته القديمة تجاه جامع مرزة، وفى كل منزل زوجة وسرار وخدم، فكان ينتقل فيها مع أصحابه وتلامذته، وكان يقتنى المماليك والعبيد والجوارى البيض والحبوش والسود، ومات له من الأولاد نيف وأربعون ولدا ذكورا وإناثا كلهم دون البلوغ ، ولم يعش له من الأولاد سوى الحقير ، وكان يرى الاشتغال بغير العلم من العبثيات، وإذا أتاه طالب فرح به وأقبل عليه ورغبه واكرمه ، وخصوصا إذا كان (ص١ ٩٤)

والحانوت والحاصل المذكورين من الحكر لجهة وقف السلطان أينال حكم المعتاد الجارى به العادة وبما على الطبقة باقى الثلاث طباق المذكورة من الحكر لجهة وقف المرحوم أحمد بن السلطان أينال حكم المعتاد الجارى به العادة كما ذلك معين بالحجة المذكورة التصرف والقيام الشرعين وتصادقوا على ذلك كله تصادقا شرعيا ثم عرض ذلك مفصلا على حضرة مولانا أفندى المشار إليه أعلاه فلما أن احاط علمه الكريم بذلك أمر بكتابته وقيده بالسجل المحفوظ ضبطا للواقع ورسم ذلك وقدره ألف غرش وأربعون قرشا صاغا ورد بخزينة هذه المحكمة بموجب علم خبر مؤرخ فى تاسع عشرين شهر مايو سنة اثنين وثمانين وثمانماية وألف افرنكية بنمرة خمسة وستين يومية تحريرا فى ثانى عشر شهر رجب الفرد الأصم الذى هو من شهور سنة تسع وتسعين ومايتين وألف قيدت بنمرة ٣ سجل القسمة العسكرية.

حرف	و عدد
٤	٣

صار العمل والمعول فيما هو معين قرينه على الحكم المعين والمشروح بحجة التبايع الشرعية المسطرة من الباب العالى بمصر المؤرخة فى خامس شهر جماد أول سنة ١٣٠١ المسجلة بنمرة ١٦ حرف ٤ عدد ١٩.

الوثيقة رقم (٣)
٢٦ جماد آخرسنة ١٢٣٣
كما ذكر فيه الأمر
نمقه الفقير إليه عز شأنه محمد مريمى
القاضى بمصر القاهرة
غفر له

سبب تحرير حروفه هو أنه بالقسمة العسكرية بمصر المحروسة المحمية لدى سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الإسلام علامة الأنام قاموس البلاغة ونبراس الأفهام الناظر فى الأحكام الشرعية قاضى القضاة يومئذ بمصر المحمية الموقع خطه الكريم أعلاه دام علاه بحضرة كل من الأمثل المكرم محمد جاويش المجلد بخط الجامع الأزهر ابن المرحوم سليمان

جاويش والسيد الشريف عبد الله الخياط ابن المرحوم السيد خليل والمكرم محمد طايل البنان باخط المذكور ابن المرحوم الشيخ حسن والمكرم على الكشاف ببيت المال ابن المرحوم الحاج ابراهيم المقدم والمكرم حسن طاها البنايس بن المرحوم طاها واطلاعهم وشهادتهم على ما سيذكر فيه دام كمالهم آمين. أشهد على نفسه الأمثل المكرم الحاج أحمد بن المرحوم نصر الدين الآتى ذكره فيه شهوده الاشهاد الشرعى وهو بأكمل الأوصاف المعتبرة شرعا أنه صدق على صحة البيع الصحيح الشرعى الخالى عن الرهن والرهن والوعدوالوفا الصادر فيما قبل تاريخه من قبل ولد عم والده المذكور هو المرحوم الحاج حموده البنان كان بن المرحوم الخواجا الحاج أحمد بن المرحوم الحاج ناصر الدين المذكور أعلاه حال حياته ونفوذ تصرفاته لفخر الفضلا العظام عمدة ألبلغا الكرام فخر المدرسين الفخام مفيد الطالبين بإفهام زين الشريعة والملة والدين مولانا العلامة الحبر البحر الفهامة عبد الرحمن الشهير بالجبرتى بن خاتمة المحققين المندرج إلى أعلا عليين المغفور العلامة الشيخ حسن أفندى الجبرتى الحنفى من أعيان أهل الإفادة والتدريس بالجامع الأزهر هو حالا كوالده المذكور كان تغمده الله بالرحمة والرضوان آمين فى جميع المكان الكاين بمصر المحروسة بخط الخراطين قريبا من مدرسة السنانية والجامع الأزهر على يسرة السالك طالبا للأشرفية وسوق العقادين البلدى الجارى أصل ذلك فى وقف المرحوم جوهر القنقباى المشتمل ذلك بدلالة حجتى الاستبدال الشرعيتين المسطرتين من الباب العالى بمصر المؤرخة إحداهما فى عاشر شعبان سنة خمسين ومائة وألف والثانية مؤرخة فى عاشر جماد الثانى سنة إحدى وخمسين ومائة وألف على باب بالشارع الأعظم يمنة الطالب لمدرسة السنانية يدخل من البا ب المذكور إلى دهليز به باب استثنى يدخل منه حوش به يمنه قنطرة سفلها معالم منظرة تقابلها واجهة البنا سفلها بير الدهليز والقنطرة والسبيل المركب على القنطرة

غريبا وربما دعاه للمجاورة عنده وصار من جملة عياله.

ومنهم من أقام عشرين عاما قياما ونياما لا يتكلف إلى شىء من أمر معاشه حتى غسل ثيابه من غير ملل ولا ضجر، وأنجب عليه كثير من علماء وقته المحققين طبقة بعد طبقة مثل: الشيخ أحمد الراشدى، والشيخ ابراهيم الحلبى، والشيخ مصطفى أبى الاتقان الخياط، والسيد قاسم التونسى، والشيخ العلامة أحمد العروسى، والشيخ ابراهيم الصيحانى المغربى، والطبقة الأخيرة التى أدركناها مثل الشيخ أبى الحسن القلعى ، والشيخ عبد الرحمن البنانى. وأما الملازمون له فهم الشيخ محمد بن اسماعيل النفراوى، والشيخ محمد الصبان، والشيخ محمد عرفة الدسوقى، والشيخ محمد الأمير، والشيخ محمد الشافعى الجناحى المالكى، والشيخ مصطفى الريس البولاقى، والشيخ محمد الشوبرى، والشيخ عبد الرحمن العريشى، والشيخ محمد الفرماوى. وهؤلاء كانوا المختصين به الملازمين عنده ليلا ونهارا ، وخصوصا الشيخ محمد النفراوى، والصبان ومحمود أفندى النيشى والفرماوى والشيخ محمد الأمير والشيخ محمد عرفه، فإنهم كانوا بمنزلة أولاده وخصوصا الأولين فإنهما كانا لا يفارقانه إلا وقت إقراء دروسهما، وكان يباسط أخصاءه منهم ويمازحهم ويروحهم بالمناسبات والأدبيات والنوادر والأبيات الشعرية والمواليات والمجونيات والحكايات اللطيفة والنكات الظريفة، وينتقلون صحبته فى منازل بولاق ومواطن النزهة فيقطعون الأوقات ويشغلونها حصة فى مدارسة العلم وأخرى فى مطارحات المسايل وأخرى للمفاكهة والمباسطة (ص٩٤٢) والنوادر الأدبية، ومن الملازمين على الترداد عليه والأخذ عنه الشيخ محمد الجوهرى والشيخ سالم

القيرواني ومحمد أفندى مفتى الجزاير والسيد محمد الدمرداش وولداه السيد عثمان والسيد محمد. وممن تلقى عنه شيخ الشيوخ الشيخ على العدوى ، تلقى شرح الزيلعى على الكنز فى الفقه الحنفى وكثيرا من المسائل الحكمية ، ولما قرأ كتاب المواقف فكان يناقشه فى بعض المسائل محققو الطلبة فيتوقف فى تصويرها لهم فيقوم من حلقته ويقول لهم اصبروا مكانكم حتى أذهب إلى من هو أعرف منى بذلك وأعود إليكم ، ويأتى إلى المترجم فيصورها له بأسهل عبارة ويقوم فى الحال فيرجع إلى درسه ويحققها لهم.

وهذا من أعظم الديانة والإنصاف، وقد تكرر منه ذلك غير مرة، وكان يقول عنه لم نر ولم نسمع من توغل فى علم الحكمة والفلسفة وزاد إيمانه إلا هو، رحم الله الجميع أولئك ابائى فجئنى بمثلهم.

وممن تلقى عنه من أشياخ العصر العلامة الشيخ محمد المصيلحى ، والعلامة الشيخ حسن الجداوى، والشيخ محمد المسودى والشيخ أحمد بن يونس والشيخ محمد الهلباوى، والشيخ أحمد السجاعى ، لازمه كثيرا وأخذ عنه فى الهيئة والفلكيات والهداية وألف فى ذلك متونا وشروحا وحواشى، وأما من تلقى عنه من الآفاقيين وأهالى بلاد الروم والشام وداغستان والمغاربة والحجازيين فلا يحصون، وأجل الحجازيين الشيخ ابراهيم الزمزمى، وأما ما اجتمع عنده وما اقتناه من الكتب فى ساير العلوم فكثير جدا قلما اجتمع ما يقاربها فى الكثرة (ص٩٤٣) عند غيره من العلماء أو غيرهم، وكان سموحا بإعارتها وتغييرها للطلبة وذلك كان السبب فى إتلاف أكثرها وتخريمها وضياعها، حتى أنه كان

وحايط البير كامل علو ذلك من حقوق الغير ولم يكن داخلا فى عقد ذلك فيما بين المنظر وواجهة البير باب يدخل منه إلى اسطبل علوه مقعد يتوصل إليه من سلم علو ذلك من حقوقه وبالحوش يسرة الطالب للاسطبل باب يدخل منه إلى دهليز علوه من حقوق الغير وبالدهليز باب يدخل منه إلى رحاب مفروش بالرخام القديم به باب يدخل منه إلى قاعة تحوى إيوانين ودور قاعة بها بابان أحدهما يدخل منه إلى مجاز به كرسى راحة وسلم يتوصل منه إلى أغانى والسطح العالى على ذلك وهو علو المقعد المذكور والباب الثانى يدخل منه إلى مطبخه تجاهه قاعة صغيرة وسلم يتوصل منه إلى طبقة وإلى سطح صغير وما لذلك من المنافع والمرافق والحقوق الداخلة فيه والخارجة عنه خلا العلو المرقوم فإنه من حقوق الغير وجميع الحانوت الكاينة بمصر المحروسة بخط الخراطين المذكور تجاه الوكالة المعروفة بخان البلاط المشتمل ذلك بالدلالة المذكورة على مسطبة وداخل ودرفتى باب خشبا نقيا ومنافع ومرافق وحقوق معلوم ذلك عندهما شرعا وله شهرة فى محله تدل عليه فى نظير مبلغ الثمن عن ذلك حين ذاك وقدره من الريالات المصرية التى عبرة كل ريال منها تسعون نصفا فضة سبعماية ريال معاملة مصرية وعلى صحة ما قبضه المتوفى البايع المذكور حالة التبايع لذلك من أصل مبلغ الثمن المرقوم وقدره عشرة ريالات مصرية وعلى صحة ما قبضه هو يوم تاريخه بحضرة شهوده ومن ذكر أعلاه باقى الثمن المرقوم وقدره ستماية ريال وتسعون ريالا مصرية مع ما تبرع به مولانا الشيخ عبد الرحمن المشهد له المشترى المشار إليه أعلاه للمكرم الحاج حسين الغالبى المشهد المذكور على سبيل الصلة والمعروف وقطعا لمادة الخصام والنزاع ونظير التصديق المذكور وقدره ثلاثماية ريال مصرية ليصير جملة ما قبضه الحاج حسين المذكور عن باقى ثمن المكان والحانوت ومبلغ التبرع المشروحين أعلاه مبلغ قدره تسعماية ريال وتسعون ريالا مصريا المتوفى المرحوم الحاج حمودة البنان البايع

المذكور إلى رحمة الله سبحانه وتعالى عن ولد ولد عمه المشهد المذكور أعلاه من غير شريك ولا حاجب شرعى والآيل المكان للحاج حمودة المذكور بالارث الشرعى من قبل والده المرحوم الخواجا الحاج أحمد بن المرحوم الحاج ناصر الدين المذكور أعلاه المتوفى إلى رحمة الله تعالى قبل تاريخه عن ولده المرحوم حمودة المذكور ومخلفا عنه كامل المكان المذكور أعلاه يشهد له إلى حين وفاته بذلك الحجتين المحكى تاريخهما أعلاه ويشهد للمرحوم الحاج حمودة المذكور بكامل الحانوت المذكورة أعلاه الحجج الشرعية المسطرة من الباب العالى مصر المؤرخة في عاشر ربيع أول سنة ست وثمانين ومائة وألف المدعى ضياعها المنبه على تاريخها بهامش الحجة الشرعية المسطرة من الباب العالى بمصر المؤرخة في عاشر رمضان سنة أربع وستين وماية وألف وكل من المكرم محمد جاويش والسيد عبد الله الخياط والمكرم محمد طايل المذكورين أعلاه الشهدة الشرعية المخصوم على هامش الحجج المذكورة بمعنى ذلك وعلى صحة جريان ذلك فى ملك مولانا العلامة المشهد له المذكور من حين صدور البيع المذكور من المكرم الحاج حمودة المذكور والى تاريخه بدون منازع له فى ذلك ولا مدافع وعلى أن لا حق له فى ذلك بملك ولا بشبهة ملك ولا باستحقاق ولا بشبهة استحقاق ولا بتصرف ولا بشبهة تصرف ولا ببيع ولا بشراء ولا بحصة ولا بنصيب ولا بوضع يد ولا بقبض أجرة ولا بارث ولا بموروث ولا بغير ذلك مطلقا وأن الحق والاستحقاق والملك والتصرف فى المكان والحانوت المذكورين لمولانا العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتى المشهد له المذكور بمفرده خاصة بمقتضى ما نص وشرح باعاليه تصديقا شرعيا لادافع له فى ذلك ولا فى بعضه ولا فى شىء منه بوجه من الوجوه ولا بطريق من الطرق ولا بحال من الأحوال الشرعية كلها ولامطعنا شرعيا باعترافه بذلك بشهوده ومن ذكر أعلاه فى يوم تاريخه الاعتراف الشرعي وصدقه على

أعد محلا فى المنزل ووضع فيه نسخا من الكتب المستعملة التى يتداول علماء الأزهر قراءتها للطلبة مثل الأشمونى وابن عقيل، والشيخ خالد وشروحه، والأزهرية وشروحها، والشذور، وكذلك من كتب التوحيد مثل شروح الجوهرة والهدهدى وشروح السنوسية والكبرى والصغيرى، وكتب المنطق والاستعارات والمعانى والبيان، وكذلك كتب الحديث والتفسير والفقه فى المذاهب وغير ذلك، فكانوا يأتون إلى ذلك المكان ويأخذون ويغيرون وينقلون من غير استئذان، فمنهم من يأخذ الكتاب ولا يرده ومنهم من يهمل التغييرة فتضيع الكراريس، ومنهم من يسافر ويتركها عند غيره، ومنهم من يهمل آخر الكتاب، ويتفق ان الاثنين والثلاثة يشتركون فى الكتاب الواحد والنسخة الواحدة، ولابد من حصول التلف من أحدهم، ولابد من حصول الضياع والتلف فى كل سنة وخصوصا فى أواخر الكتب عندما تفتر هممهم ،و أكثر الناس منحرفو الطباع، معوجو الأوضاع، واقتنى أيضا كتبا نفيسة خلاف المتداولة، وأرسل إليه السلطان مصطفى نسخا من خزائنه، وكذلك أكابر الدولة بالروم ومصر وباشة تونس والجزاير واجتمع لديه من كتب الأعاجم مثل الكلستان وديوان حافظ وشاه نامه، وتواريخ العجم وكليلة ودمنة ويوسف وزليخا وغير ذلك ، وبها من التشاويه [الزخارف] (ص٩٤٤) والتصاوير البديعة الصنعة الغريبة الشكل وكذلك الآلات الفلكية من الكرا النحاس التى كان اعتنى بوضعها حسن أفندى الروزنامجى بيد رضوان أفندى الفلكى كما تقدم فى ترجمتهما، ولما مات حسن افندى المذكور اشترى جميعها من تركته، وكذلك غيرها من الالات الارتفاعية والميالات وحلق الأرصاد

والإسطرلابات والأرباع والعدد الهندسية وأدوات غالب الصناع مثل النجارين والخراطين والحدادين والسمكرية والمجلدين والنقاشين والصواغ والات الرسم والتقاسيم، ويجتمع به كل متقن وعارف فى صناعته مثل حسن أفندى الساعاتى وكان ساكنا عنده،و عابدين أفندى الساعاتى وعلى أفندى رضوان وكان من أرباب المعارف فى كل شىء ومحمد أفندى الاسكندرانى والشيخ محمد الأقفالى وابراهيم السكاكينى والشيخ محمد الزبدانى وكان فريدا فى صناعة التراكيب والتقاطير واستخراج المياه والأدهان ، وغير هؤلاء ممن رأيت ومن لم أر، وحضر إليه طلاب من الإفرنج وقروا عليه علم الهندسة وذلك سنة تسع وخمسين ، وأهدوا له من صنايعهم والاتهم أشياء نفيسة وذهبوا إلى بلادهم ونشروا بها ذلك العلم من ذلك الوقت، وأخرجوه من [القول] إلى الفعل واستخرجوا به الصنايع البديعة مثل طواحين الهواء وجر الأثقال واستنباط المياه وغير ذلك، وفى أيام اشتغاله بالرسم رسم مالايحصى من المزاول على الرخامات والبلاط الكدان ونصبها فى أماكن كثيرة ومساجد شهيرة مثل الأزهر والأشرفية (ص٩٤٥) وقوصون ومشهد الإمام الشافعى والسادات، وفى الآثار منها ثلاثة واحدة بأعلى القصر وأخرى على البوابة وأخرى عظيمة بسطح الجامع، بقى منها قطعة وكسر باقيها فراشوا الأمراء الذين كانوا ينزلون هناك للنزهة ليمسحوا [بها] صوانى الأطعمة الصفر، وكذلك بوردان بالتماس مصطفى أغا الوردانى وكذلك بحوش مدفن الرزازين بالتماس رضوان جربجى الرزاز رحمه الله، ونقش عيها تاريخا منظوما ينوه فيه بذكر رضوان المذكور وهو هذا :

ذلك مولانا المشهد له المذكور وقبل ذلك منه لنفسه تصديقا وقبولا شرعيين وبمقتضى ذلك وبما شرح أعلاه صار مولانا العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتى المشهد له المشار اليه أعلاه يستحق ملك كامل المكان والحانوت المذكورين باعاليه الصادر فى ذلك التبايع والتصديق المشروحين أعلاه يتصرف فى ذلك لنفسه بمفرده خاصة بساير وجوه التصرفات الشرعية دون كل من المشهد المذكور وكل احد وعليه القيام بما على ذلك من الأحكار لمستحقيها شرعا الصيرورة والاستحقاق والتصرف والقيام الشرعيات بالطريق الشرعى للمقتضى المشروح أعلاه وتصادقا على ذلك كله تصادقا شرعيا وثبت الإشهاد بذلك لدى مولانا أفندى المومى إليه أعلاه بشهادة شهوده ثبوتا شرعيا وحكم بموجب ذلك حكما صحيحا شرعيا وبه شهدو حرر فى سادس عشرين جماد آخر سنة ثلاث وثلاثين ومايتين والفا.شهوده

امضاء.. إمضاء إمضاء إمضاء إمضاء

صدر أيلولة شرعية من بعد المرحوم مولانا العلامة الشيخ عبد الرحمن الجبرتى المذكور قرينه لورثته من بعده على الحكم المعين بحجة الأيلولة الشرعية المسطرة من هذه المحكمة مؤرخة فى سابع شهر جماد أول سنة ١٢٥٧.

الوثيقة رقم (٤)

٩ جماد أول سنة ١٢٥٧

الأمر كما ذكر فيه

نمقه الفقير إليه عز شأنه عبد الملك بيك ...

السيد أحمد نجيب القاضى بمصر المحروسة غفر لهما

ختم: السيد أحمد نجيب

بالبيت العالى أعلاه الله سبحانه وتعالى وشرفه إلى يوم الدين بمصر المحروسة بين يدى نايب حضرة سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الإسلام علامة الأنام قاموس البلاغة ونبراس الافهام الناظر فى الأحكام الشرعية قاضى القضاة يومئذ بمصر المحمية الموقع خطه الكريم أعلاه دام علاه آمين بحضرة كل من المكرم السيد الشريف مصطفى البنان برأس

رضـــوانـنـا الـرزاز حـــاز دعـــاء مـن
صـلـى وراعـى كـل وقـت والتـــــزم
لـيـــســـاره بـحـــذاء مـــزولـة أتـى
تاريخـهـا حـسـن الجـبـرتى قـد رسـم

وغير ذلك بمنازله وغيرها حتى أن الخدم تعلموا ذلك فصاروا يقطعون البلاط المناشير ويمسحونه بالمماسح الحديد والمبارد ويهندسون اعتداله بالمساطر والقياسات بالبياكير، بل ويرسمونه أيضا. وأما ما كان على الرخامات فيباشر صناعته وحفره صناع الرخام بالأزمير بعد التعليم على مواضع الرسم ومقادير أبعاد المدارات والظلال وما عليها من الكتابة والتعاريف، ولما تمهر الآخذون عنه والملازمون عنده ترك الاشتغال بذلك وأحال الطلاب عليهم فإذا كان الطالب من أبناء العرب تقيد بتلميذه الشيخ محمد بن اسماعيل النفراوى، وإن كان من الأعاجم والأتراك تقيد بمحمود أفندى النيشى، واشتغل هو بمدارسة الفقه وإقرائه ومراجعة الفتاوى والتحرى فى الفروع الفقهية والمسايل (ص٩٤٦) الخلافية، وانكب عليه الناس يستفتونه فى وقايعهم ودعاويهم، وتقرر فى أذهانهم تحريه الحق والنصوص حتى أن القضاة لا يثقون إلا بفتواه دون غيره، وتقييد للمراجعة عنده الشيخ عبد الرحمن العريشى فانفتحت قريحته وراج أمره وترشح بعده للإفتاء ، وكان المترجم لا يعتنى بالتأليف إلا فى بعض التحقيقات المهمة ، منها «نزهة العينين فى زكاة المعدنين» و«رفع الإشكال بظهور العشر فى العشر فى غالب الأشكال» و «الأقوال المعربة عن أحوال الأشربة» ، و«كشف اللثام عن وجوه مخدرات النصف الأول

خان الخليلى ابن المرحوم السيد حمودة الخلوتى والشيخ العمدة الفاضل حاوى الكمالات والفضايل مكاوى الفيومى ابن المرحوم الحاج أحمد سعد الفيومى والسيد شريف محمد السقطى العطار بخط المشهد ابن المرحوم السيد محمد السقطى القبانى والعمدة الشيخ محمد جوده العدوى ابن المرحوم حمودة والمكرم الحاج سليمان الشايب ابن المرحوم عبد الكريم الشايب والمكرم على عطية ابن المرحوم الحاج محمد حميدة والمكرم حسين حميدة ابن المرحوم الشيخ حميدة والمكرم أحمد عبد الحق ابن المرحوم عبد الحق العدوى كل منهم بوكالة الجلابة دام كما لهم آمين . اشترى المكرم السيد الشريف العمدة الفاضل حاوى الكمالات والفضايل شهاب الدين أحمد وهو الوكيل الشرعى عن والده المكرم السيد الشريف موسى أبو النصر ابن المرحوم السيد أحمد أبو النصر العدوى أحد التجار بوكالة الجلابة هو التوكيل الشرعى بالطريق الشرعى بمال والده موكله المذكور أعلاه من كل من بايعيه هما الشيخ العمدة الأكمل محفوظ نجل المغفور له الشيخ عبد الرحمن الشهير بالجبرتى الحنفى القايم عن نفسه وبطريق وكالته الشرعية عن والدته المصونة شوق خاتون بنت المرحوم الشيخ نصار الثابت معرفتها وتوكيله عنها فى شأن ما سيذكر فيه بين يدى مولانا أفندى المومى إليه أعلاه وبشهادة كل من المكرم السيد مصطفى البنان المذكور أعلاه والمكرم على الرملى العلاف ابن الحاج محمود ثبوتا شرعيا وفخر أمثاله المكرمين يحيى أفندى الشهير بالحكيم ابن عبد الله وهو الوكيل الشرعى عن زوجته فخر المخدرات المصونة أمان خاتون بنت المرحوم الشيخ عبد الرحمن الجبرتى المذكور الثابت معرفتها وتوكيله عنها فى شأن ما سيذكر فيه بين يدى مولانا أفندى المومى إليه أعلاه بشهادة كل من السيد الشريف محمد السقطى العطار والشيخ مكاوى الفيومى المذكورين أعلاه ثبوتا شرعيا فباعاه كل من البايع الوكيل عن نفسه وعن موكلته

من ذو الأرحـــام» و«الوشي المجـمـل في النسب المحـمـل»، و«القـول الصايب في الحكم على الغـايب»، و«بلوغ الآمـال في كيفية الاستقبال» و«الجداول البهية برياض الخزرجية»، في علم العـروض و «إصـلاح الأسـفـار عن وجـوه بعض مخدرات الدر المختار»، و«مأخذ الضبط، في اعتراض الشرط على الشرط» و «النسمات الفيحية على الرسالة الفتحية» و«العـجاله على اعدل آلة» و«حـقـايق الدقـايق على دقـايق الحـقـايق» و«أخـصـر المختـصـرات على ربع المقنطرات» و«الثمرات الجنية من أبواب الفتحية» و «المفـصـحة فيما يتعلق بالأسطحة»، «الدر الثمين في علم الموازين»، وحاشية على «شرح قاضي زاده على الجغميني» لم تكمل وحاشيـة «الدر المختار» لم تكمل و «مناسك الحج»، وغير ذلك حواش وتقييدات على العصام والحفيد والمطول والمواقف والهداية في الحكمـة والبـرزنجي على قـاضي زاده، وأمـثلة وبراهين هندسيـة شـتى، ومـاله من الرسـومـات المختـرعـة ، والآلات (ص٩٤٧) النافعـة المبـتـدعـة. ومنهـا الآلة المربعـة لمعـرفـة الجـهـات، والسـمـت والانحـرافـات، بأسـهل مـأخـذ وأقـرب طريق، والدايرة التـاريخية وبركار الدرجة ، واتفق أنه في سنة ثنتين وسبعين وقع الخلل في الموازين والقبـابين، وجـهل أمر وضعها ورسمها، وبعد تحديدها وريحها ومشيلها واستخراج مامينها، وظهر فيها الخطأ واختلفت مقادير الموزونات وترتب على ذلك ضـيـاع الحـقـوق وتلاف الأمـوال، وفـسـد على الصناع تقليدهم الذي درجوا عليه فعند ذلك تحركت همة المترجم لتصحيح ذلك وأحضر الصناع لذلك من الحدادين والسـبـاكين وحـرر المثـاقـيل والصنج الكبـار والصـغـار والقرسطونات ورسمها بطريق الاستخراج على أصل العلم

والوكيل عن موكلته المذكورين أعلاه لوالده موكله المذكور أعلاه على الحكم الآتي بيانه فيه وجميع ملك كامل بنا المكان الكاين بمصر المحروسة بخط الخراطين قريبا من مدرسة السنانية والجامع الأزهر على يسرة السالك طالبا للأشرفية وسوق العقادين البلدي المشتمل ذلك بدلالة ما يأتي ذكره فيه على باب بالشارع الأعظم يمنة طالب المدرسة السنانية يدخل من الباب المذكور إلى دهليز به باب استثنى يدخل منه إلى حوش به يمنة قنطرة سفلها معالم منظرة يقابلها واجهة البنا سفلها بير ماء معين علو الدهليز والقنطرة والسبيل المركب على المنظرة وحايط البير كامل علو ذلك من حقوق الغير ولم يكن داخل في عقد ذلك فيما بين المنظرة وواجهة البير باب يدخل منه الى اسطبل علوه مقعد يتوصل إليه من سلم علو ذلك من حقوقه وبالحوش يسرة الطالب باب يدخل منه إلى رحاب مفروش بالرخام القديم يدخل منه إلى قاعة تحوى إيوانين ودور قاعة بها بابان أحدهما يدخل منه إلى مجاز به كرسي راحة وسلم يتوصل منه إلى أغالي والسطح العالي على ذلك وهو علو المقعد المذكور والباب الثاني يدخل منه إلى مطبخ تجاهه قاعة صغيرة وسلم يتوصل منه إلى طبقة والى سطح صغير وما لذلك من المنافع والمرافق والحقوق الداخلة فيه والخارجة عنه خلا العلو المرقوم. فانه من حقوق الغير وجميع الحانوت الكاينة بمصر المحروسة بخط الخراطين المذكور تجاه الوكالة المعروفة بخان البلاط المشتمل بذلك بالدلالة المذكورة أعلاه على مسطبة وداخل ودرفتي باب خشبا نقيا ومنافع ومرافق وحقوق ولكل من ذلك شهرة في محله تدل عليه المعلوم ذلك عندهم شرعا والجاري أصل ذلك في وقف المرحوم جوهر القنقباي وملك بنا ذلك في ملك كل من البايع الوكيل والموكلتين المذكورين أعلاه ويدهم وحوزهم وتصرفهم واختصاصهم الشرعي بمفردهم إلى تاريخه بيان الحكم الموعود بذكره أعلاه ما هو في ملك المكرم الشيخ محفوظ البايع الوكيل المذكور خاصة نفسه الحصة التي

قدرها أربعة عشر قيراطا من ذلك وما هو فى ملك المصونة شوق الموكلة المذكورة خاصة نفسها الحصة التى قدرها ثلاثة قراريط من ذلك وما هو فى ملك المصونة أمان الموكلة المذكورة أعلاه الحصة التى قدرها سبعة قراريط باقى المكان المبتاع المذكور أعلاه يشهد لهم بذلك على الوجه لمسور حجة الأيلولة الشرعية المسطرة من القسمة العسكرية مصر المؤرخة فى سابع شهر تاريخه أدناه وهى الدلالة الموعود بذكرها أعلاه المخصوم على هامشها بمعنى ذلك وكل ممن سمى أعلاه الشهادة الشرعية بالطريق الشرعى ولهما ولاية بيع ذلك عن نفسه وعن موكلته والوكيل عن موكلته المذكورين أعلاه وقبض ثمنه بالطريق الشرعى بدلالة ما شرح أعلاه وبالتصادق على ذلك اشتراء صحيحا شرعيا وبيع بتا لازما ناجزا معتبرا محررا مرعيا خاليا عن رهن ووعد ووفا العقد بينهم فى ذلك يوم تاريخه بإيجاب وقبول شرعين بثمن قدره عن ذلك من الغروش الرومية التى عبرة كل غرش منها أربعون نصفا فضة ستة آلاف غرش وثلاثماية غرش روميا نصفها حفظا لأصلها وضبطا وبيانا لجملتها ثلاثة آلاف غرش وماية غرش وخمسون غرشا روميا ثمنا حالا مقبوض ذلك من الوكيل المشترى المذكور من مال والده موكله المذكور الخاص به شرعا بيد كل من البايع الوكيل له ولموكلته والوكيل لموكلته المذكورين أعلاه كل منهم بما يقابل حصته من ذلك قبضا شرعيا بتمام ذلك وكماله نقدا بالمجلس بحضرة شهوده ومن ذكر أعلاه فى يوم تاريخه واعترف الوكيل المشترى المذكور أعلاه بتسلم ذلك وحيازته لوالده موكله المذكور أعلاه التسلم والحيازة الشرعين بعد النظر والمعرفة والاحاطة بذلك علما وخبرة نافين للجهالة شرعا وبمقتضى ذلك وبما شرح أعلاه صار السيد الشريف موسى أبو النصر العدوى الموكل المذكور يستحق ملك كامل بنا المكان والحانوت سفله المبتاعين المذكورين يتصرف فى ذلك لنفسه بمفرده خاصة بساير وجوه التصرفات الشرعية دون

العملى والوضع الهندسى، وصرف على ذلك أموالا من عنده ابتغاء لوجه الله، ثم أحضر كبار القبانية والوزانين مثل الشيخ على خليل والسيد منصور والشيخ على حسن والشيخ حسن ربيع وغيرهم وبين لهم ماهم عليه من الخطأ وعرفهم طريق الصواب فى ذلك، وأطلعهم على سر الوضع والصنعة ومكنونها وأحضروا العدد وأصلحوا منها ما يمكن إصلاحه وأبطلوا ما تقادم وضعه وفسدت لقمه ومراكزه، وقيدوا بصناعة ذلك الأسطى مراد الحداد ومحمد بن عثمان حتى تحررت الموازين وانضبط أمرها وانصلح شأنها وسرت فى الناس العدالة الشرعية المأمورين بإقامتها، واستمر العمل فى ذلك أشهرا،و هذا هو السبب الحامل له على تصنيف الكتاب المذكور وهذا هو ثمرة العلم ونتيجة المعرفة (ص٩٤٨) والحكمة المشار إليها بقوله تعالى «يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا».

حلف الزمانُ ليأتين بمثله

حنثت يمينك يازمان فكفر

وأما النظم فنروى عنه القليل فى بعض فوايد وضوابط منها فى معانى الإعراب اللغوى قوله:

وفى اللغة الإعراب جاء مفصلا

بثنتين مع عشر يعد مفاده

إبان وتحسين وجول تحبب

إزالة عرب الشىء وهو فساده

تكلم بالفصحى أو الفحش أو ولد

له عربى اللون صارت جياده

عرابا ولم يلحن كلاما تغير

وإعطاء عربون لينجو فؤاده

(وله فى نظم ساعات النهار):

إذا رمت ساعات النهار وحصرها
مرتبة فاقبل عليها الاعتنا
شروق بكور ثم غدوة ضحوة
فهاجرة ثم الهجير فظهرنا
ظهيرته ثم الرواح فعصره
أصيل غروب بالهناء أتى لنا

(وله فى ساعات الليل):

وإن رمت ساعات لليل فأول
بها شفق يأتيك فى العد بينا
غسيق عشاء ثم عتمة جَهْمَة (ص٩٤٩)
فزلفته ثم السديفة فافطنا
فبهرته ثم السحير فصبحه
صباح فإسفار فخدها بلاعنا

(وله فيما لا يسوغ الشرب بعده):

توق لشرب الماء من بعد عشرة
طعام وحمام وحلو مجامع
ومتعبة من بعد مسهل فاكهه
ويقظتها من بعد سخن وجائع

(وله فى الدم الطاهر):

فطاهره باق بلحم وعرقه
وكبد وقلب مع طحال بلا شك
ومالم يسِلْ منا و بق وقمل

كل من البايع الوكيل والموكلتين المذكورين أعلاه ودون كل أحد وعليه القيام بما على ذلك من الحكر لجهة وقف أصله المذكور حكم المعتاد الجارى به العادة كما ذلك معين بالحجة المحكى تاريخها أعلاه الصيرورة والاستحقاق والتصرف الشرعيات بالطريق الشرعى للمقتضى المشروح أعلاه وتصادقوا على ذلك كله تصادقا شرعيا وثبت الاشهاد بذلك بين يدى مولانا أفندى المومى إليه أعلاه بشهادة شهوده ثبوتا شرعيا وحكم حضرة مولانا شيخ الإسلام المشار إليه أعلاه بموجب ذلك حكما صحيحا شرعيا تحريرا فى تاسع شهر جماد أول سنة سبع وخمسين ومايتين وألف.

شهوده

إمضاء إمضاء إمضاء إمضاء إمضاء

الوثيقة رقم (٥)
٧ جماد أول سنة ١٢٥٧
الأمر كما ذكر فيه
نمقه الفقير إليه عز شأنه السيد نجيب أحمد
القاضى بمصر المحروسة
ختم : السيد نجيب أحمد

سبب تحرير حروفه هو أنه بالقسمة العسكرية المحمية بين يدى حضرة سيدنا ومولانا شيخ مشايخ الإسلام علامة الأنام قاموس البلاغة ونبراس الافهام الناظر فى الأحكام الشرعية وأمور القسمة العسكرية قاضى القضاة يومئذ بمصر المحمية الموقع خطه الكريم أعلاه دام علاه آمين بحضرة كل من المكرم على الرمالى العلاف ابن المرحوم الحاج محمود الرمالى والمكرم حسين العدوى ابن المرحوم عبد الرحمن العدوى والمكرم على السقا ابن المرحوم حسن غانم دام كمالهم آمين بعد أن توفى إلى رحمة الله سبحانه وتعالى قبل تاريخه مولانا العلامة الشيخ عبد الرحمان الشهير بالجبرتى ابن المغفور له الشيخ حسن أفندى الجبرتى الحنفى وانحصر ميراثه الشرعى فى كل من زوجته المصونة شوق بنت المرحوم الشيخ نصار وولديها هما العمدة الفاضل الشيخ محفوظ من الزوجة المذكورة والمصونة

أمان المرأة من غير الزوجة المذكورة من غيز شريك ولا مانع شرعى وكان المخلف عن المتوفى المذكور مما يورث شرعا جميع ملك كامل بنا المكان الكائن بمصر المحروسة بخط الخراطين قريبا من مدرسة السنانية والجامع الأزهر على يسرة السالك طالبا للأشرفية وسوق العقادين البلدى المشتمل ذلك بدلالة ما يأتى ذكره فيه على باب بالشارع الأعظم يمنة الطالب لمدرسة السنانية يدخل من الباب المذكور إلى دهليز به باب استثنى يدخل منه إلى حوش به يمنة منظرة سفلها معالم منظرة يقابلها واجهة البنا سفلها بير ماء معين علو الدهليز والقنطرة والسبيل المركب على القنطرة وحايط البير كامل علو ذلك من حقوق الغير ولم يكن داخلا فى عقد ذلك فيما بين المنظرة وواجهة البير باب يدخل منه إلى اسطبل علوه مقعد يتوصل إليه من سلم علو ذلك من حقوقه بالحوش يسرة الطالب باب يدخل منه إلى دهليز علوه من حقوق الغير بالدهليز باب يدخل منه إلى رحاب مفروش بالرخام القديم يدخل منه إلى قاعة تحوى إيوانين ودور قاعة بها بابان أحدهما يدخل منه إلى مجاز به كرسى راحة وسلم يتوصل منه إلى أغانى والسطح العالى على ذلك وهو علو المقعد المذكور والباب الثانى يدخل منه إلى مطبخ تجاه قاعة صغيرة وسلم يتوصل منه إلى طبقة وإلى سطح صغير وما لذلك من المنافع والمرافق والحقوق الداخلة فيه والخارجة عنه خلا العلو المرقوم فانه من حقوق الغير وجميع الحانوت الكاينة بمصر المحروسة بخط الخراطين المذكور تجاه الوكالة المعروفة بخان البلاط المشتمل ذلك بدلالة ما يأتى ذكره فيه على مسطبة وداخل ودرفتى باب خشبا نقيا ومنافع ومرافق وحقوق ولكل من ذلك شهرة فى محله تدل عليه المعلوم ذلك عند الورثة المذكورين العلم الشرع النافى للجهالة شرعا والجارى أصل ذلك فى وقف المرحوم جوهر القنقباى وبنا ذلك فى ملك المتوفى المذكور ويده وحوزه وتصرفه الشرعى بمفرده إلى تاريخه يشهد له بذلك إلى حين وفاته الحجة الشرعية المسطرة من

وألحق براغيشا كذلك والسمك

(وله فى وضع الكتب فوق بعضها):

إذا رمت وضعا للعلوم مرتبا
فبادر إلى حوز وحفظ لشارده
فنحو فتعبير كلام ففقهم
كذلك أخبار ودعوات وارده
ومن بعد ذا علم القراءة فوقها
ومن فوقه التفسير فادر موارده

(وله فى ألقاب البناء والإعراب):

ألا إن ألقاب البناء بيانها
سكون وكسر ثم فتح كذا ضم
فألقاب إعرب أتت يامسامرى
برفع ونصب ثم جر كذا جزم

(وله فى لفظ شفة على ما فى المصباح):

وشفة لكل ذات تنطق
قد وضعت فاحفظ لما قد حققوا
جحفلة مقمة ومشفر
لحافر ظلف وخف حرروا
ومنسر لذى جناح صائد
منقار موضوع لغير الصائد
خطم وخرطوم لسبع ثبتا
فنطيسة لكل خنزير أتى

(وله فى ياء المخاطبة على مذهب الأخفش):

وأخفش في يالضربي مخالف
وتضر بين قائلا ذى أحرف

(وله في تفصيل الثياب):

لتفصيل الثياب بيوم سبت
سقام قد تزايد أو تجدد
وفي التالى لهم مع غموم
وفي الاثنين مبروك ومسعد
ويسرق أو يحرق في الثلاثا
وتاليه لجلب الرزق يعهد
وفي يوم الخميس لرزق علم
وفي الغرا لطول العمر يقصد

وله في العقود التي تتعين فيها النقود كما في الفصول العمادية:

خذعين مالك في مواطن عشرة
هبة وغصب ثم شركة السلم
(ص٩٥١) وكذلك المقبوض في دعوى غدت
بتصادق من غير ما أصل حتم
وكذلك العبد المعين اذا قضى
قاض بردّ وهو في باب السلم
وكذلك المشرى بثوب ثم قب
ـل القبض مات فعين ثوب تلتزم
وكذلك في البيع الذى هو فاسد
من أصله كالبيع في حُرّ حكم

القسمة العسكرية بمصر المؤرخة في سادس عشرين جماد آخر سنة ثلاث وثلاثين ومايتين وألف المخصوم على هامشها بمعنى ذلك وكل ممن سمى أعلاه الشهادة الشرعية بالطريق الشرعى وال ذلك من بعد المتوفى المذكور لورثته المذكورين وقسم ذلك بينهم بالفريضة الشرعية فكان ما خص المصونة شرق الزوجة المذكورة بحق الثمن فرضا من قبل زوجها المترفي المذكور الحصة التي قدرها ثلاثة قراريط من ذلك وما خص العمدة الفاضل الشيخ محفوظ الابن المذكور من قبل والده المتوفى المذكور الحصة التي قدرها الثلث والربع أربعة عشر قيراطا من ذلك وما خص المصونة أمان البنت المذكورة من قبل والدها المتوفى المذكور التي قدرها السدس والثمن سبعة قراريط باقى ذلك الأيلولة والقسمة الشرعيتين بالطريق الشرعى وبمقتضى ذلك وبما شرح أعلاه صار كل من المصونة شوق وولدها الشيخ محفوظ والمصونة أمان يستحقون على الوجه المسطور ملك كامل حصصهم المعينة لهم أعلاه يتصرف كل منهم فى حصته المعينة أعلاه بساير وجوه التصرفات الشرعية دون غيرهم ودون كل أحد وعليهم القيام بما على ذلك ثم الحكر لجهة وقف أصلهما المذكور حكم المعتاد الجارب به العادة كما ذلك معين بالحجة محكى تاريخها أعلاه الصيرورة والاستحقاق والتصرف والقيام الشرعيات بالطريق الشرعى للمقتضى المشروح أعلاه وكتب ذلك عند الطلب والالتماس ليراجع به عند الاحتياج إليه والاحتجاج به تحريرا فى سابع شهر جماد أول سنة سبع وخمسين ومايتين وألف

شهوده

إمضاء إمضاء إمضاء إمضاء إمضاء

صدر تبايع شرعى من كل من المكرم الشيخ محفوظ المذكور قرينه القايم عن نفسه وبطريق وكالته عن والدته المصونة شرق والمكرم يحيى أفندى ابن عبد الله الحكيم وهو الوكيل الشرعى عن زوجته المصونة أمان المذكورين قرينه فى جميع ما هو معين قرينه

بعد ثبوت معرفتهما شرعا إلى السيد الشريف موسى ابو النصر ابن المرحوم السيد أحمد ابو النصر العدوى المشمول بوكالة والده السيد الشريف العمدمة الفاضل أحمد بموجب حجة شرعية من الباب العالى بمصر مؤرخة فى تاسع شهر تاريخه المذكور بأعاليه.

(وله فيما يصح مع الإكراه):

طلاق عتاق والنكاح ورجعة
يمين وإسلام وعفو عن العمد
ظهار وإيلاء وفىء ونذره
رضاع وإيمان وتدبير للعبد
طلاق على جعل كذا العتق صلحهم
عن العمد الاستيلاد إيجاب للمسدى
قبول لإيداع فخذها فكلها
تصح مع الإكراه عشرون فى العد

(وله فى أصول المطعومات):

طعومنا أصولها البسيطة
حرافة مرارة ملوحة
حموضة عفوصة قبوضة
دسومة حلاوة تفاهة

ورأيت بخطه عند هذه الأبيات ما نصه: قال فى شرح المواقف حدوث الطعوم على هذا الوجه المخصوص مما لم يقم عليه برهان ولا أمارة عند غلبة الظن ولذا قيل مباحث الطعوم دعاوى خالية عن الدلايل. وكتب بهامشها أيضا نقلا عن (ص٩٥٢) مجموعة الحفيد: الفرق بين العفص والقبض أن القابض يقبض ظاهر اللسان والعافص يقبض ظاهره وباطنه، والتفاهة المعدومة مثل مافى الخبز واللحم وقد يقال التف لما لا طعم له أصلا كالحديد وهذا هو المشهور انتهى (وله):

إدراك كلى كذا مركب

مـلـكـة لـكـل شـىء يـطـلـب

قــواعــد تصــاحــبت مع أصل

كــذا اعــتــقــاد جــازم ياخلى

علمــا عليــهــمــا أطلقــوا ياصــاح

فــاحــفظ تفــز بغــرة الإصــبــاح

وخــصــصــوا الجـزئى قل بالمعــرفـة

كـذا البـسـيط ياسـمـيـرى فـاعـرفـه

كـــذا إدراك جــــديد قـــد أتى

أواخــر إدراكين فــاحــفظ مــثـبـتــا

وله فى نظم أصول الحلال:

صـول حـلال جئن فى العـد عـشـرة

فـخـذها لكى تحظى بخـيـر نباهه

تجــارة ذى صــدق ونصح إجــاره

ومــــهــــدى أخ زاك وطيـب وراثـه

وخــمس لغنم حـيـث قـسم عــادل

وإحــيــا مــوات ثم نبت مــبــاحــه

وصــيــد لبــر ثم صــيــد لأبحــر

كــذاك ســؤال عند مس لحــاجــه

والأصل فـيـه أنه اجـتـمع الإمـام الطرطوشى والإمـام ابن (ص٩٥٣) السيد البطليوسى رحمهما الله تعالى وتذاكرا فى الحلال هل بقى منه شىء، فقـال البطليـوسى: أصول الحلال عشرة وسع الله تعالى بها على عباده: تجارة بصدق وإجارة بنصح، وهدية من أخ صـالح، ومـيـراث من أصل طيب، وإحياء الموات وما أنبتته أرض غير مملوكة، وخمس

الغنايم إذا قسمت بعدل وصيد البر، وصيد البحر، والسؤال عند مسيس الحاجة، فقال الإمام الطرطوشى يجب على كل مسلم تقييد هذه الأصول ليكون على أهبة من الحلال الذى هو أهم المهمات والله تعالى الموفق للصواب.

(فايدة) رأيت بخط المترجم قال، رأيت بخط الشيخ عثمان النجدى قال : رأيت بخط الشيخ أحمد العجمى ما صورته وإن من شيء إلا يسبح بحمده إلا الحمار والكلب كما فى الدر المنثور عن أبى الشيخ عن ابن عباس وفيه أيضا عن عمرو بن عنبسة ما تستقل الشمس، فيبقى شيء من خلق الله إلا سبح بحمده إلا ماكان من الشيطان وأغبياء بنى آدم، والأغبياء جمع غبى وهو القليل الفطنة، وفى فتاوى الجلال السيوطى رحمه الله:

قد خصصت آية الإسرا لمتصف
وصف الحياة كرطب الزرع والشجر
فيابس مات لا تسبيح منه كذا
مازال من موضع كالقطع للحجر

فزاد عليها المترجم ما تقدم ذكره وألحقها بها فى هذا البيت فقال:

والأغبياء كذا فى العد قد ثبتوا (ص٩٥٤)
كلب حمار وإبليس بلا نكر

وله فى عدّ من يدخل الجنة من الحيوان:

وفى الجنة الفيحاء قد كان عشرة
من الحيوان اعدد وكن متأملا
فأولا فى العد ناقة صالح

وعـجـلا لابراهيم كـبش الفـدا تلا

وحـوت ابن مـتى بقـرة لكليـمـهم

ونمل سليـمـان بن داود ذى العـلا

وهدهد بلقـيس وإبل مـحـمـد

عليـه صـلاة نشـرها ضـاع فى الملا

يلى ذا الحـمـار للعـزيز وكلبـهم

وحـسـبى ربى ناظمـا مـتـوكـلا

براق لـطـه ثـم ذئـب لـيـوسف

مـزادان فـيـهـا فـاحـفظ العـد مكمـلا

وهذا ما حصلته وعثرت عليه من نظمه، وأما ما قيل فيه من المدائح فلم أعثر بشىء من ذلك مع كثرت إلا بقصيدة من نظم تلميذه العلامة الشيخ شمس الدين محمد الصبان وجدتا مثبتة بديوانه، وسبب ذلك أنه كان رحمه الله لا يرى لنفسه مقاما، وإذا أتاه إنسان بأبيات أو قصيدة قبلها وأجاز قايلها ثم أحرقها والقصيدة هى هذه:

يامن بأفـئـدة العـشـاق قـد لعـبـا

رفـقـا بحـالى فـإن الصـبـر قـد هربا

كم ياظلومى تسقينى كئوس أسى (ص٩٥٥)

وكم تحـمـل قلبى فى الهـوى كـربا

مـهـلا رويدك يكفى مـا صنعت فـقـد

صـيـرتنى فى الهـوى بين الورى عـجـبـا

أمـا كـفـاك لهـيب لو قـرب به

لشـاطئ البـحـر أضحى ملتـهـبـا؟

أمـا كـفـاك سـهـاد لا بديل له

ومـدمع كلمـا قلت ارتفع سكبـا؟

وفـرط حـزن به الأسـقـام قـد قـرنت
أمـسى وأصـبح بين الناس مكتـئـبـا
لك المحـاسن خـافـيـهـا وظاهرها
ولى الهـوى مـا نأى منه ومـا قـربا
أفـدى بنفـسى وبالدنيـا منيـر دجى
الشـمس والبـدر من أنواره اكـتـسـبـا
أغن أغـيـد بالأرواح ممتـزج
مـهـفـهف مـارنا إلا سطا وسـبـا
ظبى بسـفك دم العـشـاق ذو ولع
كـأنه عنده من بعض مـا وجـبـا
إن كـان ينكر قـتل المغـرمين به
فـخـده بدم العـشـاق قـد خـضـبـا
الحـسن مملوكـه واللطف خـادمـه
والذل عـبـد له فـانظر ترى العـجـبـا
من لى برشف عـتيق الراح من فـمـه
وقطف ورد على خـديه قـد ركـبـا
يافـتنة الخلق ياحلو الشـمـايل صل
مـتـيـمـا ملت أحـشـاؤه وصـبـا
(ص٩٥٦) لم يستمع فيك عذال الهوى أبدا
ولا إلى جـهـة السلوان عنك صـبـا
لا والذى زانت الأيام طلعـتـه
وفـاق سـاير أرباب العـلا رتبـا
ركن الأنام فـريد العـصـر أوحـده
مـعـيـد دهر المعـالى بعـد مـا ذهبـا
شـمس الكمـال ولكن لا كـسـوف له
بحـر العلوم ولكن مـاؤه عـذبا

حــبــر أطاعـتــه أصناف الفنون فــفي
كل الفنون تراه الحــايز القــصــبــا
هو الغيــاث إذا مــا المشكلات عـصت
هو الملاذ إذا مــا مــعــضل صـعـبــا
يحج كــعــبــتــه طلاب جــوهره
فــــينفــــرون وكــل أدرك الأربا
لفــضل تذعن الأعــيــان قــاطبــة
إذ كل مــا وهبــوه بعض مــا وهبــا
أفــديه من ســيــد لم يبق مــحــمــدة
إلا وكـــــان لهـــــا دون الأنام أبا
العلم والحلم والتــقــوى بضــائعــه
واللطف والحذق منه حـقـا اكـتـسبـا
لكفــه كــرم إن قل أشــبــهــه
هتـــان ودق على كل الورى سكبــا
مــا جــاءه طالب يرجــو نوافــحــه
إلا ونال من الآمـــال مـــاطلبـــا
لنفسه همم من قاس أصغرها(ص٩٥٧)
بهــمــة الدهر فــاعلم أنه كــذبا
كنز الفــصــاحــة أســتــاذ البــلاغــة إنْ
يســمعــه قس يقل ســبحــان من وهبا
تكاد جــلاســه من حــسن منطقــه
ومن لطافــتــه أن يرقــصــوا طربا
مــهــذب النفس مــا مــر النســيم به
إلا وكــان من الأخــلاق مكتــســبــا
وكم له من كـــمـــالات ومن شــيــم
يجل معــشارها عن حــصــر من حسبا

فاحضر مجالسه تنظر محاسنه
واجلس بحضرته يوما تر العجبا
محاسن الناس جزد من محاسنه
ولم أقل فيه إلا بعض ما وجبا
ته يازمان وفاخر إن سيدنا
قد قلدتك يداه الدر والذهبا
يامن بطلعته زان الجبرت ومن
كادت جبرت به أن تفضل العربا
ومن تسمى كأخلاق له حسنا
هاك امتداحا بذكراك اعتلى رتبا
أتاك يرفل فى أثواب عزته
لكنه من حياء أسبل الحجبا
فجد له بقبول منك يجبره
وغض عن عيبه فالعفو قد طلبا
واشمل محمدا الصبان ناظمه
بلحظة منك من تلحظ ينل أربا
(ص٩٥٨) لازالت فى حلل الأفراح مرتفلا
ولافتئت عن الأسواء محتجبا
ولا برحت بعين السعد ملتحظا
وكل من لك ياأستاذنا صحبا

وقال فيه أيضا تهنئة له بمولد الحسنين سنة أربع وسبعين:
بمولد الحسنين السعد هنا كا
والوقت بالعز والإقبال وافاكا
وأصبحت مصرنا الغراء مشرقة
بنور ذاك ونور من محياكا

والـورق بـالـمـولـد الأسـنـى تـهـنـئـنـا
طورا وطورا تهـادينا بذكـــراكـــا
أولاك مـولاك مـا يرضـيك فى فـرح
وفى هناء وأبقى الله مـحـيـاكـا
وهاك مـولاى تاريخـا وتهنئـة
فى ضـمن بيت يفـوق الدر إن حـاكـا
يا أزيد النـاس فى علم وفى عـمل
بمولد الحـسنين الـسـعـد هناكـا

وللعلامة الشيخ سالم القيروانى:
إمـــام إن ظفـــرت بـه فـــلازم
حـمـاه وقل لنفـسك قـد ظفـرتى
يذل له الجـمـوح من المعـانى
لكل ياقـريحـتـه بهـرتى
ولما انقـاد كل عـويص علم
له جـبـرا تـسـمى بالجـبـرتى

(ص٩٥٩) ذكرها فى ديباجة حاشيت التى كتبها على لقط الجواهر، وقد كان قرأ عليه طرفا من العلوم الحكمية. وهذا ما عثرت عليه، وللشيخ قاسم والشيخ محمد شبانة وغيرهما فيه مدايح كثيرة وتواريخ أعوام ومواسم لم أعثر على شيء منها، ولما وصل إلى مصر الشيخ ابراهيم بن أبى البركات العباسى البغدادى الشهير بابن السويدى فى سنة خمس وسبعين وماية وألف، وكان إماما فاضلا فصيحا مفوها ينظم الشعر بالإملاء ارتجالا فى أى قافية من أى بحر من غير تكلف، فأنزله المترجم وأكرمه واغتبط به وصار

يتنقل صحبته مع الجماعة بمنازل بولاق والمتنزهات، واتفق أنه تمرض أيام فأقام بمنزل بولاق المشرف على النيل فقيد به من يعوله ويخدمه ويعلل مزاجه، فكان كلما اختلى بنفسه وحبت عليه النسمات الشمالية والنفحا ت البحرية أخذ القلم ببنانه، ونقش على أخشابه وحيطانه ، فكتب نحو العشرين قصيدة على قواف عديدة كلها مدايح فى المذكور، والرياض والزهور، والكوثر والسلسبيل، وجريان النيل، وتركت بحالها، وذهب كغيرها ، وفى سنة تسع وسبعين توفى ولده أخى لأبى أبو الفلاح على، وقد بلغ من العمر اثنتى عشر سنة، فحزن عليه وانقبض خاطره وانحرف مزاجه، وتوالت عليه النوازل، وأوجاع المفاصل، وترك الذهاب إلى بولاق وغيرها، ونقل العيال من هناك ولازم البيت الذى بالصنادقية واقتصر عليه وفتر عن الحركة إلا فى النادر، وصار يملى الدروس بالمنزل، ويكتب على الفتاوى ويراجع المسايل الشرعية والقضايا الحكيمة، مع (ص٩٦٠) الديانة والتحرى والمراجعة والاستنباط والقياس الصحيح ومراعاة الأصول والقواعد، ومطارحات التحقيقات والفوايد، وتلقى الوافدين وإكرام الواردين وإطعام الطعام، وتبليغ القاصد المرام، ومراعاة الأقارب والأجانب، مع البشاشة ولين الجانب، وسعة الصدر وحسن الأخلاق، مع الخلان والأصحاب والرفاق، ويخدم بنفسه جلاسه. ولا يمل معهم إيناسه، ولا يبخل بالموجود، ولا يتكلف المفقود، ولا يتصنع فى أحواله، ولا يتمشدق فى أقواله، ويلاحظ السنة فى أفعاله، ومن أخلاقه أنه كان يجلس بآخر المجلس على أى هيئة كان بعمامة وبدونها، ويلبس أى شى كان، ويتحزم ولو بكنار الجوخ أو قطعة خرقة أو شال كشميرى أو محزم، ولا

ينام على فراش ممهد، بل ينام كيفما اتفق، وكان أكثر نومه وهو جالس، وله مع الله جانب كبير، كثير الذكر، دايم المراقبة والفكر، ينام أول الليل ويقوم آخره فيصلى ما تيسر من النوافل والوتر، ثم يشتغل بالذكر. حتى يطلع الفجر فيصلى الصبح ويجلس كذلك إلى طلوع الشمس، فيضطجع قليلا أو ينام وهو جالس مستندا، وهذا دأبه على الدوام، ويحاذر الرياء ما أمكن، وكان يصوم رجب وشعبان ورمضان، ولا يقول إنى صايم، وربما ذهب إلى بعض الأعيان أودعى إلى وليمة فيأتون إليه بالقهوة والشربات فلا يرد ذلك، بل يأخذها ويوهم الشرب، وكذلك الأكل ويضايع ذلك بالمؤانسة والمباسطة مع صاحب المكان والجالسين، وكان مع مسايرته للناس وبشاشته (ص٩٦١) ومخاطبته لهم على قدر عقولهم عظيم الهيبة فى نفوسهم وقورا محتشما ذا جلال وجمال. وسمعت مرة شيخنا سيدى الشيخ محمود الكردى يقول: أنا عندما كنت أراه داخلا فى دهليز الجامع يداخلنى منه هيبة عظيمة وأدخل إلى رواقنا وأنظر إليه من داخل وأسأل المجاورين عنه فيقولون لى: «هذا الشيخ الجبرتى» فأتعجب لما يداخلنى من هيبته دون غيره من الأشياخ، فلما تكرر على ذلك أخبرت الأستاذ الحفنى فتبسم وقال لى «نعم إنه صاحب أسرار».

وكان صفته مربوع القامة ضخم الكراديس أبيض اللون، عظيم اللحية منور الشيبة واسع العينين غزير شعر الحاجبين وجيه الطلعة، يهابه كل من يراه، ويود أنه لا يصرف نظره عن جميل محياه، ولم يزل على طريقته المفيدة، وأفعاله الحميدة، إلى أن آذنت شمسه بالزوال ، وغرب بعدما طلع

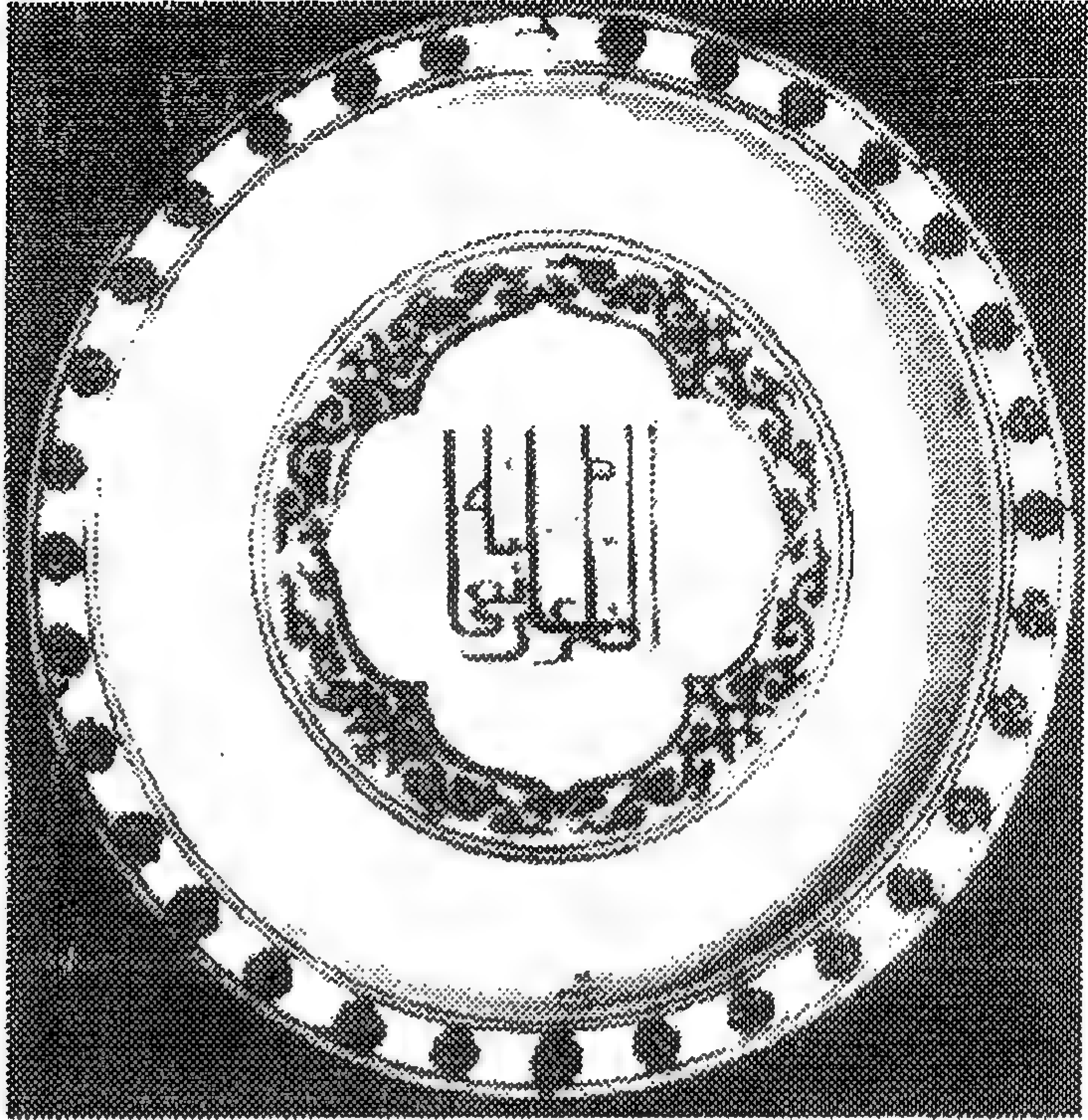
من مشرق الإقبال، وتعلل اثنى عشر يوما بالهيضة الصفراوية [الالتهاب الكبدى]، فكان كلما تناول شيئا قذفته معدته عندما يريد الاضطجاع إلى أن اقتصر على المشروبا فقط، وهو مع ذلك لا يصلى إلا من قيام ولم يغب عن حواسه، وكان ذكره فى هذه المدة يقرأ الصمدية مرة ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بالصيغة السنوسية كذلك، ثم الاسم العشرين من الأسماء الإدريسية وهو (يارحيم كل صريخ ومكروب وغياثه ومعاذه) هكذا كان دأبه ليلا ونهارا حتى توفى يوم الثلاثاء قبيل الزوال غرة شهر صفر من السنة، وجهز فى صبح يوم الأربعاء وصلى عليه بالأزهر (ص٩٦٢) بمشهد حافل جدا، ودفن عند أسلافه بتربة الصحراء بجوار الشمس البابلى والخطيب الشرينى، ومات له من العمر سبع وسبعون سنة، ورثاه تلميذه العلامة الشيخ محمد الصبان بهذه الأبيا وأنشدت وقت حضور الجنازة:

ويحك يانفسى كيف القرار
ودولة الفضل بها البين سارْ
وكيف يصفو العيش من بعدما
كأس الردى بين ذوى المجد دار
إن لهذا الدهر أقضية
فيهن للمستبصرين اعتبار
كم سل أسياف المنايا على
قوم إليهم كان يعزى الفخار
وكم رماهم بسهام النوى
كأنما يأخذ منهم بثار
وما كفاه ما جرى سابقا
منه وما صال علينا وجار

حـــتى أذاق الـنـاس نـائبـــة
بالبـعض منهـا اسـود وجـه النهـار
فـــقــــد إمـــام المسلمين الذى
بنوره كـــان الوجـــود اســتنار
شيخ الشـيـوخ المجـتبى المتـقى
رحـلـة أهـل الـعـلـم مـن كـل دار
شـمس الهـدى بحـر السـخـاء الذى
تغـرق فى جـــود يديه البـحـــار
(ص٩٦٣)أنعم بـه من لوذعى حـــوى
مكارم الأخـــلاق مـــافـيـــه عـــار
وطـــود حـــلـــم زانـــه خُـلـــق
لطف الصـبـا من لطفـه مـسـتـعـار
وروض فـــــضـل طالما قـطـفت
أهل التـقى منه جنى الثـمـــار
ذاك الذ مـــثل اســمـــه حـــسن
أعنى الجـــبــرتى إمـــام الوقـــار
ياســـيـــدا ســـاد بنى دهره
وفـاضـلا مـــا لعـلاه انحـصـار
ســـرت إلى جنة عـــدن وقـــد
أضـرمت من فـقـدك فى القلب نار
أبـشـــر من الله بنيل المنى
فى مـقـعـد الصدق وحسن الجوار
يارب حــــقق مــــا نرجى له
بجـاه طه نجـاه أهل الفـخـــار
صلى عليـــه خـــالق الخلق مع
تسليـمـه مـــا حل ركب وســـار

والآل والأصـــحـــاب مـــا سكب
أعين مـــحـــزون دمـــوعـــا غـــزار

(وللشيخ أحمد الخامى):
بك العيـون لفـقـد هذا الأمـجـد
العـــالم الحـــبـــر الهـــمـــام الأوحـــد
شيخ الشـيـوخ ومـعـدن الجـود الذى
كـــانت به كل الأفـــاضل تقـــدى
(ص٩٦٤) كهف المحاويج الضعف إذا بهم
مـــحل ألم وصـــاحب الكف الندى
شـمس المعـارف والتـقى حـسن الجـبـر
تى الذى قـــد كـــان رحب المورد
حـــزنت عليـــه عـــيـــوننا وقلوبنا
حـــزن الدروس على الرءوس الرشـــد
بكت المحـــافل والدروس لفـــقـــده
إذ كـــان فـيـهـا قـامـعـا للمـعـتـدى
وكـذا البـروج مع الكواكب أظهـرت
أســـفـــا على ذاك الإمـــام المفـــرد
من للمـــســـائل والفنون مـــهـــذبا؟
من للفـــتـــاوى بعـــد هذا الســـيـــد؟
كم أبرز المكنون ثاقب فـــهـــمـــه
ولكم أفـــاد الطالبين بمعـــهـــد
واها على ذاك العـــزيز وحلمـــه
وبشـاشـة الوجـه الجـمـيل المسـعـد
واحـــســرتاه قـــد عـــدمنا شـــيـــخنا
من كـــان للطلاب أقـــوى مُـــسند



ياعين سحى بالبكا لا تبخلى

ياعين شحى بالكرى لا ترقدى

ياعين قد مات الذى تبغيه

من كان عونى فى الخطوب ومقصدى

رحمات مولانا العظيم جلاله (ص٩٦٥)

تغشاه دوما سرمدا فى سرمد

وجزاه رب العرش خير جزائه

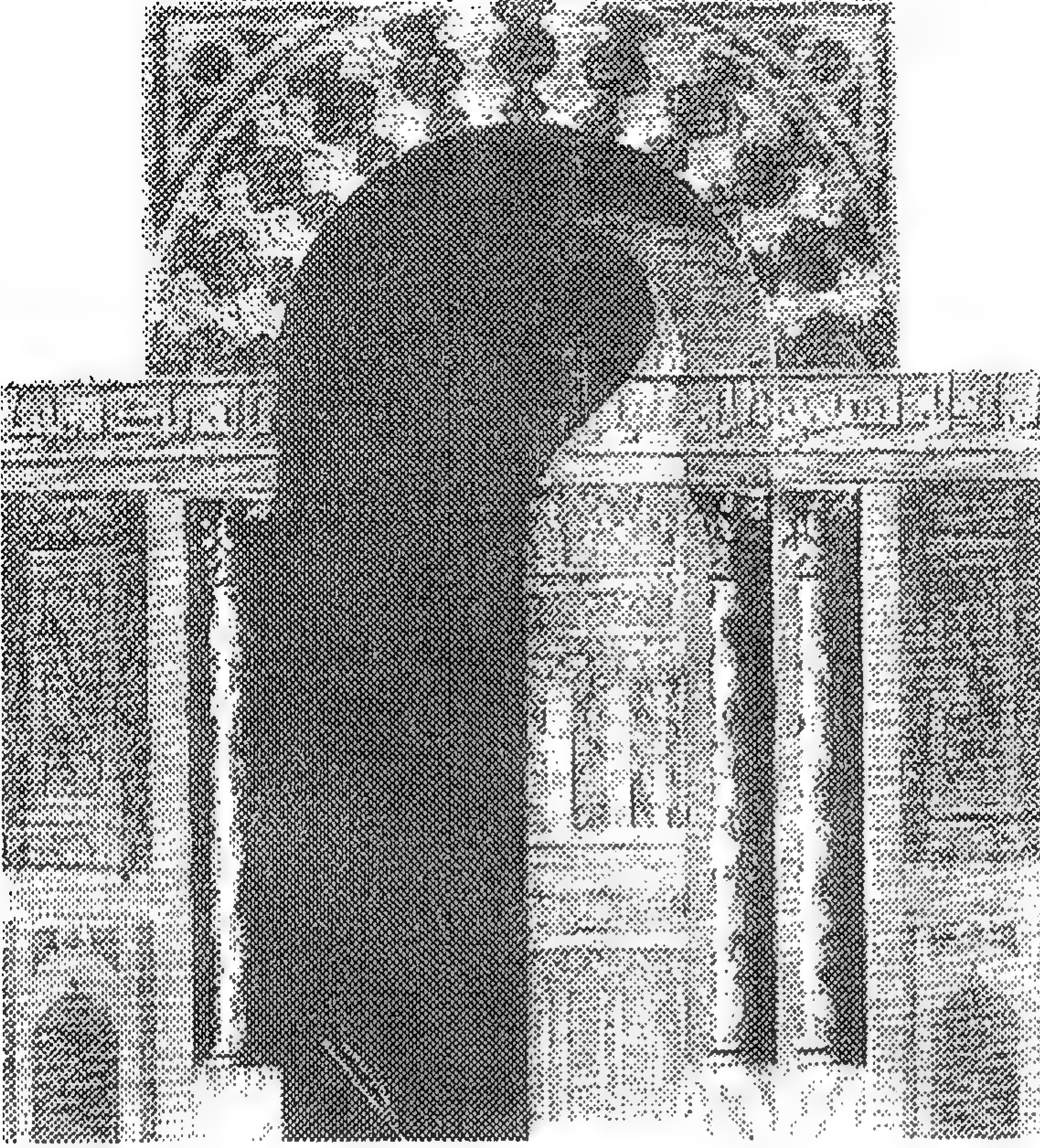
وحباه فى الفردوس أسنى مقعد

ثم الصلاة مع السلام على الذى

كل الورى ترجوه حقا فى غد

وعلى صحابته الكرام وآله

من هم نجوم فى الظلام المهتدى



تفاصيل معمارية من جامع السلطان حسن.

مـــا أن مـــحـــزون وحن فـــؤاده
لسـمـاع ذكـر حـبـيـبـه في مـشـهـد

(ولغيره أيضا):
لحـــا الله دهرا كل أيامـــه مـــحن
وكـل ســـرور فى أويقـــاتـه حـــزن
ومـــا الناس فى ذا الدهر إلا شـــواخص
وكـل له من دهـره مـــا بـه افـــتـتن
فـــمنحـــة هذا الدهر لاشك مـــحنة
وإدباره صـــعب وإقـــبـــاله فـتن
فـــيـــا طالبـــا من ذلك الدهر راحـــة
رويدك من ذا نالهـــا أو بهـــا اطمـــأن؟

لقــد صــال هذا الدهر صــولة ظالم
وسل ســيوف البـغى فى السـر والعلن
وأفـجـعنا فى مـفـرد العـصـر شيـخنا
كـريم الســجـايا صـاحب المجـد والسنن
وذاك الجــبــرتى الذى كــان قــدوة
على منهج التـحـقـيق والشـرع يؤتمن
إمــام له فى كل فن براعــة (ص٩٦٦)
وفــهم ذكى واجــتـنهــاد له حــسن
لقــد كــان هذا الحـبـر قطب زمــاننا
فــأحــرمنا من شـخـصـه ذلك الزمن
نعــتـه غــوادى الســحب وانهل دمـعـهـا
كــذا الفلك الدوار قــد مــســه شــجنْ
وأظلمت الدنيــا وغــار ت نجــومــهـا
وشمس الضحى غابت وبدر الدجى وهن
فــمن للفـتــاوى والمســائل بعــده
ومـن ذا الـذى فـى كـل فـن لـه فـطـنْ؟
لئن مــات فــالذكــر الجــمـيل مـخلد
وإن غاب عن أبصـارنا فى الحشا استكن
ولم انســه والطالبــون ببــيــتــه
وكل إلى ذاك المهـــذب قــــد ركن
يدير عليــهم من ســلاف علومـــه
كـئوسـا من التسنيم أشـهى وأعـذبن
فــواحــســرتاه قــد عــدمنا بيننا
وصــرنا حــيــارى لانعى بعــده الوطن
فــيــا عين سـحى واندبى فـقـد مـاجـد
وســوحى ونوحى واهجــرى لذة الوسن

عـدمنا فـتى قـد كـان مـأوى وملجـأ
فـــواها وآها لا نـرى مـــثلـه فتن
ولما دعـــاه ذو الجـــلال لقـــربه
ولـم يـبـق فـى دار الـفـنـاء لـه وطـن
أجـاب ســريعـا ثم ولى مـــودعـا
وســار لجنات بهـــا فــاز من سكن
(ص٩٦٧) فناديته من عظم وجدى مؤرخا
بمقـعـد صـدق قـد قـدمت أيا حـسن
هنيـئـا مـريئـا فـزت فـوزا مـؤبدا
بجـنـا عـــدن وهـى من أعظـم المنن
عليك من المولى الكريم تحـــيـــة
كـــذا رحـــمـــات لا يكدرها حـــزن
وصل مع تسليم رب العـــلا على
نـبـى أتـانـا بـالـفــــروض وبالسنن
مـحـمـد المبـعـوث للناس رحـمـة
ومن قـد بكى جـذع على فـقـده وحن
صـلاة وتسليـمـا يدومـان سـرمـدا
مـدى الدهر مـا وجـد تحـرك أو سكن
كذا الآل والأصحاب ما كوكب سرى
ومـا دمـعت عين على فـقـد من ظعن

وقوله نعته (غوادى السحب) البيت وما بعده، وذلك أن يوم وفاته غيمت السماء وأرعدت وأمطرت مطرا خفيفا وكان الوقت صيفا فأشار إلى ذلك فى الأبيات (ورثاه أيضا الخامى بهذه القصيدة):

مـــهج بالخطوب تعـــيـــا وتعـــدم
وفـــؤاد من الضـنـا يتـــألـم

وعـــيــون مكحــولة بســـهـــاد
قـــد كـــســـاها من النوى ثوب عندمْ
وقلـوب مملـوة حــــســــرات
نارها لا تـزال تقـــوى وتضــــرم
ويح دهرى فكم أذاب قلوبا (ص٩٦٨)
وبرى أعظمـــا وأضـنى وأســـقمْ
لا يبـــالى وليس يرعى ذمـــامـــا
وعلى مــــــا جناه لـم يتـنـدم
طالما صـــال واســـتطال علينا
وغـــزانا من حــيث لاقط نعلم
ورمـــانا فـــصـــادف الهم قلبـــا
كـــان أقـــوى القلوب دينا وأقـــوم
خـــاننا فـــيـــه ذا الزمـــان فــلا كـــا
ن زمـــان على الخـــيـــانة يقـــدم
كـــان بدرا فـــأســـرعت كـــســـفـــه الأر
ض فـــزال الضـــيـــاء والجـــو أظلم
لهف قلبى على امـــرئ كـــان فـــينا
عـــقله بالورى يقـــاس وأعظم
حـــسن الاسم والصـــفـــا كـــريم الـ
ـخلق والخلق ذى العطاء المفـــخم
يـــالـه مـن ممـجــــــــد لـوذعـى
بحــــــر جــــود وكـنز در مـنظم
يـــالـه مـن مــــــــعظم قل أن يو
جـــد فى الكون مـــثله من مـــعظم
عـــالم فـــاضل عـــزيز مـــهـــاب
بين أقـــرانه كـــبـــيـــر مـــقـــدم

ماعسى أن أقول فى مدح شخص
كان فى الله لم يخش لوم لُوم
أقفرت بعده ربوع المعالى
وعليها سرادق الحزن خيم
(ص٩٦٩) ونعته مجالس العلم إذ كا
ن لديها كفارس فوق أدهم
وبكته نكاتها والفتاوى
بدموع كغيث سحب تركم
كم قلوب لفقده قد أتاها
مادهاها من حيث لا تتوهم
أى قلب يطيق فقد عزيز
كان للواردين أعظم مغنم
سامه وارد النوى فلعمرى
كم زوى ذا النوى نكالا وأبرم
فلو ان المنون يقبل جعلا
كان لكنه قضاء محتم
منذ وافى لربه وحباه
فى جنان تفوق ما يتوهم
صح تاريخه فيا أهل ودى
الجبرتى فى الجنان ينعم
فعليه من ربه رحمات
كل وقت على الدوام وأدوم
وصلاة من المهيمن تهدى
مع سلام على النبى المكرم
أشرف المرسلين أزكى البرايا
من عليه الإله صلى وسلم

وعلى آله الكرام وصحب
وذويهم وكل من قد تقدم
ما بكت أعين على مثل هذا
أو نعاه قلب عليه تألم
أورثاه الخامى إذ قال فيه(ص٩٧٠)
مهج بالخطوب تعيا وتعدم

[ومات] الإمام العلامة الفقيه المعمر الشيخ/ أحمد بن محمد محمد الحماقى الحنفى، كان أبوه من كبار علماء الشافعية فتحنف هذا بإذن الإمام الشافعى رضى الله عنه لرؤيا رآها ، وكان يخبر بها من لفظه، وتلقى عن أئمة عصره كالشيخ أحمد الدسوقى والشيخ على العقدى، ومحمد عبد العزيز الزيادى، والشيخ أحمد البنوفرى، والشيخ سليمان المنصورى وغيرهم، وتصدر للإقراء والتدريس بالجامع الأزهر مدة سنتين، ثم تولى مشيخة إفتاء الحنفية بعد موت الشيخ حسن المقدسى، وفى ذلك يقول الشيخ عبد الله الإدكاوى : ٣٦٦ أحمد الحماقى.

رجع الحق بعد طول ثناء
لإمام له الخناصر تعقد
فى جميع الفنون فقها ونحوا
وبيانا بمنطق ليس يجحد
هو ذو الفضل ليس ينكر هذا
غير قدم بجهله قد تفرد
ويراع الفتوى استمر مقيما
عند مولى له الفضائل تسند

والورى بالدعــــاء قــــالـت تؤرخ
دام فى كف أحــمـد الفـضل أحـمـد

وكان إنسانا حسنا دمث الأخلاق حسن العشرة صافى الطوية عارفا بفروع المذهب لين الجانب لا يتحاشى الجلوس فى الأسواق والقهاوى، وكان إخوانه من أهل العلم ينقمون عليه فى ذلك فلا يبالى (ص٩٧١) باعتراضهم، ولم يزل حتى توفى فى سحر ليلة الجمعة خامس عشرين صفر من السنة رحمه الله.

٣٦٧ أحمد شاهين الراشدى.

[ومات] الإمام الفقى العلامة المحدث الفرضى الأصولى الورع الزاهد الصالح الشيخ أحمد بن محمد بن محمد بن شاهين الراشدى الشافعى الأزهرى، ولد بالراشدية وهى قرية بالغربية سنة ثمان عشرة ومائة وألف، وبها نشأ وحفظ القرآن وجوّده، وقدم الأزهر فتفقه على الشيخ مصطفى العزيزى، والشيخ مصطفى العشماوى، وأخذ الحساب والفرايض على الشيخ محمد الغمرى، وسمع الكتب الستة على الشيخ عيد النمرسى بطرفيها وبعضها على الشيخ عبد الوهاب الطندتاوى، وسيدى محمد الصغير، وله شيوخ كثيرون، ورافق الشيخ الوالد وعاشره مدة طويلة وتلقى عنه وهو أحد أصحابه من الطبقة الأولى، ولم يزل محافظا على وده وتردده ومؤانسته ويتذكر الأزمان السالفة والأيام الماضية، وله شيوخ كثيرون، وكان من جملة محفوظاته البهجة الوردية، وقد انفرد فى عصره بذلك واعتنى بالكتب الستة كتابة ومقابلة وتصحيحا، وكان حسن التلاوة للقرآن، حلو الأداء مع معرفته بأصول الموسيقى ، ولذلك ناطت به رغبة الأمرا، ، فصلى إماما بالأمير محمد بك ابن اسماعيل بك،

مع كمال العفة والوقار والإنجماع عن الناس حتى إن كثيرا منهم يود أن يسمع منه حزبا من القرآن فلا يمكنه ذلك، ثم أقلع عن ذلك وأقبل على إفادة الناس فأقرأ المنهج مرارا وابن حجر على المنهاج مرارا، وكان يتقنه ويحل مشكلاته بكمال التؤدة (ص٩٧٢) والسكينة، فاستمر مدة يقرأ دروسه بمدرسة السنانية قرب الأزهر، ثم انتقل إلى زاوية قرب المشهد الحسينى، وكان تقريره مثل سلاسل الذهب فى حسن السبك، ولما بنى المرحوم يوسف جربجى الهياتم المسجد قرب منزله بخط أبى محمود الحنفى رتب فيه خطيبا وإماما وأعاد دروس الحديث فيه، فمما قرأ فيه صحيح مسلم وسنن أبى داود، هذا مع صيامة الدهر وقيامه الليل من مدة طويلة، ويقوم الليل بالقرآن، وفيه جذبة إلى الله تعالى، وقد انتفع به كثير من الأعلام، ولما بنى المرحوم محمد بك أبو الذهب المدرسة تجاه الجامع الأزهر فى هذه السنة راوده أن يكون خطيبا بها فامتنع فألح عليه وأرسل له صرة فيها دنانير لها صورة فأبى أن يقبل ذلك ورده فألح عليه ، فلما أكثر عليه خطب بها أول جمعة وألبسه فروة سمور، وأعطاه صرة فيها دنانير فقبلها كرها ورجع إلى منزله محموما، يقال فيما بلغنى أنه طلب من الله أن لا يخطب بعد ذلك، فانقطع فى منزله مريضا إلى أن توفى ليلة الثلاثاء ثانى شوال من السنة، وجهز ثانى يوم وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل ودفن بالقرافة الصغرى تجاه قبة أبى جعفر الطحاوى، ولم يخلف بعده فى جميع الفضايل مثله، وكان صفته نحيف البدن منور الوجه والشيبة ناتئ الجبهة ولا يلبس زى الفقهاء ولا العمامة الكبيرة بل يلبس قاووقا لطيفا فتلى، ويركب بغلة وعليها سلخ شاة أزرق، وأخذ كتبه

الأمير محمد بك ووقفها فى كتبخانته التى جعلها بمدرسته، وكان لها جرم كلها صحيحة مخدومة وسرق غالبها.

٣٦٨ سعد الشنواني.

[ومات] الشيخ الصالح/ سعد بن محمد بن عبد الله الشنواني، حصل فى حياته شيا كثيرا من العلوم، ومال إلى فن الأدب فمهر فيه، وتنزل قاضيا فى محكمة باب الشعرية بمصر، وكان إنسانا حسنا بينه وبين الفضلا مخاطبات ومحاولات، وشعره حسن مقبول، وله قصايد ومدايح فى الأوليا وغيرهم أحسن فيها، ولم أعثر على شىء منها، وجدد له شيخنا السيد مرتضى نسبة إلى الشيخ شهاب الدين العراقى دفين شنوان، توفى يوم السبت خامس جمادى الثانية من السنة وقد جاوز السبعين رحمه الله

٣٦٩ على بن حسن المالكى.

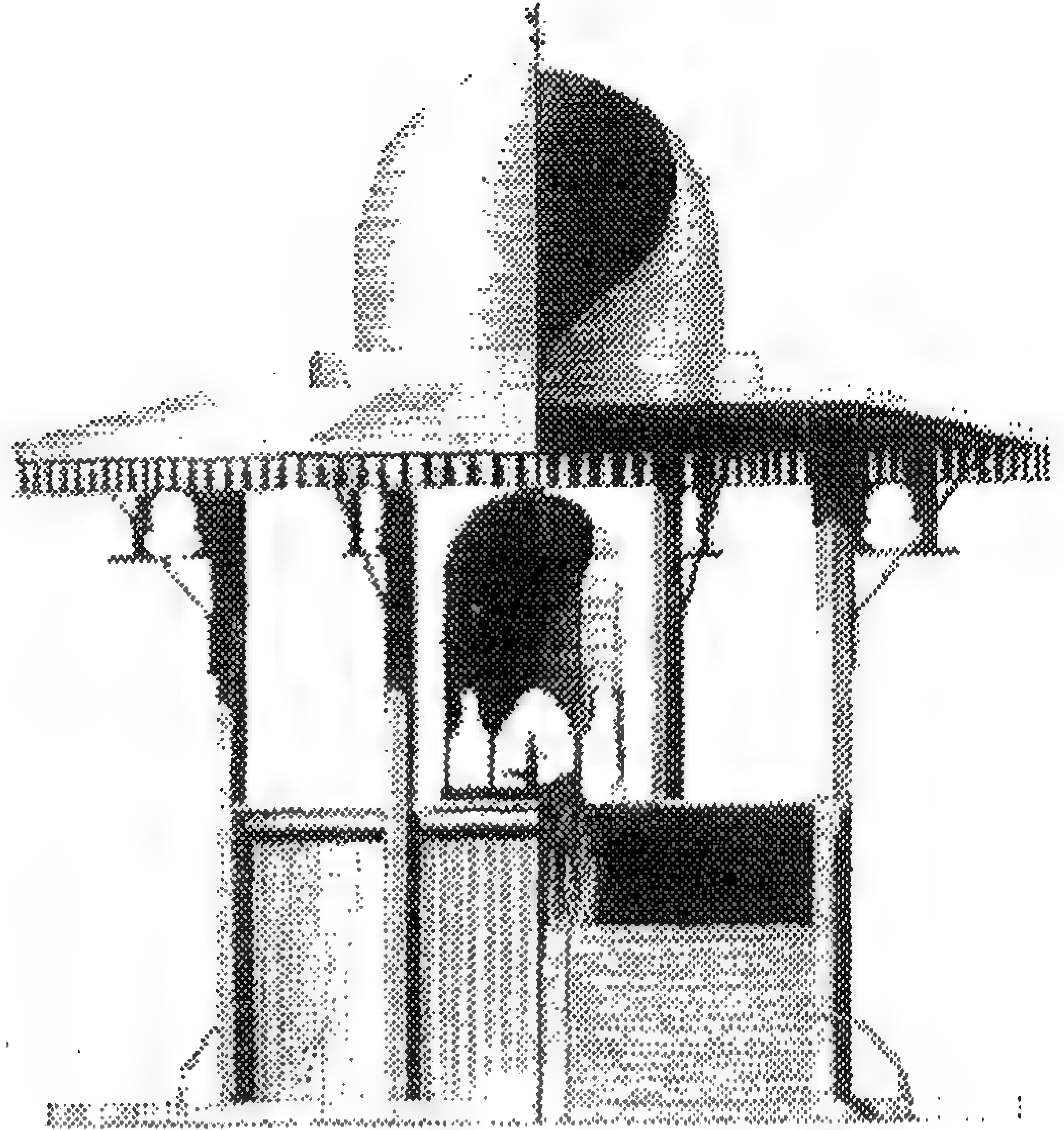
[ومات] العلامة الفقيه لصالح الدين الشيخ/ على بن حسن المالكى الأزهرى، قرأ على الشيخ العدوى وبه تخرج وحضر غيره من الأشياخ ومهر فى الفقه والمعقول وألقى دروسا بالأزهر ونفع الطلبة، وكان ملازما على قراية الكتب النافعة للمبتدين مثل أبى الحسن وابن تركى والعشماوية فى الفقه، وفى النحو الشيخ خالد والأزهرية والشذور، وحلقة درسه عظيمة جدا، وكان لسانه أبدا متحركا بذكر الله، توفى ليلة الخميس منتصف ربيع الأول من السنة ودفن بالمجاورين.

٣٧٠ محمد السفارينى النابلسى.

[ومات] االشيخ الإمام المحدث البارع الزاهد الصوفى محمد بن أحمد بن سالم أبو عبد الله السفارينى النابلسى الحنبلى، ولد كما وجد بخطه سنة أربع عشرة ومابة وألف تقريبا بسفارين، وقرأ القرآن فى سنة إحدى وثلاثين فى نابلس

واشتغل بالعلم قليلا وارتحل إلى دمشق سنة ثلاث وثلاثين ومكث (ص٩٧٤) بها قدر خمس سنوات فقرأ بها على الشيخ عبد القادر التغلبى دليل الطالب للشيخ مرعى الحنبلى من أوله إلى آخره قراءة تحقيق، والإقناع للشيخ موسى الحجازى، وحضره فى الجامع الصغير للسيوطى بين العشاءين وغيره مما كان يقرأ عليه فى ساير أنواع العلوم ، وذاكره فى عدة مباحث من شرحه على الدليل، فمنها ما رجع عنها ومنا ما لم يرجع لوجود الأصول التى نقل منها، وكان يكرمه ويقدمه على غيره، وأجازه بما فى ضمن ثبته الذى خرجه له الشيخ محمد بن عبد الرحمن الغزى فى سنة خمس وثلاثين، وعلى الشيخ عبد الغنى النابلسى الأربعين النووية وثلاثيات البخارى والإمام أحمد، وحضر دروسه فى تفسير القاضى وتفسيره الذى صنفه فى علم التصوف، وأجازه عموما بساير ما يجوز له وبمصنفاته كلها، وكتب له إجازة مطولة وذكر فيها مصنفاته، وعلى الشيخ عبد الرحمن المجلد ثلاثيات البخارى وحضر دروسه العامة وأجازه، وعلى الشيخ عبد السلام بن محمد الكاملى بعض كتب الحديث وشيا من رسايل إخوان الصفا، وعلى ملا الياس الكورانى كتب المعقول وعلى الشيخ اسماعيل بن محمد العجلوانى الصحيح بطرفيه مع مراجعة شروحه الموجودة فى كل رجب وشعبان ورمضان كل سنة مدة إقامته بدمشق وثلاثيات البخارى وبعض ثلاثيات أحمد وشيا من الجامع الصغير مع مراجعة شرحه للمناوى والعلقمى وشيئا من الجامع الكبير وبعضا من كتاب الإحياء مع مراجعة تخريج أحاديثه للزين العراقى، والأندلسية (ص٩٧٥) فى العروض مع مطالعة بعض شروحها وبعضا

من شرح شذور الذهب، وشرح رسالة الوضع مع حاشيته التى ألفها وحاشية ملا الياس وأجازه بكل ذلك وبما يجوز له روايته، وعلى الشيخ أحمد بن على المنينى شرح جمع الجوامع للمحلى، وشرح الكافية لملا جامى، وشرح القطر للفاكهى وحضر دروسه للصحيح وشرحه على منظومة الخصايص الصغرى للسيوطى، وقد أجازه بكل ذلك مطولة كتبها بخطه، وعلى الشيخ محمد بن عبد الرحمن الغزى بعضا من شرح ألفية العراقى لزكريا وأول سنن أبى داود . وعلى قريبه الشيخ أحمد الغزى غالب الصحيح بالجامع الأموى بحضرة جملة من كبار شيوخ المذاهب الأربعة، وعلى الشيخ مصطفى بن سوار أول صحيح مسلم، وعلى حامد أفندى مفتى الشام المسلسل بالأولية وثلاثيات البخارى وبعض ثلاثيات أحمد، وحج سنة ثمان وأربعين فسمع بالمدينة على الشيخ محمد حياة المسلسل بالأولية وأوايل الكتب الستة ، وتفقه على شيخ المذهب مصطفى بن عبد الحق اللبدى، وطه بن أحمد اللبدى، ومصطفى بن يوسف الكرمى، وعبد الرحيم الكرمى، والشيخ معمر السيد هاشم الحنبلى، والشيخ محمد السلفينى وغيرهم ، ومن شيوخه الشيخ محمد الخليلى سمع عليه أشياء، والشيخ عبدالله البصروى سمع عليه ثلاثيات أحمد مع المقابلة بالأصل المصحح، والشيخ محمد الدقاق أدركه بالمدينة وقرأ عليه أشياء، واجتمع بالسيد مصطفى البكرى فلازمه وقرأ عليه مصنفاته وأجازه بماله وكتب له بذلك، (ص٩٧٦) وله شيوخ أخر غير من ذكرت وله مؤلفات منها شرح عمدة الأحكام للحافظ عبد الغنى فى مجلدين وشرح ثلاثيات أحمد فى مجلد ضخم، وشرح نونية الصرصرى الحنبلى



سماه معارج الأنوار فى سيرة النبى المختار، وبحر الوفا فى سيرة النبى المصطفى ، وغذا الألباب فى شرح منظومة الآداب والبحور الزاخرة فى علوم الآخرة، وشرح الدرة المضية فى اعتقاد الفرقة الأثرية ولوايح الأنوار السنية فى شرح منظومة أبى بكر بن أبى داود الحائية، ومما وجدته من نظمه ونقلته من خطه :

لكل امرئ عند الإله وسيلة
ستنحيه فى يوم الجزا من عذابه
ومالى سوى ذلى وفقر وفاقتى
وحسن رجائى وانكسارى ببابه
عسى خالقى يمحو ذنوبى بمنه
ويقبضى مستمسكا بكتابه

وله أيضا:

إذا رأيت ذوى ظلم فـقل لـهم
ستندمـون إذا مـا جـئـتـمـو سـقـرا
عنفـهم بشنيع من قـبـايحـهم
وأقـرأ لـهم آية فى آخـر الشـعـرا

وله أيضا:

ألا ليت شـعـرى هل أبيتن ليلة
بمكة حـولى صـالح وزمـيـل
وهل أردن يوما مياها لزمزم (ص٩٧٧)
وهل يُـعـدُوَنْ لى فى الطراف قـبـول

وله أيضا:

وشـادن من بنى الأتراك قلت له
قـصـدى أقـبل ياكل المنى شـفـتك
فـقـال لى كف عن هذا الكلام ولو
قـبلتـهـا ياصـريع الحب مـاشـفـتك

(والأصل فيه قول من سبق):

وشـادن قـلـت لـه
دعـنى أقـبـل شـفـتك
فـقـلت لـه كـم مـرة
قـبلتـهـا مـا شـفـتك

وله أيضا:

ظـن الـعـواذل أنـى
مـن قـلـة المـال أشـقـى



▲ دراويش الطرق الصوفية.

فـــــــقـلـت لا، ذاك إفـك
قـــالله خـــيـــر وأبقى

وكـان المترجم شيخا ذا شيبة منورة مهيبا جميل الشكل ناصرا للسنة، قامعا للبدعة قوالا بالحق مقبلا على شانه مداوما على قيام الليل فى المسجد ملازما على نشر علوم الحديث محبا فى أهله ولازال يملى ويفيد ويجيز من سنة ثمان وأربعين إلى أن توفى يوم الاثنين ثامن شوال من هذه السنة بنابلس، وجهز وصلى عليه بالجامع الكبير ودفن بالمقبرة الزاركنية وكثر الأسف عليه ولم يخلف بعده مثله،ولم يخلف بعده مثله، رحمه الله رحمة واسعة.

٣٧١ أحمد بن محمد الشرفي.

[ومات] العمدة المبجل الفاضل الشيخ/ أحمد بن محمد بن عبد السلام الشرفي، المغربي الأصل، المصرى المولد، وكن والده شيخا على رواق المغاربة بالجامع الأزهر، ومن شيوخ الشيخ أحمد الدمنهورى، وولده هذا (ص٩٧٨) .
ان له معرفة بعلم الميقات ومشاركة حسنة وفيه صداقة ود وحسن عشرة مع الإخوان ومكارم أخلاق ويدعو الناس والعلماء في المولد النبوى إلى بيته بالأزبكية، ويقدم لهم الموايد والحلوى وشراب السكر، وكان لديه فوايد ومآثر حسنة، توفى سابع عشر ربيع الأول من السنة، وقد جاوز السبعين رحمه الله.

٣٧٢ قاسم العبادى.

[ومات] العمدة الفاضل الشيخ زين الدين / قاسم العبادى الحنفى، تفقه على الشيخ سليمان المنصورى والشيخ أحمد بن عمر الإسقاطى إلى أن صار يقرأ درسا فى المذهب، ولم يزل ملازما شانه حتى توفى ثالث عشر الحجة من السنة وقد ناهز الثمانين رحمه الله.

٣٧٣ عبد الله الطويل.

[ومات] العمدة الشيخ/ عبد الله الموقت قوصون وكان يعرف بالطويل، وكان إنسانا صالحا ناسكا ورعا، توفى فجأة فى الحمام ثانى عشر الحجة عن سبع وثمانين سنة.

٣٧٤ على العطشى.

[ومات] العمدة الفاضل الأديب الماهر الشيخ/ على بن أحمد بن عبد الرحمن بن عامر العطشى الفيومى ، وهو أخو أحمد العطشى وكان له مذاكرة حسنة وحضر على الشيخ الحفنى وغيره، وكان نعم الرجل

تـوفى فى جمادى الآخرة.

[ومات] السيد الشريف المعمر/ محمد بن حسن محمد الحسنى الوفائى باش جاويش السادة الأشراف، أخذ عن الشيخ المعمر يوسف الطولونى، وكان يحكى عنه حكايا مستحسنة وغرايب، وكان متقيدا بالسيد محمد أبى هادى الوفائى فى أيام نقابته على الأشراف ولديه فضيلة وفوايد، توفى فى هذه السنة عن نحو ثمانين سنة. ٣٧٥ محمد الوفائى باش جاويش الاشراف.

[ومات] الشيخ الصالح/ سليمان (ص٩٧٩) بن داود بن سليمان بن أحمد الخربتاوى وكان من أهل المروة والدين، توفى ثامن عشرين المحرم من السنة فى سن الثمانين. ٣٧٦ سليمان الخربتاوى.

[ومات] الجناب المكرم الأمير/ أحمد أغا البارودى وهو من مماليك ابراهيم كتخدا القازدغلى وتزوج بابنته التى من بنت البارودى وسكن معها فى بيتهم المشهور خارج باب سعادة والخرق، وولد له منها أولاد ذكور وإناث ومنهم صاحبنا ابراهيم جلبى وعلى مصطفى وهو أستاذ محمد أغا الآتى ذكره، تقلد المترجم فى أيام على بك مناصب جليلة مثل أغاوية المتفرقة وكتخدا الجاويشية، وكان إنسانا حسنا صافى الباطن لا يميل طبعه لسوى فعل الخير، ويحب أهل العلم وممارستهم، وكان له ميل عظيم واعتقاد حسن فى المرحوم الشيخ الوالد ويزوره فى كل جمعة مع غاية الأدب والامتثال ، ومما شاهدته من كمال أدبه وشدة اعتقاده وحبه أنه صادفه مرة بالطريق وهو إذ ذاك كتخدا الجاويشية، وهو راكب فى أبهته وأتباعه، والشيخ راكب على بغلته، فعندما رآه ترجل ٣٧٧ أحمد أغا البارودى.

ونزل عن جواده وقبل يده، فأنكر عليه فعله واستعظمه واستحى منه، والتمس منه أن يقيد به بعض الطلبة ليقريه شيأ من الفقه والدين، فقيد به الشيخ عبد الرحمن العريشى، فكان يذهب إليه ويطالع له القدورى وغيره، وكان يكرمه ويواسيه ولم يزل على حسن حالته حتى توفى فى سابع جمادى الأولى من السنة، وكان له فى منزله (ص٩٨٠) خلوة ينفرد فيها بنفسه ويخلع ثياب الأبهة ويلبس كساء صوف أحمر على بدن، ويأخذ بيده سبحة كبيرة يذكر ربه عليها.

٣٧٨ خليل أغا.

[ومات] الأمير الصالح/ خليل أغا مملوك عثمان بك الكبير تابع ذى الفقار وهو أستاذ الأمير على خليل، توفى ببلد له بالفيوم، وجئ به ميتا فى عشية نهار السبت حادى عشرين جمادى الثانية من السنة فغسل وكفن ودفن بالقرافة، وكان إنسانا دينا خيرا محبا للعلماء والصلحاء.

٣٧٩ اسماعيل أفندى.

[ومات] الأمير اسماعيل افندى تابع المرحوم الشريف محمد أغا كاتب البيورلدى وكان إنسانا خيرا صالحا توفى يوم الأحد ثانى عشرين جمادى الثانية.

٣٨٠ عبد اللطيف افندى. نقيب الاشراف بالقدس.

[ومات] السيد المعمر الشريف عبد اللطيف أفندى نقيب الأشراف بالقدس وابن نقبائها عن تسعين سنة تقريبا، وتولى بعده أكبر أولاده السيد عبد الله أفندى رحمه الله.

٣٨١ محمد افندى جاوجان ميسو.

[ومات] الأمير المبجل/ محمد أفندى جاوجان ميسو، وكان حافظا لكتاب الله موفقا، وفيه فضيلة وفصاحة يحب

العلماء والأشراف ويحسن إليهم، توفى ليلة الاثنين عشرين ربيع الأول وصلى عليه بالأزهر ودفن بالمجاورين.

٣٨٢ مصطفى بك الصيداوى.

[ومات] الأمير / مصطفى بك الصيداوى تابع الأمير على بك القازدغلى كان سبب موته أنه خرج إلى الخلاء جهة قصر العينى وركض جواده فسقط عنه ومات لوقته، وحمل إلى منزله بدرب الحجر، وجهز وكفن ودفن بالقرافة وذلك فى منتصف ربيع (ص٩٨١) الأول من السنة.

٣٨٣ على اغا ابو قورة.

[ومات] الأمير/ على أغا أبو قورة من جماعة الوكيل سادس عشر ربيع الأول سنة تاريخه.

٣٨٤ محمد افندى الزاملى.

[ومات] الأمير/ محمد أفندى الزاملى كاتب قلم الغربية ،وكان صاحب بشاشة وتودد وحسن أخلاق، توفى رابع عشرين صفر من السنة، وخلف ولده حسن أفندى قلفة الغربية الآتى ذكره فى سنة اثنتين ومايتين وألف.

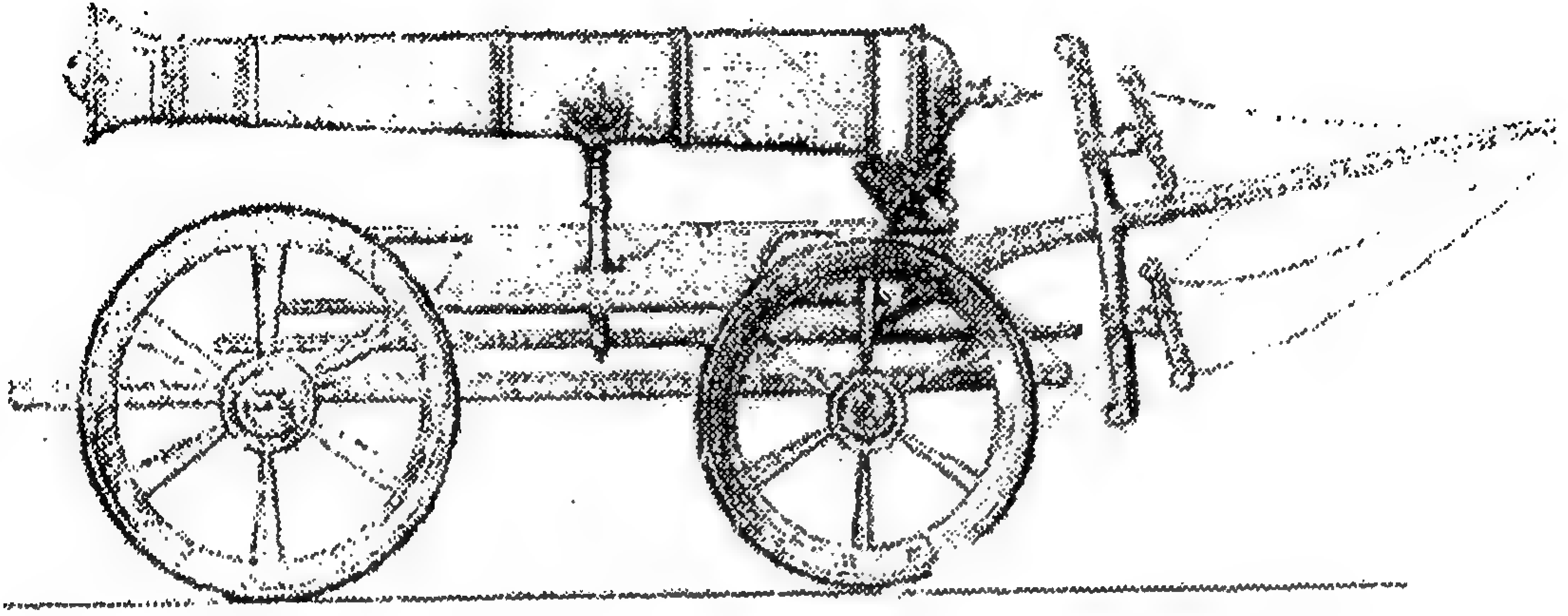
٣٨٥ محمد عرفات الغزاوى.

[ومات] الخواجا المكرم الحاج / محمد عرفات الغزاوى التاجر، وهو والد عبد الله ومصطفى، توفى يوم الثلاثاء ثامن صفر من السنة، والله تعالى أعلم.





▲ باب الزهومة بالقدس.



▲ مدفعية قديمة تجرها الدواب.

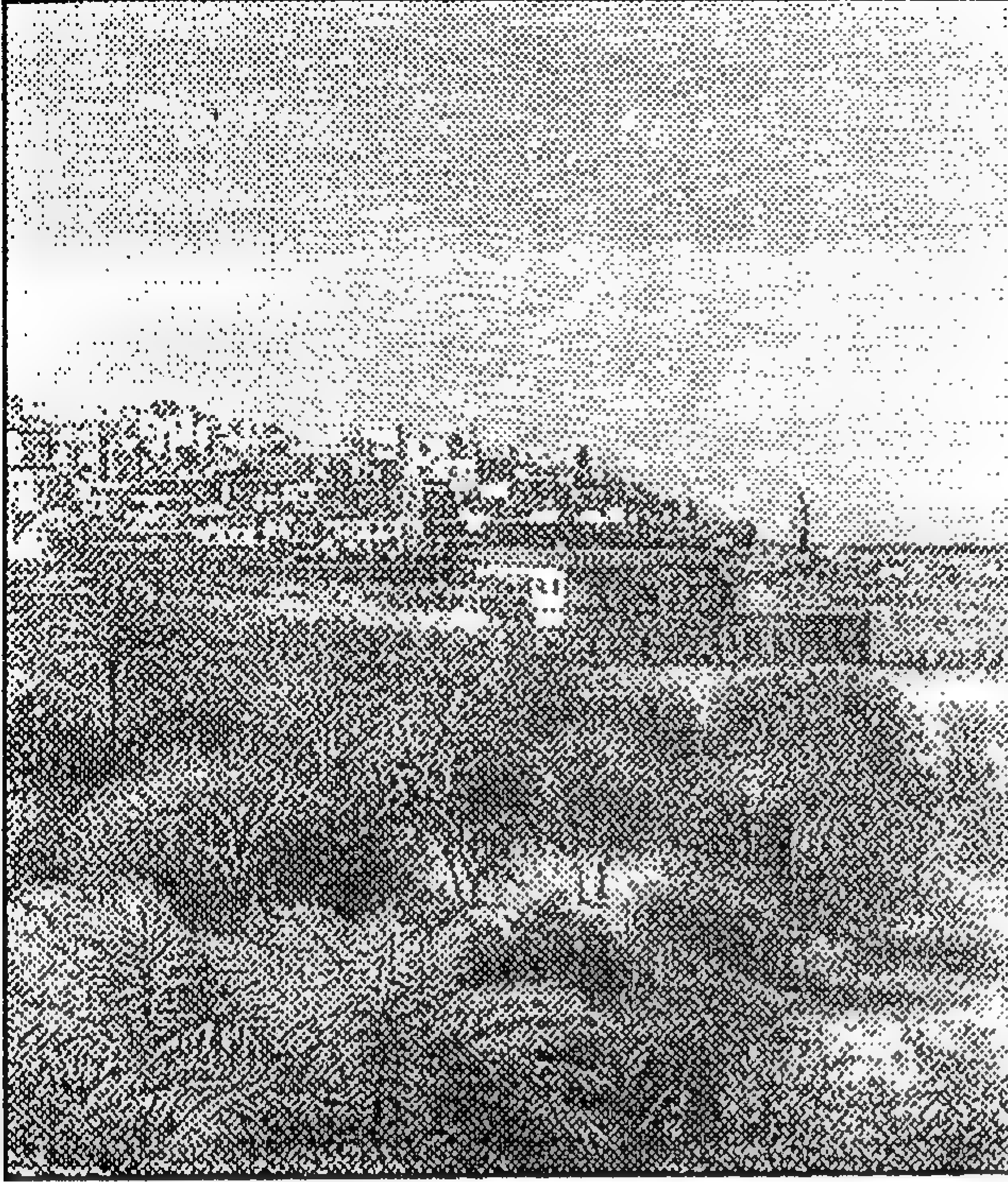
سنة تسع وثمانين ومايه وألف [١٧٧٥]

فيها عزم محمد بك ابو الدهب على السفر والتوجه إلى البلاد الشامية بقصد محاربة الظاهر عمر واستخلاص ما بيده من البلاد، فبرز خيامه إلى العادلية وفرق الأموال والتراحيل على الامراء والعساكر والمماليك، واستعد لذلك استعدادا عظيما في البحر والبر، وأنزل بالمراكب الذخيرة والجبخانة والمدافع والقنابر والمدفع الكبير المسمى بأبو مايلة، الذى كان سبكه فى العام الماضى، وسافر بجموعه وعساكره فى أوايل المحرم، وأخذ صحبته مراد بك، وابراهيم بك طنان، واسماعيل بك تابع اسماعيل بك الكبير لا غير، ونزل بمصر ابراهيم بك وجعله عوضا عنه فى امارة مصر،

١١٥ مصطفى باشا النابلسى..
*حملة ابو الدهب على الشام.
١١٨٩هـ.
١٤٩١ق.
١٧٧٥م.
غاية الفيضان ٢٣ ذراع/ ١٧ قيراط

- في المحرم / مارس، سافر محمد بك ابو الدهب الى الشام واناب عنه فى مصر ابراهيم بك. فحاصر يافا. وبعد محاربة تملكها بالقوة والاقتدار. ثم سار الى عكا فدخلها بدون ممانع لهروب الظاهر عمر.
- وفى اوايل ربيع أول زينت مصر ثلاثة ايام اعلانا بهذه النصرة.
- وفى ٨ [ربيع اول] توفى محمد بك ابو الذهب فى عكا، ولم يعلم إن كان مات مقتولا أم مات بداء السكتة. وفى ٢٤ ربيع الثانى حضرت جثته مع العساكر تحت إمرة مراد بك، ودفن فى الليوان الشرقى من مدرسته، تجاه الجامع الأزهر، وتولى مشيخة البلد على مصر بعده اسماعيل بك، رغما عن ادعاءات مراد

بك وابراهيم بك.
- □ بعض المغاربة ، القاصدين الحج، جدد الجزء الذى يلى القبلة والمقصورة من جامع سيدى ابى العباس بالاسكندرية.
- □ فى هذه السنة الافرنكية كان ابتداء الحرب بين انكلترا والولايات المتحدة من امريكا، هؤلاء تحت امرة واشنطون.
- □ فى هذه السنة الهجرية تعين مصطفى باشا النابلسى لولاية جدة. وتعين ابراهيم باشا عزب كيرلى بدله على مصر من قبل الدولة العلية. ومات فى السنة بعينها.
- □ ١ توت ١٤٩٢ = ١٠ سبتمبر ١٧٧٥ = الاحد ١٤ جماد الثانى سنة ١١٨٩
- □ ١ يناير ١٧٧٦ = ٢٤ كيهك ١٤٩٢ = الاثنين ٩ ذو القعدة سنة ١١٨٩.



حصن يافا ◄

وإسماعيل بك وباقى الأمراء والباشا الذى بالقلعة وهو مصطفى باشا النابلسى وأرباب العكاكيز والخدم والوجاقلية، ولم يزل فى سيره حتى وصل إلى جهة غزة وارتجت البلاد لوروده، ولم يقف احد (ص٩٨٢) فى وجهه ، وتحصن اهل يافا بها، وكذلك الظاهر عمر تحصن بعكا، فلما وصل إلى يافا حاصرها وضيق على أهلها، وامتنعوا هم أيضا عليه، وحاربوه من داخل وحاربهم من خارج، ورمى عليهم بالمدافع والمكاحل والقنابر عدة أيام وليالى، فكانوا يصعدون إلى أعلى السور ويسبون المصريين وأميرهم سبا قبيحا ، فلم يزالوا بالحرب عليها حتى نقبوا أسوارها، وهجموا عليها من كل ناحية، وملكوها عنوة، ونهبوها وقبضوا على أهلها وربطوهم فى الحبال والجنازير، وسبوا النساء والصبيان، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة، ثم جمعوا الأسرى خارج البلد

ودورو فيهم السيف، وقتلوهم عن آخرهم، ولم يميزوا بين الشريف والنصراني واليهودى والعالم والجاهل والعامى والسوقى ولا بين الظالم والمظلوم، وربما عوقب من لا جنى، وبنوا من رءوس القتلى عدة صوامع ووجوهها بارزة تنسف عليها الأتربة والرياح والزوابع، ثم ارتحل عنها طالبا عكا، فلما بلغ الظاهر عمر ما وقع بيافا، اشتد خوفه وخرج من عكا هاربا وتركها وحصونها. فوصل إليها محمد بك ودخلها من غير مانع، وأذعنت له باقى البلاد، ودخلوا تحت طاعته وخافوا سطوته، وداخل محمد بك من الغرور والفرح مالا مزيد عليه وما آل به إلى الموت والهلاك، وأرسل بالبشاير إلى مصر والأمرا بالزينة ، فنودى بذلك وزينت مصر وبولاق والقاهرة وخارجها زينة عظيمة، وعمل بها وقدات وشنكات وحرقات وأفراح (ص٩٨٣) ثلاثة أيام بلياليها، وذلك فى أوايل ربيع الشانى، فعند انقضاء ذلك ورد الخبر بموت محمد بك، واستمر فى كل يوم يفشو الخبر، وينمو ويزيد ويتناقل ويتأكد ، حتى وردت السعاة بتصحيح ذلك، وشاع فى الناس وصاروا يتعجبون ويتلون قوله تعالى «حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون*». وذلك أنه لما تم له الأمر وملك البلاد المصرية والشامية وأذعن الجميع لطاعته، وقد كان أرسل إسماعيل أغا أخا على بك الغزاوى إلى اسلامبول يطلب إمرية مصر والشام، وأرسل صحبته أموالا وهدايا فأجيب إلى ذلك، وأعطوه التقاليد والخلع واليرق والداقم، وأرسل له المراسلات والبشائر بتمام الأمر، فوافاه ذلك يوم دخوله عكا، فامتلأ فرحا، وحم بدنه فى الحال، فأقام محموما ثلاثة أيام، ومات ليلة الرابع، ثامن ربيع الثانى، ووافى خبر موته إسماعيل أغا عندما تهيأ ونزل

* وفاة محمد بك ابو الدهب فى الوقت الذى وافقت فيه السلطنة على نيابته على مصر والشام.

* مبلسون : متحصرون آيسون.

فى المراكب يريد المسير إلى مخدومه ، فانتقض الأمر وردت التقاليد وباقى الأشياء ولما تم له أمر يافا وعكا وباقى البلاد والثغور، فرح الامراء والأجناد الذين بصحبته برجوعهم إلى مصر وصاروا متشوقين للرحيل والرجوع إلى الأوطان، فاجتمعوا إليه فى اليوم الذى نزل به ما نزل فى ليلته ، فتبين لهم من كلامه عدم العود وأنه يريد تقليدهم المناصب والأحكام بالديار الشامية وبلاد السواحل، وأمرهم بإرسال المكاتبات إلى بيوتهم وعيالهم بالبشارات بما فتح الله عليهم وما سيفتح لهم، ويطمنوهم ويطلبوا احتياجاتهم ولوازمهم المحتاجين إليها من مصر، فعند ذلك اغتموا، وعلموا أنهم لا براح لهم، وأن أمله غير هذا، وذهب كل إلى مخيمه يفكر فى أمره، قال الناقل: وأقمنا على ذلك الثلاثة أيام التى تمرض فيها، وأكثرنا لا يعلم بمرضه ولا يدخل إليه إلا بعض خواصه، ولا يذكرون ذلك إلا بقولهم فى اليوم الثالث إنه منحرف المزاج، فلما كان فى صبح الليلة التى مات بها، نظرنا إلى صيوانه وقد ا نهدم ركنه، وأولاد الخزنة فى حركة، ثم زاد الحال، وجردوا على بعضهم السلاح بسبب المال، وظهر أمر موته وارتبك العرضى، وحضر مراد بك فصدهم وكفهم عن بعضهم، وجمع كبراهم وتشاوروا فى أمرهم، وأرضى خواطرهم ، خوفا من وقوع الفشل فيهم وتشتتهم فى بلاد الغربة وطمع الشاميين وشماتتهم فيهم، واتفق رأيهم على الرحيل، وأخذوا رمة سيدهم صحبتهم لما تحقق عندهم أنهم إن دفنوه هناك فى بعض المواضع أخرجه أهل البلاد ونبشوه وأحرقوه، فغسلوه وكفنوه ولفوه فى المشمعات ووضعوه فى عربة وارتحلوا به طالبين الديار المصرية، فوصلوا فى ستة عشر يوما، ليلة الرابع والعشرين من شهر ربيع



مراد بك.

الثانى أواخر النهار، فأرادوا دفنه فى القرافة، وحضر الشيخ الصعيدى فأشار بدفنه فى مدرسته تجاه الأزهر، فحفروا له قبرا فى الليوان الصغير الشرقى وبنوه ليلا، ولما أصبح النهار، عملوا مشهدا ، وخرجوا بجنازته من بيته الذى بقوصون، ومشى أمامه المشايخ والعلماء (٩٨٥) والأمراء وجميع الأحزاب والأوراد وأطفال المكاتب، وأمام نعشه مجامر العنبر والعود سترا على رائحته ونتنه، حتى وصلوا به إلى مدفنه، وعملوا عنده ختمات وقرايات وصدقات عدة ليال وأيام نحوا أربعين يوما، واستقر أتباعه أمرا مصر وريسهم ابراهيم* بك ومراد بك، وباقيهم الذين أمره فى حياته، ومات عنهم يوسف بك وأحمد بك الكلارجى ومصطفى بك الكبير وأيوب بك الكبير وذو الفقار بك ومحمد بك الطبال ورضوان بك ، والذين تأمروا بعده أيوب بك الدفتردار

* تولى ابراهيم بك ومراد بك أمور البلاد

وسليمان بك الأغا وإبراهيم بك الوالى وأيوب بك الصغير وسليم بك أبو دياب ولاجين بك، وسيأتى ذكر أخبارهم.

(ذكر من مات فى هذه السنة)

٣٨٦ على المنسفيسى.

(مات) الإمام الهمام، شيخ مشايخ الإسلام ، عالم العلما الأعلام، إمام المحققين وعمدة المدققين، الشيخ/ على بن أحمد بن مكرم الله الصعيدى العدوى المالكى، ولد ببنى عدى كما أخبر عن نفسه سنة اثنتى عشرة ومابة وألف، ويقال له أيضا المنسفيسى لأن أصوله منها، وقدم إلى مصر وحضر دروس المشايخ كالشيخ عبد الوهاب الملوى والشيخ شلبى البرلسى والشيخ سالم النفراوى والشيخ عبد الله المغربى والسيد محمد السلمونى ثلاثتهم عن الخرشى وأقرانه وكسيدى محمد الصغير والشيخ ابراهيم الفيومى، (٩٨٦) قال وبشرنى بالعلم حين قبلت يده وأنا صغير ومحمد بن زكرى والشيخ محمد السجينى والشيخ ابراهيم شعيب المالكى والشيخ أحمد الملوى والشيخ أحمد الديربى والشيخ عيد النمرسى والشيخ مصطفى العزيزى والشيخ محمد العشماوى والشيخ محمد بن يوسف والشيخ أحمد الإسقاطى والبقرى والعماوى والسيد على السيواسى والمدابغى والدفرى والبليدى والحفنى وآخرين، وبآخرة تلقن الطريقة الأحمدية عن الشيخ على بن محمد الشناوى، ودرس بالأزهر وغيره وقد بارك الله فى أصحابه طبقة بعد طبقة كما هو مشاهد، وكان يحكى عن نفسه أنه طالما كان يبيت بالجوع فى مبدأ اشتغاله بالعلم، وكان لا يقدر على ثمن الورق، ومع ذلك إن وجد شيا تصدق به، وقد تكررت

له بشارات حسنة مناما ويقظة إذا حكى شيا من ذلك قال هكذا كان الامام مالك يخبر أصحابه بالرويا ويقول «الرويا* تسر ولا تضر» منها ما وقع لشيخنا العارف سيدى محمود الكردى قال «رأيت النبى صلى الله عليه وسل فى المنام يقول : على الصعيدى خليفتى فلما انتبهت وخطر ببالى الشيخ قلت على الصعيدى غيره كثير، فنمت، فرأيته ثانيا يقول على الصعيدى هذا ويشير للشيخ» . ورأى بعض الصلحاء النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فى محراب الأزهر والطلبة تعرض عليه تقاييد الأشياخ ، فلما رأى ما قيد عن الشيخ ، صار يقول بذل وانكسار ياعلى ويكررها، ورأى الشيخ نفسه [النبى] فى المنام فقال (٩٨٧) له «أجزنى» قال «أجزتك» وأمثال ذلك كثير ورأى غير واحد من الصلحا النبى صلى الله عليه وسلم يأمره بالحضور عليه وآخر رأى مالكا والشافعى في مجلس تدريسه، وشهد له بالمعرفة والصلاح أكثر من النصف من أهل عصره، وقال العلامة الشيخ محمد الأمير «ولقد سمعت شيخنا العفيفى رضى الله عنه فى مرض موته يقول «الشيخ ناج والذى يحضره ناج» أو كلاما هذا معناه. وله مؤلفات دالة على فضله، منها حاشية على ابن تركى وأخرى على الزرقانى على العزيه وأخرى على شرح أبى الحسن على الرسالة فى مجلدين ضخمين، وأخرى على الخرشى وأخرى على شرح الزرقانى على المختصر وأخرى على الهدهدى على الصغرى وحاشيتان على عبد السلام على الجوهرة كبرى وصغرى، وأخرى على الأخضرى على السلم، وأخرى على ابن عبد الحق على بسملة شيخ الإسلام وأخرى على شرح شيخ الإسلام على ألفية المصطلح للعراقى وغير ذلك، وكان قبل

*حول قصص رؤى النبى في المنام.

ظهوره لم تكن المالكية تعرف الحواشي* على شروح كتبهم الفقية، فهو أول من خدم تلك الكتب بها، وله شرح على خطبة كتاب إمداد الفتاح على نور الإيضاح في مذهب الحنفية للشيخ الشرنبلالي، وكان رحمه الله شديد الشكيمة في الدين يصدع بالحق ويأمر بالمعروف وإقامة الشريعة ويحب الاجتهاد في طلب العلم ويكره سفاسف الأمور وينهى عن شرب الدخان ويمنع من شربه بحضرته وبحضرة أهل العلم تعظيما لهم، وإذا دخل إلى منزل من منازل الامرا ورأى من يشرب الدخان شنع عليه وكسر آلته ولو كانت في يد كبير الأمرا، (ص٩٨٨) وشاع عنه بذلك وعرف في جميع الخاص والعام وتركوه بحضرته فكانوا عندما يرونه مقبلا من بعيد نبه بعضهم بعضا ورفعوا شبكاتهم وأقصابهم وأخفوها عنه، وإن رأى شيا منها أنكر عليهم ووبخهم وعنفهم وزجرهم، حتى أن على بك في أيام إمارته كان إذا دخل عليه في حاجة أو شفاعة أخبروه قبل وصوله إلى مجلسه فيرفع الشبك من يده ويخفوه من وجهه وذلك مع عتوه وتجبره وتكبره، واتفق أنه دخل عليه في بعض الأوقات فتلقاه على عادته وقبل يده وجلس فسكت الأمير مفكرا في أمر من الأمور فظن الشيخ إعراضه عنه فأخذته الحدة وقال مخاطبا له باللغة الصعيدية «يامين يامين يامن هو غضبك ورضاك على حد سواء بل غضبك خير من رضاك» وكرر ذلك وقام قايما وهو يأخذ بخاطره ويقول «أنا لم أغضب من شيء» ويستعطفه فلم يجبه ولم يجلس ثانيا وخرج ذاهبا، ثم سأل على بك عن القضية التي أتى بسببها فأخبروه فأمر بقضاها ،و استمر الشيخ منقطعا عن الدخول إليه مدة حتى ركب في ليلة من ليالي رمضان مع الشيخ الوالد في حاجة عند بعض الأمرا ومرا ببيت على بك،

*كان الشيخ المنسفيسي اول من وضع الحواشي على كتب فقه المالكية.

فقال له «ادخل بنا نسلم عليه» فقال «ياشيخنا أنا لا أدخل» فقال «لابد من دخولك معى فلم تسعه مخالفته وانسر بذلك على بك تلك الليلة سرورا كثيرا.

ولما مات على بك واستقل محمد بك أبو الدهب بإمارة مصر كان يجل من شأنه ويحبه ولايرد شفاعته فى شى أبدا وكل من تعسر عليه قضا حاجة ذهب إلى الشيخ (ص٩٨٩) وأنهى إليه قصته فيكتبها مع غيرها فى قايمة حتى تمتلى الورقة ثم يذهب إلى الأمير بعد يومين أو ثلاثة فعندما يستقر فى الجلوس يخرج القايمة من جيبه ويقص ما فيها من القصص والدعاوى واحدة بعد واحدة ويأمر بقضاء كل منها والأمير لا يخالفه ولا ينقبض خاطره فى شىء من ذلك، وفى أثناء ذلك يقول له لا تضجر ولا تأسف على شى يفوتك بغير حق فى الدنيا فإن الدنيا فانية وكلنا نموت ويوم القيامة يسألنا الرب عن تأخرنا عن نصحك وها نحن قد نصحناك وخرجنا من العهدة. وإذا تلكأ فى شى صرخ عليه وقال له «اتق النار وعذاب جهنم» ثم يمسك بيده ويقول له «أنا خايف على هذه اليد الكويسة من النار» وأمثال ذلك، ولما بنى الأمير المذكور مدرسته كان المترجم هو المتعين فى التدريس بها داخل القبة على الكرسى، وابتدأ بها البخارى وحضره كبار المدرسين فيها وغيرهم ولم يترك درسه بالأزهر ولا بالبرديكية وكان يقرأ قبل ذلك بمسجد الغريب عند باب البرقية فى وظيفة جعلها له الأمير عبد الرحمن كتخدا وكذلك وظيفة بعد الجمعة بجامع مرزه، ببولاق وكان على قدم السلف فى الاشتغال والقناعة وشرف النفس وعدم التصنع والتقوى ولا يركب إلا الحمار ويواسى أهله وأقاربه ويرسل إلى فقراهم ببلده الصلات والأكسية والبز والطرح للنساء والعصايب والمداسات وغير

ذلك، ولم يزل مواظبا على الإقراء والإفادة حتى تمرض بخراج فى ظهره أياما قليلة، وتوفى فى عاشر رجب من السنة (ص٩٩٠) وصلى عليه بالأزهر بمشهد عظيم ودفن بالبستان بالقرافة الكبرى رحمه الله، ولم يخلف بعده مثله ولم أعثر على شى من مراثيه.

٣٨٧ أحمد الزبيرى البراوى.

(ومات) الإمام العلامة الفقيه الصالح الشيخ/ أحمد بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن محمد الزبيرى البراوى الشافعى، ولد بمصر وبها نشأ وحفظ القرآن والمتون وتفقه على والده وغيره، وحضر المعقول وتمهر وأنجب ودرس فى حياة والده، وبعد وفاته تصدر للتدريس فى محله وحضره طلبة أبيه واتسعت حلقة درسه مثل أبيه واشتهر ذكره وانتظم فى عداد العلماء وكان نعم الرجل شهامة وصرامة وفيه صداقة وحب للإخوان، توفى بطندتا ليلة الأربعا ثالث عشر ربيع الأول فجأة إذ كان ذهب للزيارة المعتادة وجىء به إلى مصر فغسل فى بيته وكفن وصلى عليه بالجامع الأزهر ودفن بتربة والده بالمجاورين.

٣٨٨ أحمد البقرى المقرى.

(ومات) الإمام الفاضل المسن الشيخ/ أحمد بن رجب بن محمد البقرى الشافعى المقرى، حضر دروس كل من الشيخ المدابغى والحفنى ولازم الأول كثيرا فسمع منه البخارى بطريفيه، والسيرة الشامية كلها وكتب بخطه الكثير من الكتب الكبار وكان سريع الفهم وافر العلم كثير التلاوة للقرآن مواظبا على قيام الليل سفرا وحضرا ويحفظ أورادا كثيرة وأحزابا ويجيز بها وكان يحفظ غالب السيرة ويسردها من حفظه ونعم الرجل كان متانة ومهابة. توفى وهو متوجه إلى الحج فى منزلة النخل آخر يوم من شوال من السنة

ودفن هناك(ص٩٩١).

(ومات) عالم المدينة وريسها الشيخ/ محمد بن عبد الكريم السمان، ولد بالمدينة ونشأ فى حجر والده واشتغل يسيرا بالعلم وأرسله والده إلى مصر فى سنة أربع وسبعين وماية وألف لمقتضى فتلقته تلامذه أبيه بالإكرام وعقد حلقة الذكر بالمشهد الحسينى وأقبلت عليه الناس، ثم توجه إلى المدينة، ولما توفى والده أقم شيخا فى محله، ولم يزل على طريقته حتى مات فى رابع الحجة من السنة عن ثمانين سنة. ٣٨٩ محمد السمان.

(ومات) العلامة المعمر الصالح الشيخ/ أحمد الخليلى الشامى أحد المدرسين بالأزهر تلقى عن أشياخ عصره ودرس وأفاد وكان به انتفاع للطلبة تام عام وألف إعراب الآجرومية وغيره وتوفى فى عاشر صفر من السنة. ٣٩٠ أحمد الشامى.

(ومات) الأمير الكبير/ محمد بك أبو الذهب تابع على بك الشهير، اشتراه استاذه فى سنة خمس وسبعين فأقام مع أولاد الخزنة أياما قليلة وكان إذ ذاك إسماعيل بك خازندار فلما أمر إسماعيل بك قلده الخازندارية مكانه وطلع مع مخدومه إلى الحج ورجع أوايل سنة ثمان وسبعين وتأمر فى تلك السنة وتقلد الصنجقية وعرف بأبى الذهب، وسبب تلقبه بذلك أنه لما لبس الخلعة بالقلعة صار يفرق البقاشيش ذهبا وفى حال ركوبه ومروره جعل ينثر الذهب على الفقرا والجعيدية حتى دخل إلى منزله فعرف بذلك، لأنه لم يتقدم نظيره لغيره ممن تقلد الإمريات، واشتهر عنه هذا اللقب وشاع وسمع عن نفسه (ص٩٩٢) شهرته بذلك فكان لا يضع فى جيبه إلا الذهب ولايعطى إلا الذهب، ويقول «أنا ٣٩١ الامير محمد بيك أبو الذهب.

أبو الذهب فلا أمسك إلا الذهب» وعظم شأنه في زمن قليل ونوه مخدومه بذكره وعينه في المهمات الكبيرة والوقايع الشهيرة وكان سعيد الحركات مؤيد العزمات لم يعهد عليه الخذلان في مصاف قط، وقد تقدمت أخباره ووقايعه في أيام أستاذه على بك وبعده واستكثر من شرا المماليك والعبيد حتى اجتمع عنده في الزمن القليل مالا يتفق لغيره ثي الزمن الكثير وتقلدوا المناصب والإمريات، فلما تمهدت البلاد بسعده المقرون ببأس أستاذه ثم خالف عليه وضم المشردين وغمرهم بالإحسان واستمال بواقي أركان الدولة واستلين الجميع جانبه وجنحوا إليه وأحبوه وأعانوه وتعصبوا له وقاتلوا بين يديه حتى أزاحوا على بك وخرج هاربا من مصر إلى الشام، واستقر المترجم بمصر وساس الأمور وقلد المناصب وجبى الأموال والغلال وراسل الدولة العثمانية واظهر لهم الطاعة وقلد مملوكه ابراهيم بك امارة الحج تلك السنة، وصرف العلايف وعوايد العربان وأرسل الغلال للحرمين والصرر وتحرك على بك للرجوع إلى مصر ، وجيش الجيوش فلم يهتم المترجم لذلك وكادله كيدا بأن جمع القرانصه والذين يظن فيهم النفاق وأسر إليهم أن يراسلوا على بيك ويستعجلوه في الحضور وينمقوا مساوى للمترجم ومنفرات ويعدوه بالخامرة معه (ص٩٩٣) والقيام بنصرته متى حضر وأرسلوها إليه بالشريطة السرية* فراج عليه ذلك واعتقد صحته وأرسل إليهم بالجوابات وأعادوا له الرسالة كذلك باطلاع مخدومهم وإشارته فعند ذلك قوى عزم على بك على الحضور وأقبل بجنوده إلى جهة الديار المصرية، فخرج إليه المترجم ولاقاه بالصالحية وأحضره أسيرا كما تقدم، ومات بعد أيام قليلة وانقضى أمره وارتاح المترجم من قبله وجمع باقي الأمراء المطرودين

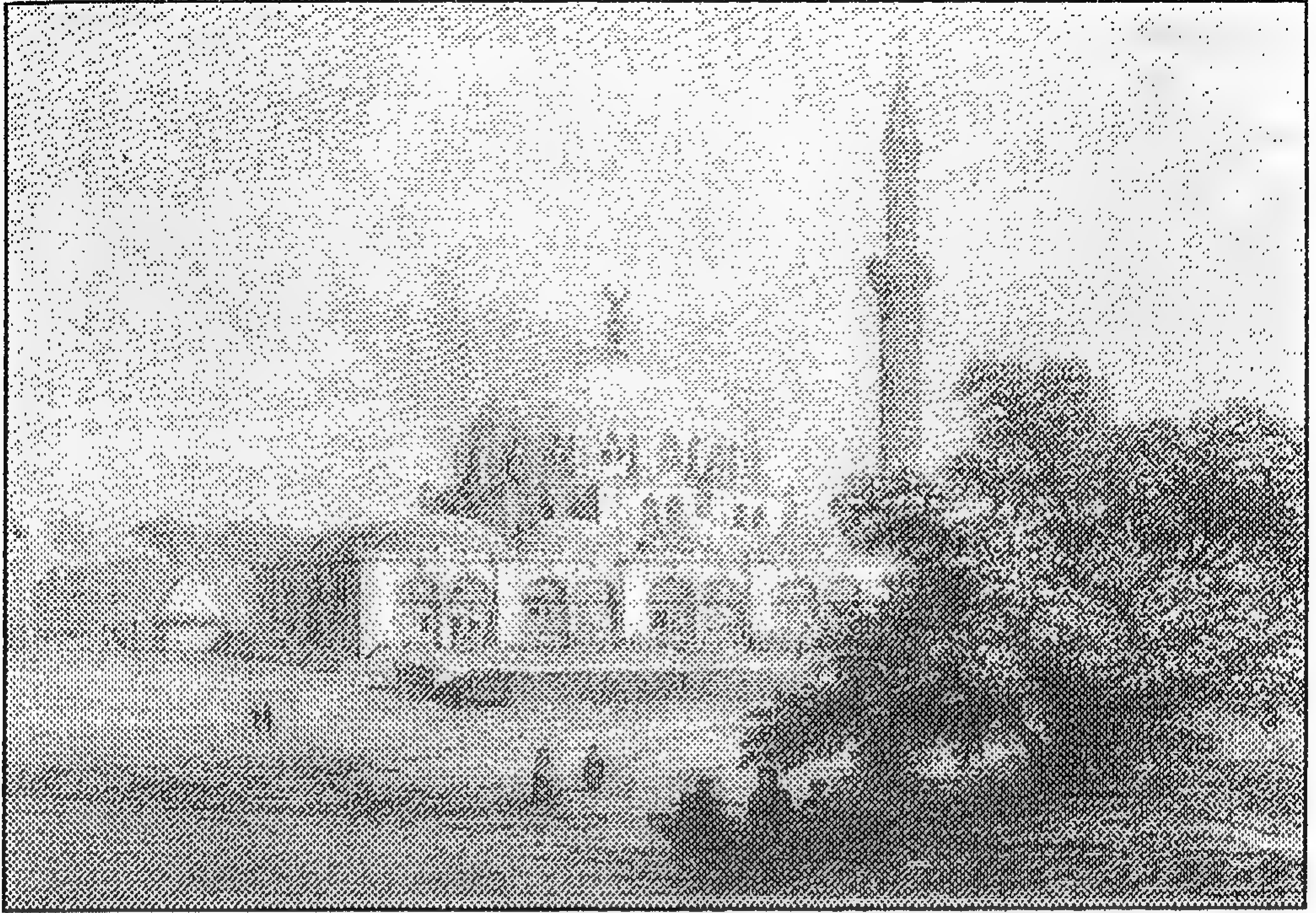
* الشريطة السرية: هي ما يسمى اليوم بالشفرة.

والمشردين وأكرمهم واستخدمهم وواساهم واستوزرهم وقلدهم المناصب ورد إليهم بلادهم وعوايدهم واستعبدهم بالإحسان والعطايا واستبدلهم العز بعد الذل والهوان، وراحة الأوطان بعد الغربة والتشريد والهجاج فى البلدان، فثبتت دولته وارتاحت النواحي من الشرور والتجاريد وهابته العربان وقطاع الطريق وأولاد الحرام، وأمنت السبل وسلكت الطرق بالقوافل والبضايع ووصلت المجلوبات من الجهات القبلية والبحرية بالتجارات والمبيعات، وحضر إلى مصر خليل باشا وطلع إلى القلعة على العادة القديمة، وحضر للمترجم من الدولة المرسومات والخطابات، ووصل إليه سيف وخلعة فلبس ذلك في الديوان ونزل فى أبهة عظيمة شأنه وانفرد بإمارة مصر واستقام أمره وأهمل أمر أتباع أستاذه على بك وأقام أكثرهم بمصر بطالا، وحضر إلى مصر مصطفى باشا النابلسي من أولاد العظم والتجأ إليه فأكرم نزله، ورتب له الرواتب وكاتب الدولة وصالح عليه وطلب له ولاية (ص٩٩٤) مصر فأجيب إلى ذلك ووصلت إليه التقاليد والداقم فى ربيع الثانى سنة ثمان وثمانين ووجه خليل باشا إلى الولاية جدة وسافر من القلزم فى جمادى الثانية وتوفى هناك ، وفى أواخر سنة سبعة وثمانين شرع فى بناء مدرسته التى تجاه الجامع الأزهر وكان محلها رباع متخربة فاشتراها من أربابها وهدمها وأمر ببناها على هذه الصفة وهى على أرنيك* جامع السنانية الكاين بشط النيل ببولاق فرتب لنقل الأتربة وحمل الجير والرماد والطين عدد كبير من قطارات البغال وكذلك الجمال لشيل الأحجار العظيمة كل حجر واحد على جمل وطحنوا لها الجبس الحلوانى المصيص ورموا أساسها فى أوايل شهر الحجة ختام السنة المذكورة، ولما تم عقد قبتها العظيمة وما حولها من القباب المعقودة

* ارنيك : نظام أو خطه للبناء.

على اللواوين وبيضوها ونقشوا داخل القبة بالألوان والأصباغ وعمل لها شبابيك عظيمة كلها من النحاس الأصفر المصنوع وعمل بظاهرها فسحة مفروشة بالرخام المرمر وبوسطها حنفية وحولها مساكن لمتصوفة الأتراك وبداخلها عدة كراسى راحة وكذلك بدورها العلوى وبأسفل من ذلك ميضا عظية تمتلى بالماء من نوفرة بوسطها تصب فى صحن كبير من الرخام المصنوع نقلوه إليها من بعض الأماكن القديمة ويفيض منه فيملا الميضا ،و حول الميضاة عدة كراسى راحة وأنشأ ساقية لذلك فحفروها (٩٩٥) وخرج ماؤها فى غاية الملوحة ، وأنشأ أسفل ذلك صهريجا عظيما يملا فى كل سنة من ماء النيل وحوضا عظيما لسقى الدواب وعمل بأعلى الميضاة ثلاثة أماكن برسم جلوس المفتين الثلاثة [هم الحنفى والشافعى والمالكى] يجلسون بها حصة من النهار لإفادة الناس بعد إملاء الدروس، وقرر فيها الشيخ أحمد الدردير مفتى المالكية والشيخ عبد الرحمن العريشى مفتى الحنفية والشيخ حسن الكفراوى مفتى الشافعية، ولما تم البناء فرشت جميعها بالحصر ومن فوقها الأبسطة الرومى من داخل وخارج حتى فرجات الشبابيك ومساكن الطباق، ولما استقر جلوس المفتين المذكورين بالثلاثة أماكن التى أعدت لهم أضرت بهم الرائحة الصاعدة إليهم من المراحيض التى من أسفل واعلموا الأمير بذلك فأمر بإبطالها وبنوا خلافها بعيدا عنها وتقرر فى خطابتها الشيخ أحمد الراشدى وغالب المدرسين بالأزهر مثل الشيخ على الصعيدى مدرس البخارى والشيخ أحمد الدردير والشيخ محمد الأمير والشيخ عبد الرحمن العريشى والشيخ حسن الكفراوى والشيخ أحمد يونس

والشيخ أحمد السمنودى وللشيخ على الشنويهى والشيخ عبد الله اللبان والشيخ محمد الحفناوى والشيخ محمد الطحلاوى والشيخ حسن الجداوى والشيخ أبى الحسن القلعى والشيخ البيلى والشيخ محمد الحريرى والشيخ منصور المنصورى (ص٩٩٦) والشيخ أحمد جاد الله والشيخ محمد المصيلحى ودرسا ليحيى أفندى شيخ الأتراك وتقرر السيد عباس إماما راتبا بها وفى وظيفة التوقيت الشيخ محمد الصبان، وجعل بها خزانة كتب عظيمة وجعل خازنها محمد أفندى حافظ وينوب عنه الشيخ محمد الشافعى الجناجى ورتب للمدرسين الكبار فى كل يوم ماية وخمسين نصفا فضة ومن دونهم خمسون نصفا وكذلك للطلبة منهم من له عشرة أنصاف فى كل يوم ومنهم من له أكثر وأقل وبقدر عدد الدراهم أرادب من البر فى كل سنة، ولما انتهى أمرها وصلى بها الجمعة فى شهر شعبان سنة ثمان وثمانين فحضر الأمير المذكور واجتمع المشايخ والطلبة وأرباب الوظايف وصلوا بها الجمعة، وبعد انقضاء الصلاة جلس الشيخ الصعيدى على الكرسى وأملى حديث (من بنى الله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا فى الجنة) فلما انقضى ذلك أحضرت الخلع والفراوى فألبس الشسيخ الصعيدى والشيخ الراشدى الخطيب والمفتين الثلاثة فراوى سمور وباقى المدرسين فراوى نافا بيضا وأنعم فى ذلك اليوم على الخدمة والمؤذنين وفرق عليهم الدهب والبقاشيش وتنافس الفقها والأشياخ والطلبة تحاسدوا وتفاتنوا. ووقف على ذلك أمانة قويسنا وغيرها والحوانيت التى أسفل المدرسة ولم يصرف إلا سنة واحدة فإن المترجم



▲ جامع السنانية فى بولاق، كان وقتها قرب شاطئ النيل.

سافر فى أوايل سنة تسع وثمانين إلى (ص٩٩٧) البلاد الشامية كما تقدم، ومات هناك ورجعوا برمته وتأمر أتباعه وتقاسموا البلاد فيما بينهم ومن جملتها أمانة قويسنا الموقوفة فبرد أمر المدرسة وعوضوا عن ذلك الوكالة التى أنشأها على بك ببولاق لمصرف أجر الخدمة وعليق الأنوار بعد ما أضعفوا المعاليم ونقصوها ، وزعوا عليهم ذلك الإيراد القليل، ولم يزل الحال يتناقص ويضعف حتى بطل منها غالب الوظايف والخدم إلى أن بطل التوقيت والأذان بل والصلاة فى أكثر الأوقات وأخلق فرشها وبسطها وعتقت وبليت وسرق بعضها وأغلق أحد أبوابها المواجه للقبوة الموصل للمشهد الحسينى بل أغلقت جميعا شهورا مع كون الأمراء أصحاب الحل والعقد أتباع الواقف ومماليكه. لكن

لما فقدت منهم القابلية واستولى عليهم الطمع والتفاخر والتنافس والتغاضى خوف الفشل وتفرق الكلمة مع الانحراف عن الأوضاع ظهر الخلل فى كل شى حتى فى الأمور الموجبة لنظام دولتهم وإقامة ناموسهم كما يتضح ذلك فيما بعد، وبالجملة فإن المترجم كان آخر من أدركنا من الأمراء المصرين شهامة وصرامة وسعدا وحزما وحكما وسماحة وحلما، وكان قريبا للخير يحب العلما والصلحا ويميل بطبعه ويعتقد فيهم ويعظمهم وينصت لكلامهم ويعطيهم العطايا الجزيلة ويكره المخالفين للدين، ولم يشتهر عنه شى من الموبقات والمحرمات ولا ما يشينه فى دينه أو يخل بمروته، بهى الطلعة جميل الصورة أبيض اللون معتدل القامة والبدن مسترسل (ص٩٩٨) اللحية مهاب الشكل وقورا محتشما قليل الكلام والإلتفات ليس بمهدار ولا خوار ولا عجول، مبجلا فى ركوبه وجلوسه ، يباشر الأحكام بنفسه، ولولا ما فعله آخر [أيامه] من الإسراف فى قتل أهل يافا بإشارة وزراه لكانت حسناته أكثر من سيئاته ، ولم يتفق لأمير مثله فى كثرة المماليك وظهور شأنهم فى المدة اليسيرة وعظم أمرهم بعده وانحرفت طباعهم عن قبول العدالة ومالوا إلى طرق الجهالة، واشتروا المماليك فنشوا على طرايقهم وزادوا عن سوابقهم وألفوا المظالم وظنوها مغانم، وتمادوا على الجور وتلاحقوا فى البغى على الفور، إلى أن حصل ما حصل، ونزل ، وسيتلى عليك من ذلك أنباء وأخبار، وما حل بالإقليم بسببهم من الخراب والدمار والله تعالى أعلم.

سنة تسعين ومائة وألف [١٧٧٦م]

(ص٩٩٩)

كان سلطان العصر فيها السلطان عبد الحميد بن أحمد خان العثمانى ووالى مصر الوزير محمد باشا عزت الكبير وأمراؤها ابراهيم بك ومراد بك مملوكا محمد بك أبى الذهب وخشداشينها أيوب بك الصغير ومحمد بك طبل وحسن بك سوق السلاح وذو الفقار بك ولاجين بك ومصطفى بك الصغير بك وعثمان بك الشرقاوى وخليل بك الابراهيمى، ومن البيوت القديمة حسن بك قصبة رضوان ، ورضوان بك بليفيا وإبراهيم بك طنان وعبد الرحمن بك عثمان الجرجاوى وسليمان بك الشابورى، وبقايا اختيارية (ص١٠٠٠) الوجاقات مثل أحمد باشجاويش أرنؤد وأحمد جاويش المجنون واسماعيل أفندى الخلوتى وسليمان البرديسى وحسن أفندى درب الشمسى وعبدا لرحمن أغا محرم ومحمد أغا محرم وأغا وأحمد كتخدا المعروف بوزير وأحمد كتخدا الفلاح، وباقى جماعة الفلاح وإبراهيم كتخدا منا وغيرهم والأمر والنهى للأمراء المحمدية المتقدم ذكرهم وكبيرهم وشيخ البلد إبراهيم بك ولا ينفذ أمر بدون اطلاع قسيمه مراد بك واسماعيل بك الكبير متنزه ومنعكف فى بيته وقانع بإيراده وبلاده ومنزو عن التداخل فيهم من موت سيدهم وعمر داره التى بالأزبكية وأقام بها.

(وفيها فى يوم الخميس سابع شهر صفر) وصل الحج إلى مصر ودخل الركب وأمير الحاج يوسف بك.

١١٥ ابراهيم باشا كيرلى [لم يذكره الجبرتى]

١١٦ محمد باشا عزت

١١٩٠ هـ.
١٤٩٢ ق.
١٧٧٦م.
غاية الفيضان ٦ قيراط/ ٢٠ ذراع

- فى هذه السنة تولى مصر محمد باشا عزت من قبل الدولة العلية، ورئيس الأمراد اسماعيل بك الذى كان متنزها ومنعكفا عن الأشغال التى كانت تقضى بواسطة الأمراد المحمدية وكبيرهم ابراهيم بك.
- وفيها توفى الأمير عبد الرحمن كتخدا صاحب العمارات المشهورة بمصر، بعد أن قام اثنتى عشرة سنة بالحجاز منفيا بأمر على بك.
- وفى ٢١ [جماد أول]نادت الأمريكان باستقلالهم.
- وفى هذه السنة الأفرنكية استيلاء الجنرال واشنطون على بوستن.

١ توت ١٤٩٣ = ٩ سبتمبر ١٧٧٦ = الاثنين ٢٥ رجب سنة ١١٩٠.

- فيها اكتشف الطبيب هنرى خير الانكليزى تطعيم وتلقيح الجدرى، وكوفىء على ذلك بمبلغ ٣٠ الف جنيه.
- فيها اخترع روشون الميكرومتر ذو البلور الصخرى.
- ١ يناير ١٧٧٧ - ٢٥ كيهك ١٤٩٣ = الاربع ٢١ ذو القعدة سنة ١١٩٠.

(وفى ليلة الجمعة تاسع صفر) وقع حريق بالأزبكية وذلك فى نصف الليل بخطة الساكت احترق فيها عدة بيوت عظام وكان شيئا مهولا ثم إنها عمرت فى أقرب وقت والذى لم يقدر على العمارة باع أرضه فاشتراها القادر وعمرها، فعمر رضوان بك بلفيا دار عظيمة وكذلك الخواجا السيد عمر غراب والسيد أحمد عبد السلام والحاج محمود محرم بحيث إنه لم يأتى النيل القابل إلا وهى أحسن وأبهج مما كانت عليه.

(وفيها) سقط ربع «بسوق الغورية ومات فيه عدة كثيرة من الناس تحت الردم، ثم إن عبد الرحمن أغا (ص١٠٠١) مستحفظان أخذ تلك الأماكن من أربابها شراء وأنشأ الحوانيت والربع علوها والوكالة المعروفة الآن بوكالة الزيت والبوابةالتى يسلك منها من السوق.

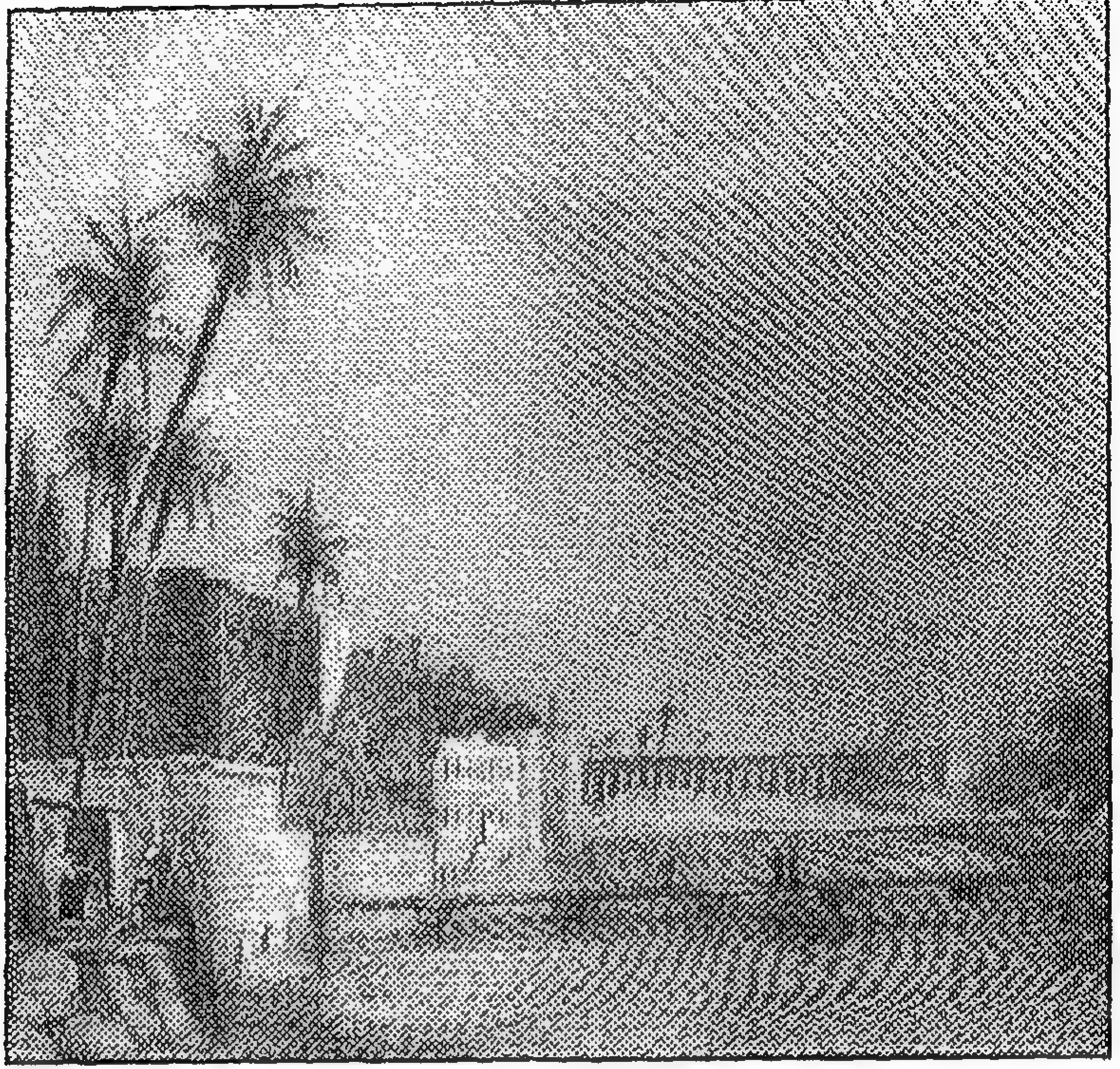
(وفيها) حضر جماعة * من الهنود ومعهم فيل صغير ذهبوا به إلى قصر العينى وأدخلو بالاسطبل الكبير وهرع الناس للفرجة عليه ووقف الخدم على أبواب القصر يأخذون من المتفرجين دراهم وكذلك سواسه الهنود جمعوا بسببه دراهم كثيرة وصار الناس يأتون إليه بالكعك وقصب السكر ويتفرجون على مصه فى القصب وتناوله بخرطومه وكان الهنود يخاطبونه بلسانهم ويفهم كلامهم وإذا أحضروه بين يدى كبير كلموه فيبرك على يديه ويشير بالسلام بخرطومه.

* حضور جماعة من الهنود ومعهم فيل صغير.

(وفيها فى شهر رمضان) تعصب مراد بك * وتغير خاطره

* وقوع الخلاف بين مراد بك وابراهيم بك طنان.





▲ *النيل عند جزيرة الروضة (الفرع الشرقي) . ويشاهد في الخلفية مجرى العيون وفي مقدمة الصورة يظهر الجسر الذي يعبر النيل للجزيرة.*

على ابراهيم بك طنان ونفاه إلى المحلة الكبيرة وفرق بلاده على من أحب ولم يبق له إلا القليل.

((وفيها) شرع الامير اسماعيل بك فى عمل مهم لزواج ابنته وهى من زوجته هانم بنت سيدهم ابراهيم كتخدا الذى كان تزوجها فى سنة أربع وسبعين بالمهم المذكور فى حوادث تلك السنة وكان ذلك المهم فى أوايل شهر ذى الحجة وكان قبل هذا المهم حصل بينه وبين مراد بك منازعة ومخاصمة وسببها أن مراد بك أراد أن يأخذ من اسماعيل بك السرو* ورأس الخليج فوقع بينهما مشاحنة ومخاصمة كاد يتولد منها فتنة ، فسعى فى الصلح بينهما ابراهيم بك فاصطلحا على غل، وشرع فى إثر ذلك اسماعيل بك فى عمل (ص١٠٠٢) الفرح فاجتمعوا يوم العقد فى وليمة عظيمة

* السرو: بلدة تابعة لمركز فارسكور / محافظة دمياط.

ووقف مراد بك وفرق المحارم والمناديل على الحاضرين وهو يطوف بنفسه على أقدامه، وعمل المهم كثيرة ونزل محمد باشا عزت باستدعا إلى بيت اسماعيل بك، وعندما وصل إلى حارة قوصون نزل الأمراء بأسرهم مشاة على أقدامهم لملاقاته، فمشوا جميعا أمامه على أقدامهم وبأيديهم المباخر والقماقم، ولم يزالوا كذلك حتى طلع إلى المجلس ووقفوا في خدمته مثل المماليك حتى انقضت أيام الولايم زفوا العروس إلى زوجها ابراهيم أغا، الذى صنجقه اسماعيل بك وهو خازنداره ومملوكه يسمونه قشطة، وكانت هذه الزفة من المواكب الجليلة ومشى فيها الفيل وعليه خلعة جوخ أحمر فكان ذلك من النوادر.

(ذكر من مات فى هذه السنة)

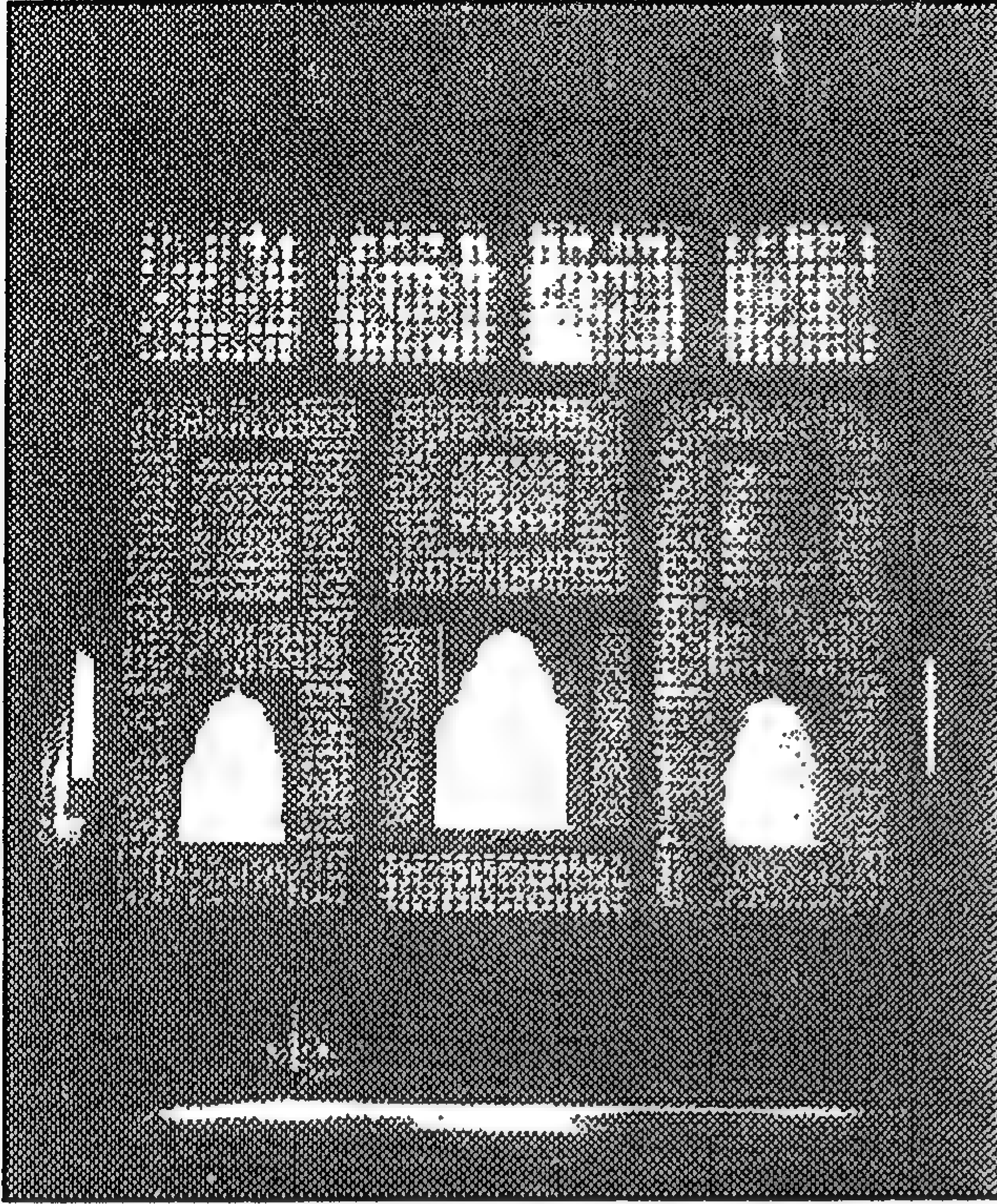
٣٩٢ أحمد السجاعى [ومات] في هذه السنة الفقيه المتفنن العلامة الشيخ/ أحمد بن محمد بن محمد السجاعى الشافعي الأزهرى ولد بالسجاعية قرب المحلة، وقدم الأزهر صغيرا فحضر دروس الشيخ العزيزى والشيخ محمد السجينى والشيخ عبده الديوى والسيد على الضرير فتمهر ودرس وأفتى وألف وكان ملازما على زيارة قبور الأوليا ويحيى الليالى بقراءة القرآن مع صلاح وديانة وولاية وجذب وله مع الله حال غريب وهو والد الشيخ الأوحد أحمد (١٠٠٣) الآتى ذكره فى تاريخ موته، توفى المترجم رحمه الله تعالى فى عصر يوم الأربعاء ثامن عشرى ذى القعدة.

٣٩٣ عطية الأجهورى [ومات] الشيخ الإمام الفقيه العلامة الشيخ/ عطية بن

عطية الأجهورى الشافعى البرهانى الضرير، ولد بأجهور الورد إحدى قرى مصر وقدم مصر فحضر دروس الشيخ العشماوى والشيخ مصطفى العزيزى وتفقه عليهما وعلى غيرهما و أتقن فى الأصول وسع الحديث ومهر فى الآلات وأنجب ودرس المنهج والتحرير مرارا وكذا جمع الجوامع بمسجد الشيخ مطهر وله فى أسباب النزول مؤلف حسن فى بابه جامع جام لما تشتت من أبوابه وحاشية على الجلالين مفيدة وكذلك حاشية على شرح الزرقانى على البيقونية فى مصطلح الحديث وغير ذلك ، وقد حضر عليه غالب علما مصر الموجودين واعترفوا بفضله وأنجبوا ببركته وكان يتأتي في تقريره ويكرر الإلقا مرارا مراعاة للمستعملين الذين يكتبون ما يقوله ، ولما بنى المرحوم عبد الرحمن كتخدا هذا الجامع المعروف الآن بالشيخ مطهر الذى كان أصله مدرسة للحنفية وكانت تعرف بالسيوفيين بنى للمترجم بيتا بدهليزها وسكن فيه بعياله وأولاده توفى فى أواخر رمضان.

٣٩٤ احمد العجمى [ومات] الشيخ الفاضل النجيب/ أحمد بن محمد بن العجمى الشافعى كان شابا فهيما دراكا (ص١٠٠٤) ذا حفظ جيد، حضر على علما العصر وحصل المعقول والمنقول وأدرك جانبا من العلوم والمعارف ودرس وأملى ولو عاش لانتظم فى سلك أعاظم العلما ولكن اخترمته المنية فى يوم الاثنين حادى عشر جمادى الآخرة.

٣٩٥ احمد المقدسى الشيخ الصالح الورع الناسك / أحمد بن نور الدين المقدسى الحنفى إمام جامع قجماس وخطيبه بالدرب الأحمر



وهو أخو الشيخ حسن المقدسى مفتى السادة الحنفية شارك أخاه الشيخ حسنا المذكور فى شيوخه واشتغل بالعلم، وكان شيخا وقورا بهى الشكل مقبلا على شأنه منجمعا عن الناس، توفى ليلة الاثنين سادس عشر ربيع الأول.

[ومات] الفقيه الفاضل الشيخ/ ابراهيم بن خليل الصيحانى الغزى الحنفى، ولد بغزة وبها نشأ وقرأ بعض المتون على فضلا بلده وورد الجامع الأزهر فحضر الدروس، ولازم المرحوم الوالدحسنا الجبرتى وتلقى عنه الفقه وبعض العلوم الغريبة، ثم عاد إلى غزة وتولى الافتا بالمذهب، وكان يرسل إلى الوالد فى كل سنة جانبا من اللوز المر فى غلق مقدار عشرين رطلا ، فنخرج دهنه ونرفعه فى الزجاج لنفع الناس ٣٩٦ ابراهيم الصيحانى

فى الدهن ومعالجات بعض الأمراض والجروحات ، ولم يزل على ذلك حتى ارتحل إلى دمشق، وتولى أمانة الفتوى بعده الشيخ عبدالشافى، فسار أحسن سير وتوفى بها فى هذه السنة (ص٥ ١٠٠) فى عشر التسعين رحمه الله.

[ومات] الفقيه الفاضل الصالح الشيخ/ على بن محمد بن نصر بن هيكل بن جامع الشنويهى ، تفقه على جماعة من فضلاء العصر وكان يحضر درس الحديث فى كل جمعة على السيد البليدى، ودرس بالأزهر وانتفع به الطلبة وكان مشهورا بمعرفة الفروع الفقهية، وكان درسه حافلا جدا وله حظ فى كثرة الطلبة وكان الأشياخ يتضايقون من حلقة درسه فيطردونه من المقصورة فيخرج إلى الصحن، فتملأ حلقة درسه صحن الجامع وفى بعض الأحيان ينتقل إلى مدرسة السنانية بجماعته، وكان يخطب بجامع الأشرفية بالوراقين، وخطبته لطيفة مختصرة، وقرأ المنهج مرارا ، وكان شديد الشكيمة على نهج السلف الأول لا يعرف التصنع، وكان يخبر عن نفسه أنه كان كثير الرؤيا للنبى صلى الله عليه وسلم، وأنه لما تنزل مدرسا فى المحمدية من جملة الجماعة انقطع عنه ذلك، وكان يبكى ويتأسف لذلك. توفى فى ثامن عشر شعبان وأملى نسبه على الدكة إلى سيدنا على رضى الله عنه. ٣٩٧ على الشنويهى.

[ومات] الأمير الكبير الشهير / عثمان بك الفقارى باسلامبول فى هذه السنة وكان مدة غربته ببرصا * واسلامبول نيفا وأربعا وثلاثين سنة، وقد تقدم ذكره وذكر مبدأأمره وظهوره وسبب خروجه من مصر ما يغنى عن ٣٩٨ عثمان بك الفقارى.

* برصا: قرب بحر مرمره.

إعادة بعضه وهو أمر مشهور، وإلى الآن بين الناس مذكور، حتى أنهم جعلوا سنة خروجه تاريخا يؤرخون به وفياتهم ومواليدهم ، فيقولون ولد فلان سنة خروج عثمان بك، ومات فلان بعد خروج عثمان بك بسنة أو شهر مثلا.

٣٩٩ الامير عبد الرحمن كتخدا

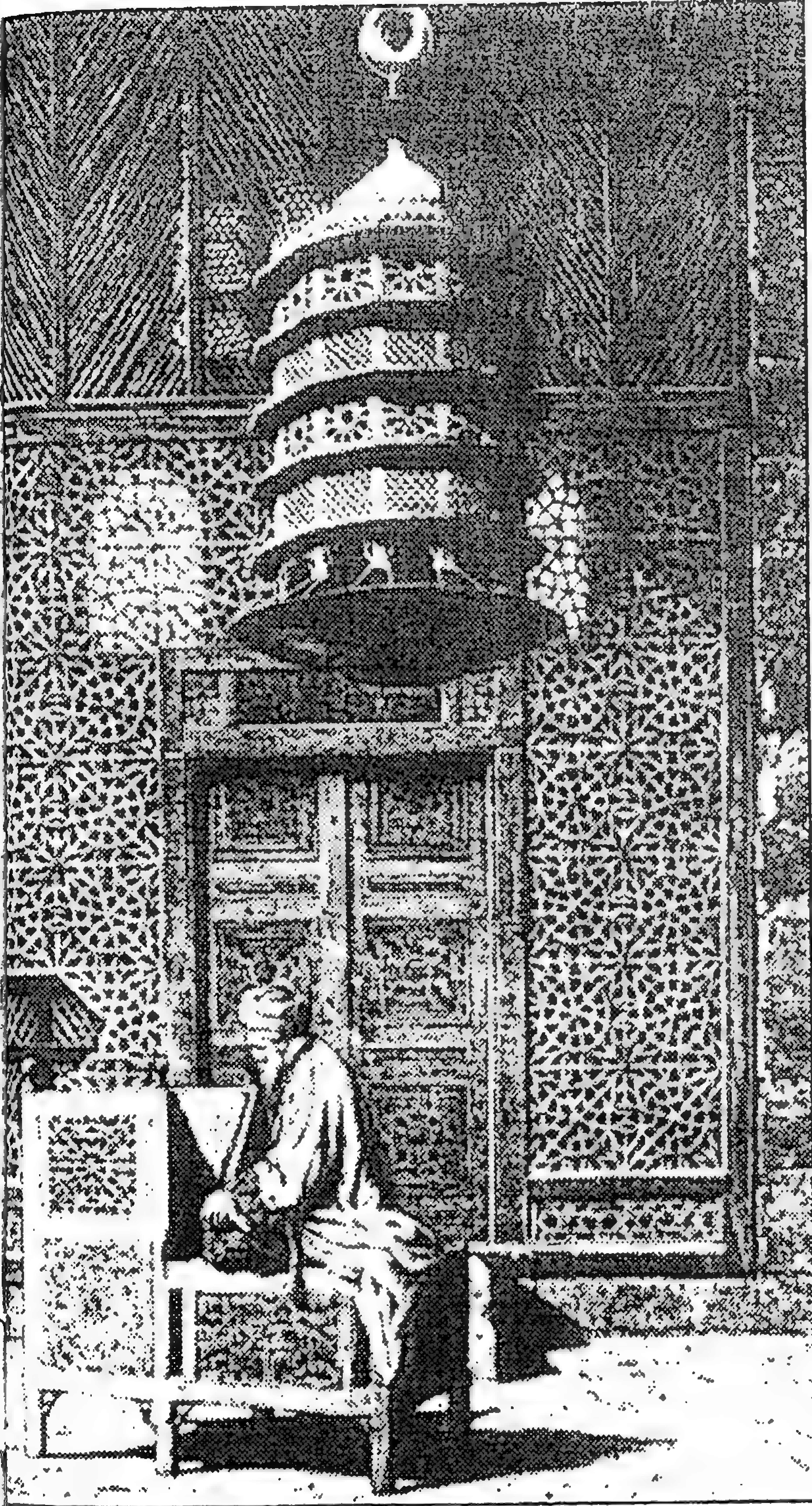
[ومات] الأمير عبد الرحمن كتخدا وهو ابن حسن جاويش القازدغلى أستاذ سليمان جاويش أستاذ ابراهيم كتخدا مولى جميع الأمرا المصريين الموجودن الآن. وخبره ومبدأ إقبال الدنيا عليه أنه لما مات عثمان كتخدا القازدغلى واستولى سليمان جاويش الجوخدار على موجوده ولم يعط المترجم الذى هو ابن سيد أستاذه شيا، ولم يجد من ينصفه فى إيصال حق من طايفة باب الينكجرية حسدا منهم وميلا لأهوايهم وأغراضهم ، فحنق منهم وخرج من بابهم وانتقل إلى وجاق العزب، وحلف أنه لا يرجع إلى وجاق الينكجرية مادام سليمان جاويش الجوخدار حيا، وبر فى قسمه، فإنه لما مات سليمان جاويش ببركة الحاج سنة اثنتين وخمسين وماية وألف كما تقدم بادر سليمان كتخدا الجاويشية زوج أم عبد الرحمن كتخدا وأستأذن عثمان بك فى تقليد عبد الرحمن جاويش، لأنه وراثه ومولاه، وأحضروه ليلا وقلدوه ذلك، وأحضر الكاتب والدفاتر وتسلم مفاتيح الخشخانات* والتركة بأجمعها ، وكان شيئا يحل عن الوصف، وكذلك تقاسيط البلاد، (ص١٠٠٧) ولم تطمح نفس عثمان بك لشى من ذلك، وأخذ المترجم غرضه من باب العزب ورجع إلى باب الينكجرية، ونما أمره من حينئذ وحج صحبة عثمان بك فى سنة خمس وخمسين، وأقام هناك إلى سنة إحدى وستين فحضر مع الحجاج وتولى كتخدا الوقت

* الخشخانات : مفردها خشخانة: وهى السلاح

ستين ، و شرع فى بناء المساجد وعمل الخيرات وإبطال المنكرات ، وأبطل خمامير حارة اليهود، فأول عماراته* بعد رجوعه : السبيل والكتاب الذى يعلوه بين القصرين وجاء فى غاية الظرف وأحسن المبانى ، وأنشأ جامع المغاربة وعمل عند بابه سبيلا وكتابا وميضأة تفتح بطول النهار ، وأنشأ تجاه باب الفتوح مسجدا ظريفا بمنارة وصهريج وكتاب ومدفن السيدة السطوحية ،و أنشأ بالقرب من تربة الأزبكية سقاية وحوضا لسقى الدواب ويعلوه كتاب، وفى الحطابة كذلك، وعند جامع الدشطوطى كذلك، وأنشأ وزاد فى مقصورة الجامع الأزهر مقدار النصف طولا وعرضا ، يشتمل على خمسين عامودا من الرخام تحمل مثلها من البوائك المقوصرة المرتفعة المتسعة من الحجر المنحوت، وسقف أعلاها بالخشب النقى ، وبنى به محرابا جديدا ومنبرا، وأنشأ له بابا عظيما جهة حارة كتامة وبنى بأعلاه مكتبا بقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم الأيتام من أطفال المسلمين القرآن، وبداخله رحبة متسعة وصهريج (ص١٠٠٨) عظيم وسقاية لشرب العطاش المارين، وعمل لنفسه مدفنا بتلك الرحبة وعليه قبة معقودة وتركيبة من رخام بديعة الصنعة، وبها أيضا رواق مخصوص بمجاورى الصعايدة المنقطعين لطلب العلم يسلك إليه من تلك الرحبة بدرج يصعد منه إلى الرواق وبه مرافق ومنافع ومطبخ ومخادع وخزاين كتب، وبنى بجانب ذلك الباب منارة،و أنشأ بابا آخر جهة مطبخ الجامع وعليه منارة أيضا. وبنى المدرسة الطيبرسية وأنشأها إنشاء جديدا وجعلها مع مدرسة الآقبغاوية المقابلة لها من داخل الباب الكبير الذى أنشأه خارجهما جهة القبو الموصل للمشهدالحسينى وخان

* عماير الامير عبد الرحمن كتخدا التى ذكرهاالجبرتى:

١ ـ سبيل وكتاب بين القصرين
٢ ـ جامع المغاربة.
٣ ـ سبيل وكتاب جامع المغاربة.
٤ ـ جامع تجاه باب الفتوح
٥ ـ كتاب ومدفن السيدة السطوحية
٦ ـ كتاب وسقاية وحوض لشرب الدواب قرب الأزبكية.
٧ ـ كتاب وسقاية وحوض لشرب الدواب فى الحطابة .
٨ ـ كتاب وسقاية وحوض لشرب الدواب عند جامع الدشطوطى.
٩ ـ أنشأ، وزاد فى مقصورة الجامع الأزهر
١٠ ـ محراب جديد بالجامع الأزهر.
١١ ـ أنشأ باب عظيم للأزهر جهة حارة كتامه، بنى فوقه مكتبا لتعليم الأيتام وسقاية لشرب المارين.
١٢ ـ عمل لنفسه مدفنا بداخل الأزهر.
١٣ ـ رواق للصعايدة به مرافق ومنافع ومطبخ ومخدع وخزاين كتب.
١٤ ـ إنشاء منارة جديدة بالازهر .
١٥ ـ إنشاء بابا جهة باب المطبخ عليه منارة.
١٦ ـ بنى المدرسة الطيبرسية وجعلها مع المدرسة الآقبغاوية من داخل الباب الكبير.
١٧ ـ على يمين المدرسة الطبرسية أقام منارة فوقه مكتب بميضأة لها ساقية مخصوصة.
١٨ ـ جدد رواق المكاوين والتكرورين.
١٩ ـ بنى المشهد الحسينى
٢٠ ـ إنشاء جامعا وصهريجا وحوضا وسقاية ومكتبا عند باب البرقية المعروف بالغريب.
٢١ ـ إنشاء جامعا ومكتب وحوض وميضأة وساقية ومنارة عند كوم الشيخ سلامة قرب الأزبكية.
٢٢ ـ عمر مسجد الإمام الشافعى.
٢٣ ـ إنشاء صهريجا ومقصورة لضريح الإمام زكريا الانصارى عند القبة.
٢٤ ـ عمر المشهد النفيسى ومسجده ، وبنى به صهريجا.
٢٥ ـ عمر مشهد السيدة سكينة بخط الخليفة.



٢٦ ـ عمر مشهد السيدة عائشة.
٢٧ ـ عمر مشهد السيدة رقية.
٢٨ ـ عمر مشهد السيدة فاطمة.
٢٩ ـ عمر جامع حارة عابدين.
٣٠ ـ عمر مشهد ابو السعود الجارحى
٣١ ـ عمر مسجد مشهد شرف الدين الكردى.
٣٢ ـ عمر مسجد الموسكى.
٣٣ ـ عمر المدرسة السيوفية المعروفة بالشيخ مطهر بخط باب الزهومة.
٣٤ ـ عمرالمارستان المنصورى.
٣٥ ـ بنى قناطر طنطا (طندتاء).
٣٦ ـ بنى قنطرة حارة عابدين
٣٧ ـ بنى قنطرة حارة الموسكى.
٣٨ ـ بنى قناطر وجسور ببلاد الحجاز
٣٩ ـ قصره المعروف ٣٩ - باسمه على النيل برلاق ومصر القديمة . والذى هدم بعد ذل.
٤٠ ـ دار سكنة بحارة عابدين . وذلك بخلاف عمائره الأخرى فى الشام وبلاد الروم.

لجراكسة، وهو عبارة عن بابين عظيمين كل باب بمصراعين وعلى يمينهما منارة، وفوقه مكتب أيضا وبداخله على يمين السالك بظاهر الطيبرسية ميضأة، وأنشأ لها ساقية لخصوص إجراء الماء إليها، وبداخل باب الميضأة يصعد منه للمنارة ورواق البغداديين والهنود ، فجاء هذا الباب وما بداخله من الطيبرسية والآقبغاوية والأروقة من أحسن المبانى فى العظم والوجاهة والفخامة وأرخ بعضهم ذلك بهذه الأبيات الركيكة.

تبـــارك الله باب الأزهر انفـــتـــحـــا

وعـــاد أحـــسن مما كـــان وانصلحـــا

(ص١٠٠٩) تقر عينا إذا شاهدت بهجته

بإخـــلاص بانيـــه للعلمـــاء والصلحـــا .

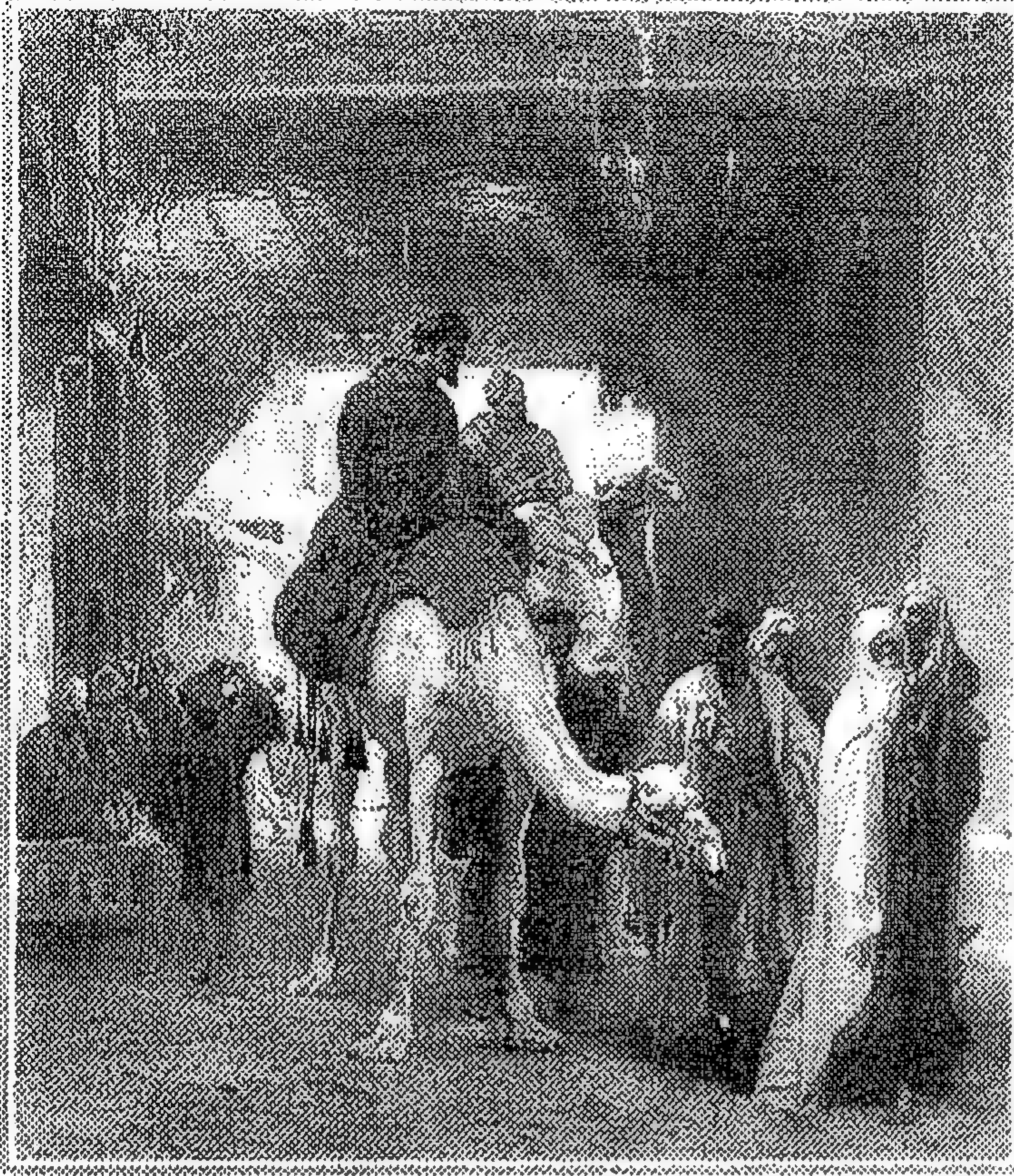
وأدخل عـلـى أدب تـلـق الـهـــداة بـه

قـــد قـرروا حكمـا مـيـزانها جـحـا

بالبـــاب قـــد بدأ الأكـــوان أرخــه

بعـبـد رحـمن باب الأزهر انفـتـحـا

وجددرواقا للمكاويين والتكروريين، وبنى المشهد الحسينى على هذه الصفة وعمل به صهريجا وحنفية بفسحة ولواوين فى غاية الحسن ورتب له تراتيب، وزاد فى مرتبات الأزهر والأخباز ورتب لمطبخه فى خصوص أيام رمضان فى كل يوم خمسة أرادب أرز أبيض وقنطار سمن ورأس جاموس وغير ذلك من التراتيب والزيت والوقود للمطبخ، وأنشى عند باب البرقية المعروف بالغريب جامعا وصهريجا وحوضا وسقاية ومكتبا ورتب فيه تدريسا وكذلك جهة الأزبكية بالقرب من كوم الشيخ سلامة جامع ومكتب وحوض



أحد اسواق القاهرة

وميضأة وساقية ومنارة. وعمر المسجد بجوار ضريح الإمام الشافعى رضى الله عنه فى مكان المدرسة الصلاحية. وعمل عندباب القبة الصهريج والمقصورة الكبيرة التى بها ضريح شيخ الإسلام زكريا الأنصارى فيما بين المسجد ودهليز القبة، وفرش طريق القبة بالرخام الملون يسلك إليه بدهليز طويل متسع، وعليه بوابة (ص١٠١٠) كبيرة من داخل الدهليز البرانى وعلى الدهليز البرانى من كلتا الجهتين بوابتين. وعمر أيضا المشهد النفيسى ومسجده وبنى الصهريج على هذه الهيئة الموجودة، وجعل لزيارة النساء طريقا بخلاف طريق الرجال. وبنى أيضا مشهد السيدة زينب بقناطر السباع، ومشهد السيدة سكينة بخط الخليفة، والمشهد المعروف بالسيدة عائشة بالقرب من باب القرافة والسيدة فاطمة



سوق السجاد بالقاهرة

والسيدة رقية، والجامع والرباط بحارة عابدين ، وكذلك مشهد أبي السعود الجارحي على الصفة التي هو عليها الآن ومسجد شرف الدين الكردى بالحسينية. والمسجد بخط الموسكي وبنى للشيخ الحفنى دار بجوار ذلك المسجد وينفذ إليه من داخل. وعمر المدرسة السيوفية المعروفة بالشيخ مطهر بخط باب الزهومة وبنى لوالدته بها مدفنا. وأنشأ خارج باب القرافة حوضا وسقاية وصهريجا . وجدد المارستان * المنصورى ، وهدم أعلى القبة الكبيرة المنصورية والقبة التي كانت بأعلى الفسحة من خارج ولم يعد عمارتهما بل سقف قبة المدفن فقط وترك الأخرى مكشوفة، ورتب له خيرات وأخبازا زيادة على البقايا القديمة، ولما عزم على ترميمه وعمارته أراد أن يحتاط بجهات وقفه فلم يجد له كتاب وقف ولا دفتر، وكانت كتب أوقافه ودفاتره في

*المارستان : بفتح الراء وكسرها : دار المرضى اى المستشفى.

داخل خزانة الكتب، فاحترقت بما فيها من كتب (ص١٠١١) العلم والمصاحف ونسخ الوقفيات والدفاتر، ووقفه يشتمل على وقف الملك المنصور قلاوون الكبير الأصلى ووقف ولده الملك الناصر محمد ووقف ابن الناصر أبو الفدا إسماعيل، بل وغير ذلك من مرتبات الملوك من أولادهم، ثم إنه وجد دفترا من دفاتر الشطب المستجدة عند بعض المباشرين، وذلك بعد الفحص والتفتيش فاستدل به على بعض الجهات المحتكرة. وللمترجم عماير كثيرة وقناطر وجسور فى بلاد الحجاز حين كان مجاورا هناك. وبنى القناطر بطندتا فى الطريق الموصلة إلى محلة مرحوم * والقنطرة الجديدة الموصلة إلى حارة عابدين من ناحية الخلوتى على الخليج وقنطرة بناحية الموسكى، ورتب للعميان الفقرا الأكسية الصوف المسماة بالزعابيط فيفرق عليهم جملة كثيرة من ذلك عند دخول الشتاء فى كل سنة، فيأتون إلى داره أفواجا فى أيام معلومة ويعودون مسرورين بتلك الكساوى وكذلك المؤذنون يفرق عليهم جملة من الاحرامات الطولونية يرتدون بها وقت التسبيح فى ليالى الشتاء، وكذلك يفرق الحبر* المحلاوى والبز* الصعيدى والملايات * والأخفاف والبوابيج * القيصرلى على النساء الفقيرات والأرامل ويخرج عند بيته فى ليالى رمضان وقت الإفطار عدة من القصاع الكبار المملوءة بالثريد المسقى بمرق اللحم (ص١٠١٢) والسمن للفقراء المجتمعين ويفرق عليهم النقيب هبر* اللحم النضيج فيعطى لكل فقير جعله وحصته فى يده، وعند ما يفرغون من الأكل، يعطى لكل واحد منهم رغيفين ونصفى فضة برسم سحوره إلى غير ذلك. ومن عمايره القصر الكبير

* محلة مرحوم : بلدة من بلاد مركز طنطا (غربية)

* الحبر: بكسر الحاء وفتح الباء جمع حبرة وملاءة سوداء تلبسها نساء مصر إذا خرجن من البيوت جمعها حبرات.

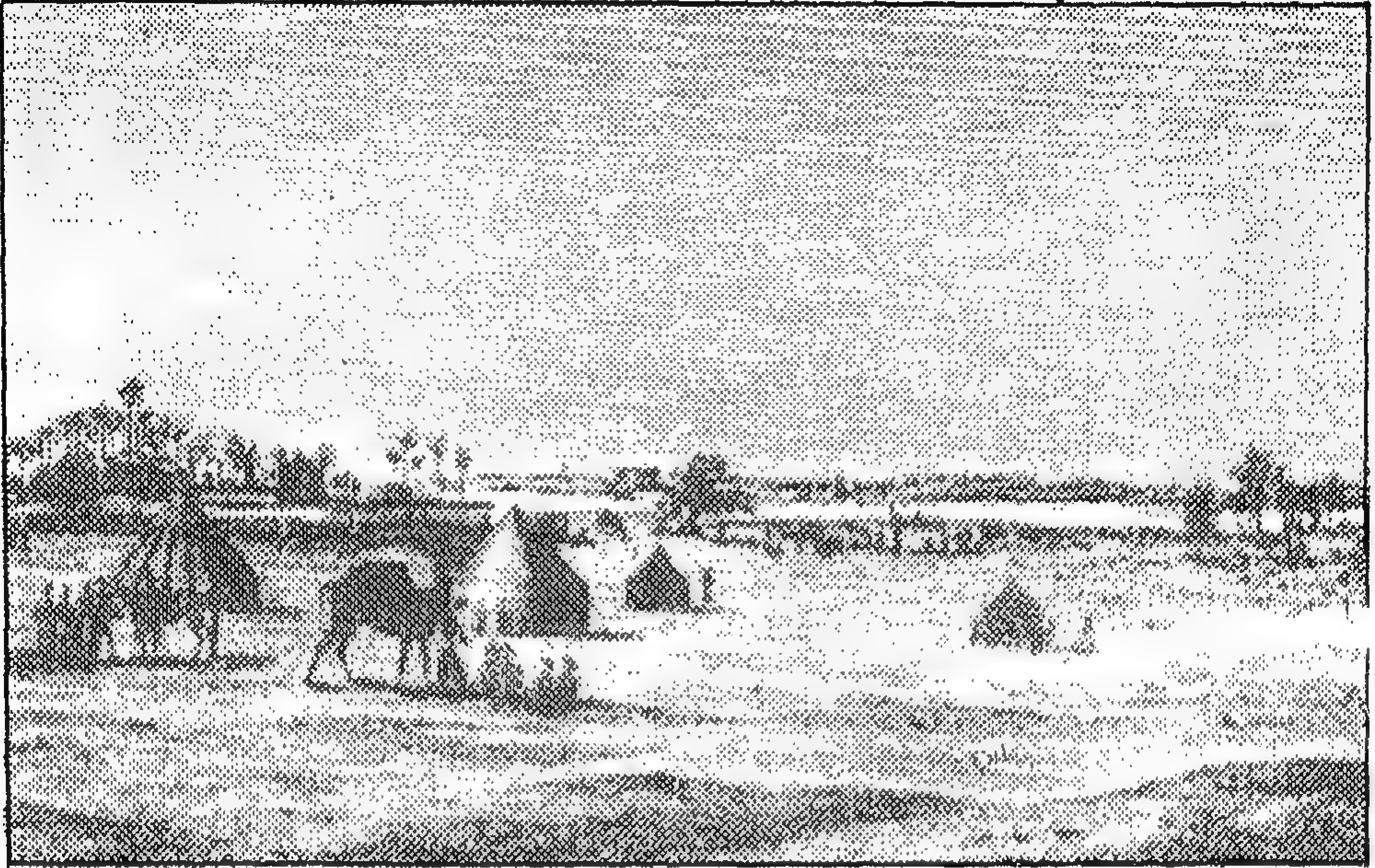
* البز : الثياب من الكتان أو القطن جمعها بزوز.

* البوابيج نوع من الأحذية بفتح الباء مفرده بابوج.

* هبر : مصدر هبر هبرا للحم قطعه قطعا كبارا.

المعروف به بشاطئ النيل فيما بين بولاق ومصر القديمة، وكان قصرا عظيما من الأبنية الملوكية، وقد هدم في سنة خمس ومايتين بيد الشيخ على بن حسن مباشر الوقف، وبيعت أنقاضه وأخشابه، ومات المذكور بعد ذلك بنحو ثلاثة أشهر. ومن عمايره أيضا دار سكنه بحارة عابدين وكان من الدور العظيمة المحكمة الوضع والإتقان لا يماثلها دار بمصر في حسنها زخرفة مجالسها وما بها من النقوش والرخام والقيشاني والذهب المموه واللزورد* وأنواع الأصباغ وبديع الصنعة والتأنق والبهجة، وغرس بها بستانا بديعا بداخله قاعة متسعة مربعة الأركان بوسطها فسقية مفروشة بالرخام البديع الصنعة وأركانها مركبة على أعمدة من الرخام ، وغير ذلك من العمارات حتى اشتهر ذكره بذلك وسمي بصاحب الخيرات والعماير في مصر والشام والروم، وعدة المساجد التي أنشأها وجددها وأقيمت فيها الخطبة والجمعة والجماعة ثمانية عشر مسجدا، وذلك خلاف الزوايا والأسبلة والسقايات والمكاتب والأحواض والقناطر والمربوط للنساء الفقيرات (ص١٠١٣) والمنقطعات ، وكان له في هندسة الأبنية وحسن وضع العماير ملكة يقتدر بها على ما يرومه من الوضع من غير مباشرة ولا مشاهدة، ولو لم يكن له من المآثر إلا ما أنشأه بالجامع الأزهر من الزيادة التي تقصر عنها همم الملوك لكفاه ذلك، وأيضا المشهد الحسيني ومسجده والزينبي والنفيسي، وضم لوقفه ثلاث قرى من بلاد الارز بناحية رشيد وهي تفينة وديبي وحصة كتامة، وجعل إيرادها وما يتحصل من غلة أرزها لمصارف الخيرات وطعام الفقراء والمنقطعين، وزاد في طعام المجاورين بالأزهر ومطبخهم الهريسة في يومي الاثنين والخميس، وقد تعطل

* اللازورد : بضم الزاي وفتحها وسكون الراء : معدن يتخذ للحلى ، وأجوده الصافي الشفاف الأزرق



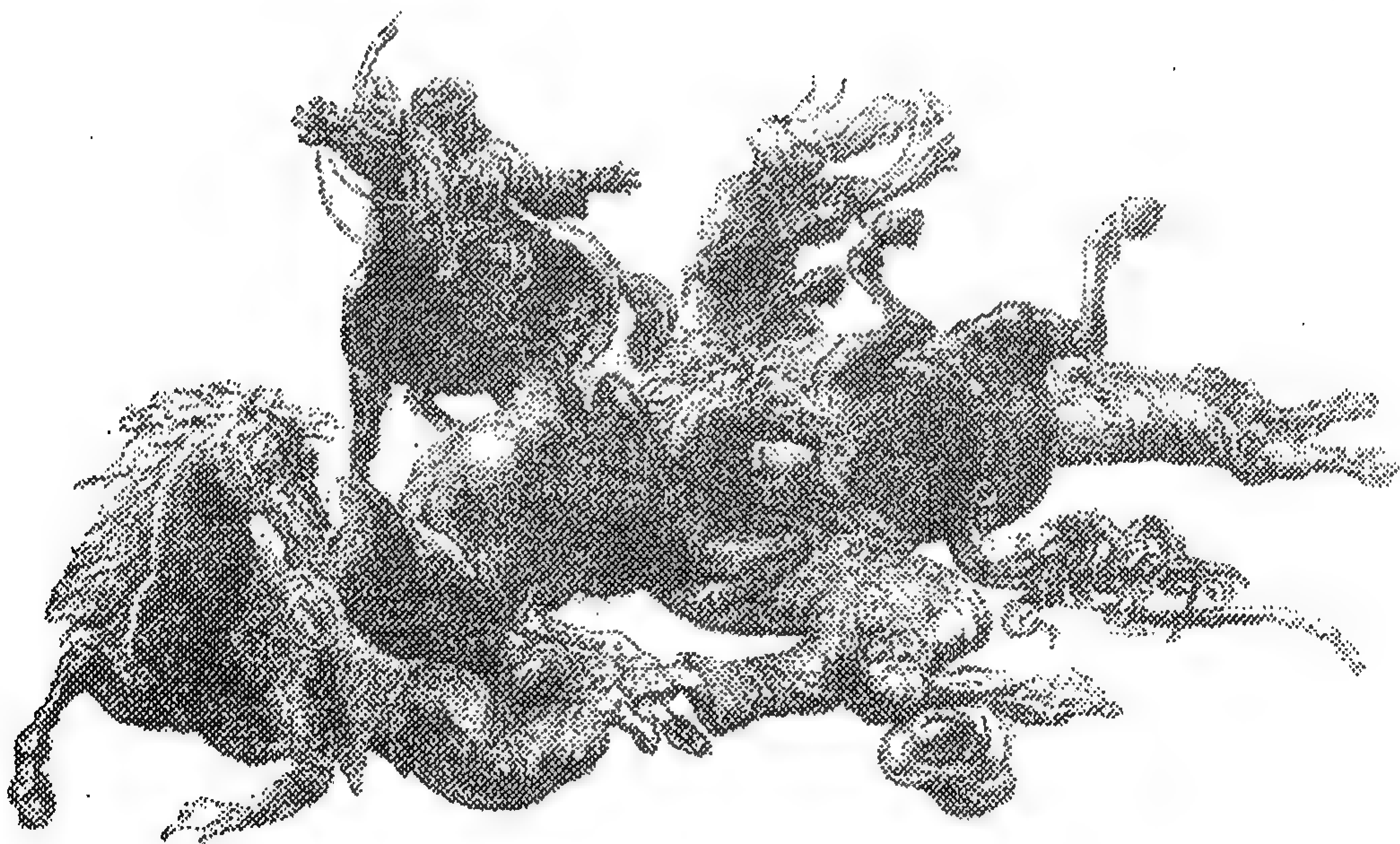
▲ بركة الحاج قرب العادلية.

غـالب ذلك في هذا التـاريخ الذى نحن فـيـه لغـاية سنة عشرين مايتين وألف بسبب استيلاء الخراب وتوالى المحن وتعطل الأسباب. ولم يزل هذا شأنه إلى أن استفحل أمر على بك وأخرجه منفيا إلى الحجاز، وذلك في أوايل شهر القعدة سنة ثمان وسبعين ومابة وألف، فأقام بالحجاز اثنتى عشرة سنة، فلما سافر يوسف بك أميرا بالحاج في السنة الماضية صمم على إحضاره صحبته إلى مصر فأحضره في تختروان، وذلك في سابع شهر صفر سنة تسعين ومابة وألف، وقد استولى عليه العى والهرم وكرب الغربة، فدخل إلى بيته مريضا فأقام أحد عشر يوما ومات، فغسلوه وكفنوه وخرجوا بجنازته في مشهد حافل حضره (ص١٠١٤) العلما والأمرا والتجار ومؤذنو المساجد وأولاد المكاتب التى أنشاها ورتب لهم فيها الكساوى والمعاليم في كل سنة،

وصلوا عليه بالأزهر ودفن بمدفنه الذى أعده لنفسه بالأزهر عند الباب القبلى، ولم يخلف بعده مثله، رحمه الله، من مساويه قبول الرشا والتحيل على مصادرة بعض الأغنيا فى أموالهم، واقتدى به فى ذلك غيره، حتى صارت سنة مقررة وطريقة مسلوكة ليست منكرة وكذلك المصالحة على تركات الأغنياد التى لها وارث ومن سيئاته* العظيمة التى طار شررها وتضاعف ضررها وعم الإقليم خرابها وتعدى إلى جميع الدنيا هبابها، معاضدته لعلى بك ليقوى به على أرباب الرياسة، فلم يزل يلقى بينهم الفتن ويغرى بعضهم على بعض ويسلط عليهم على بك المذكور، حتى أضعف شوكات الأقويا وأكد العداوة بين الأصفيا، واشتد ساعد على بك.، فعند ذلك التفت إليه وكلب بنابه عليه وأخرجه من مصر وأبعده عن وطنه، فلم يجد عند ذلك من يدافع عنه ، وأقام هذه المدة فى مكة غريبا وحيدا، وأخرج أيضا فى اليوم الذى أخرجه فيه نيفا وعشرين أميرا من الاختيارية كما تقدم، فعند ذلك خلا لعلى بك وخشداشينه الجو فباضوا وأفرخوا وامتد شرهم إلى الآن الذى نحن فيه كما سيتلى عليك بعضه، فهو الذى كان السبب بتقدير الله تعالى فى ظهور أمرهم، (ص١٠١٥) فلو لم يكن له من المساوى إلا هذه لكفاه، ولما رجع من الحجاز متمرضا ذهب إليه ابراهيم بك ومراد بك وباقى خشداشينهم ليعودوه ولم يكن رآهم قبل ذلك، فكان من وصيته لهم: كونوا مع بعضكم واضبطوا أمركم ولا تدخلوا الأعادى بينكم، وهذا بدل عن قوله أوصيكم بتقوى الله تعالى وتجنبوا الظلم وافعلوا الخير، فإن الدنيا زايلة وانظروا حالى ومآلى أو نحو ذلك، هكذا أخبرنى من كان حاضرا فى ذلك الوقت، وكان سليط

* موقف الجبرتى من حركة على بك الكبير.

اللسان ويتصنع الحماقة، فغفر الله لناوله، رأيته مرة وأنا إذ ذاك فى سن التمييز قبل أن ينفى إلى الحجاز وهو ماش فى جنازة مربوع القامة أبيض اللون مسترسل اللحية ويغلب عليها البياض مترفها فى ملبسه معجبا بنفسه يشار إليه بالبنان.



▲ سقوط علي بك الكبير في معركة الصالحية

(سنة إحدى وتسعين ومائة وألف) [١٧٧٧م]

١١٩١ هـ.
١٤٩٣ ق.
١٧٧٧ م.
غاية الفيضان ١٢ قيراط/ ٢٢ ذراع

فيها في أوايل ربيع الأول ورد أغا من الديار الرومية بطلب عساكر لسفر العجم فاجتمع الأمرا وتشاوروا في ذلك، فاتفق رأيهم على إحضار ابراهيم بك طنان فأحضروه من المحلة وقلدوه إمارة ذلك.

وفيها في أوايل شهر جمادى الأولى وقعت حادثة في طايفة المغاربة المجاورين بالجامع الأزهر، وذلك أنه آل إليهم مكان موقوف، وجحد واضع اليد ذلك والتجا إلى بعض الأمرا وكتبوا فتوى في شأن ذلك، واختلفوا في ثبوت الوقف (ص١٠١٦) بالإشاعة، ثم أقاموا الدعوى في المحكمة وثبت الحق للمغاربة، ووقع بينهم منازعات، وعزلوا شيخهم، وولوا آخر، وكان المندفع في الخصومة واللسانة شيخا منهم يسمى الشيخ عباس، والأمير الملتجى إليه الخصم يوسف بك، فلما ترافعوا وظهر الحق على خلاف غرض الأمير، حنق لذلك ونسبهم إلى ارتكاب الباطل، فأرسل من طرفه من يقبض على الشيخ عباس المذكور من بين المجاورين، فطردوا المعينين وشتموهم وأخبروا الشيخ أحمد الدردير، فكتب مراسلة إلى يوسف بك تتضمن عدم تعرضه لأهل العلم، ومعاندة الحكم الشرعي، وأرسلها صحبة الشيخ عبد الرحمن الفرنوى وآخر. فعندما وصلوا إليه وأعطوه التذكرة، نهرهم وأمر بالقبض عليهم وسجنهم بالحبس، ووصل الخبر إلى الشيخ الدردير وأهل الجامع فاجتمعوا في صبحها وأبطلوا الدروس والآذان والصلوت وقفلوا أبواب الجامع

□ في ٢و٣ جماد اول ثارت المغاربة بالأزهر، وقفلت العلماء أبواب الجامع وأغلقت الدكاكين والاسواق وحصلت مقتلة جرح فيها كثير من اتباع الاغوات وقتل فيها ثلاثة من المغاربة ، وذلك بسبب تعضيد يوسف بك الجحف بحق المغاربة في وقف ال لهم ولانتهاره العلماء. وفي ٦ منه سكن اسماعيل بك الفتنة، وكان منتصرا لأهل الأزهر

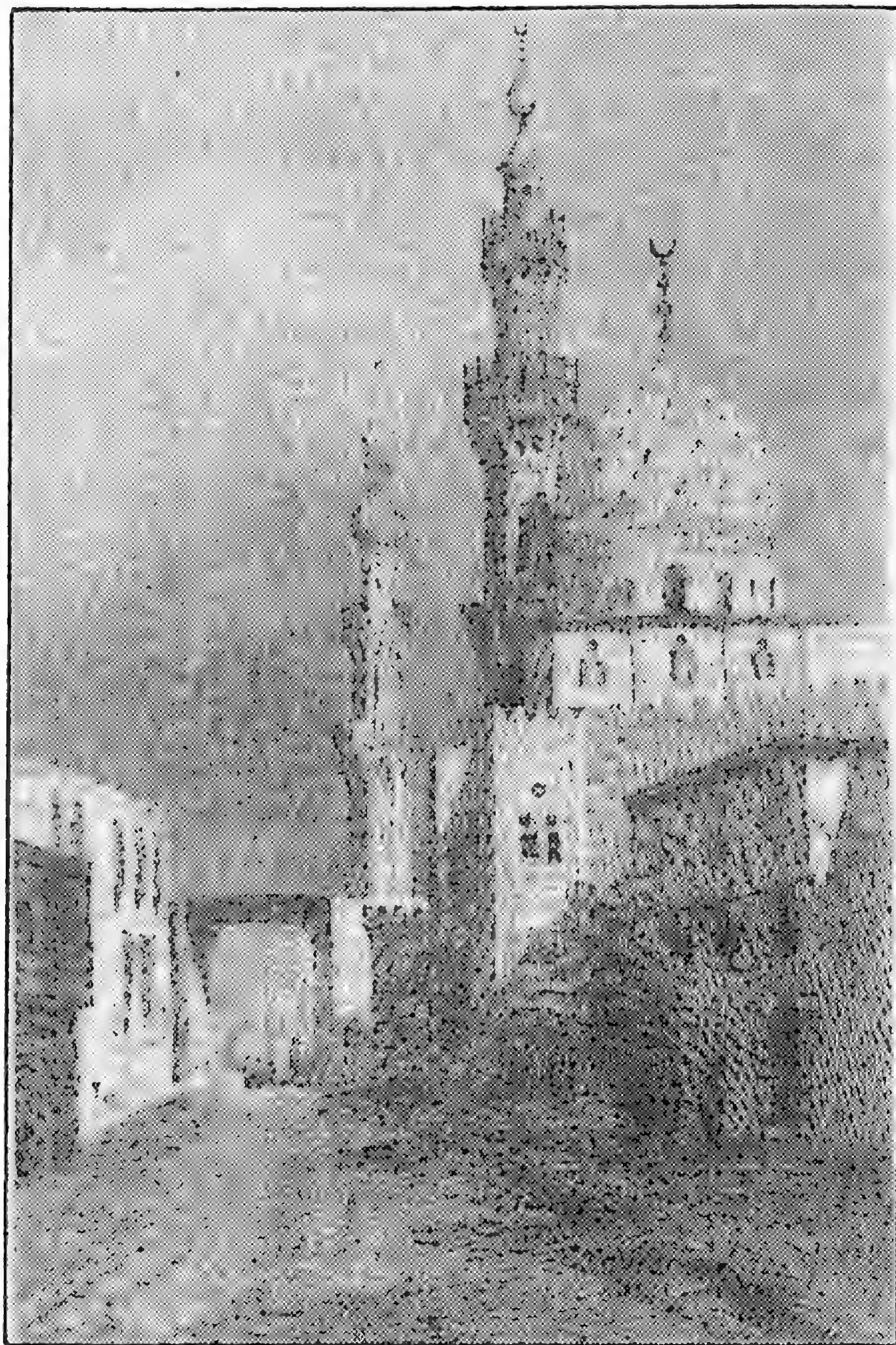
□ وفي ١٤ جمادى الثانية تآمر مراد بك وجماعته على قتل اسماعيل بك فخرج الى جهة العادلية ، فتملك ابراهيم بك ومراد بك القلعة في ٢١ جمادى الثانية.

□ وفي ١٨ منه قامت تجريدة تحت إمرة اسماعيل بك الصغير، وفي ٢١ رجب تقابلت التجريدة مع الامرا القبالي فكانت الهزيمة على التجريدة فتحصن اسماعيل بك في متاريس برية بين حلوان والتبين فانتصر على القبالي بعد معركة شديدة رجعت على أثرها القبالي إلى الصعيد، ودخل اسماعيل بك منتصرا في شعبان .

□ ١ توت ١٤٩٤ = ٩ سبتمبر ١٧٧٧ = الثلاث ٦ شعبان سنة ١١٩١.

□ ١ يناير ١٧٧٨ = ٢٥ كيهك ١٤٩٤ = الخميس ٢ ذو الحجة سنة ١١٩١.

وجلس المشايخ بالقبلة القديمة، وطلع الصغار على المنارات يكثرون الصياح والدعاء على الامرا، وأغلق أهل الأسواق القريبة الحوانيت وبلغ الامرا ذلك فأرسلوا إلى يوسف بك فأطلق المسجونين ، وأرسل ابراهيم بك من طرفه ابراهيم أغا بيت المال فلم يأخذ جوابا، وحضر الأغا إلى الغورية ونزل هناك ونادى بالأمان وأمر بفتح الحوانيت، فبلغ مجاورى المغاربة ذلك، فذهب إليه (ص١٠١٧) طايفة منهم وتبعهم بعض العوام وبأيديهم العصي والمساوق وضربوا أتباع الأغا ورجموه بالأحجار، فركب عليهم وأشهر فيهم السلاح هو ومماليكه، فقتل من مجاورى المغاربة ثلاثة أنفار وانجرح منهم كذلك ومن العامة، وذهب الأغا ورجع الفريق الآخر، وبقى الهرج إلى ثانى يوم، فحضروا اسماعيل بك والشيخ السادات وعلى أغا كتخدا الجاويشية وحسن أغا أغات المتفرقة والترجمان وحسن أفندى كاتب حواله وغيرهم، فنزلوا الأشرفية وأرسلوا إلى أهل الجامع تذكرة بانفضاض الجمع وتمام المطلوب، وكان ذلك عند الغروب فلم يرضوا بمجرد الوعد وطلبوا الجامكية والجراية فركبوا ورجعوا ، وأصبح يوم الاربعا والحال على ما هو عليه واسماعيل بك مظهر الاهتمام لنصرة أهل الأزهر فحضر مع الشيخ السادات وجلسوا بالجامع المؤيدى وأرسلوا للمشايخ تذكرة صحبة الشيخ ابراهيم السندوبى ملخصها أن اسماعيل بك تكفل بقضا اشغال المشايخ وقضا حوايجهم وقبول فتواهم وصرف جماكيهم وجراياتهم وذلك بضمان الشيخ السادات له، فلما حضر الشيخ ابراهيم بالتذكرة وقراها الشيخ عبد الرحمن العريشى جهارا وهو قايم على اقدامه ، فلما سمعوها اكثروا من الهرج واللغط وقالوا هذا كلام لا أصل

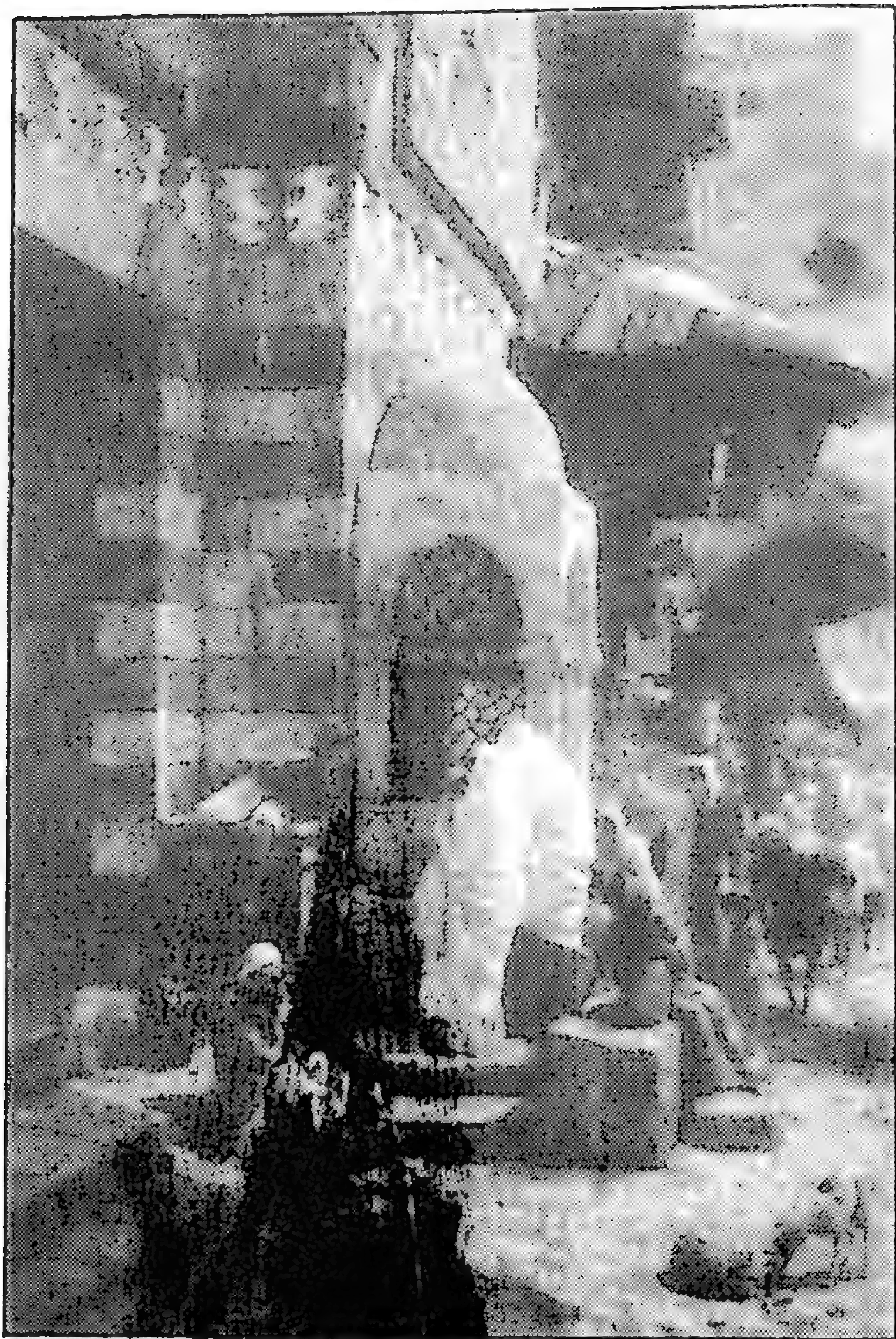


جامعي الاميرين يوسف بك وإبراهيم أغا. ▲

له وترددت الارساليات والذهاب والجى بطول النهار، ثم اصطلحوا (ص١٠١٨) وفتحوا الجامع فى آخر النهار، وأرسلوا لهم فى يوم الخميس جانبا من دراهم الجامكية ومن جملة ما اشترطوه فى الصلح عدم مرور الأغا والوالى والمحتسب من حارة الازهر وغير ذلك شروط لم ينفذ منها شى، وعمل ابراهيم بك ناظرا على الجامع عوضا عن الاغا وارسل من طرفه جنديا للمطبخ وسكن الاضطراب، وبعد مضى اربعة ايام من هذه الحادثة مر الاغا وبعده الوالى كذلك فارسل المشايخ الى ابراهيم بك يخبروه فقال ان الطريق يمر بها البر والفاجر ولا يستغنى الحكام عن المرور.
وفى اوايله ايضا احضر مراد بك شخصا يقال له سليمان كاشف من اتباع يوسف بك وضربه علقة بالنبابيت لسبب من الاسباب فحقدها عليه يوسف بك واستوحش من طرفه.

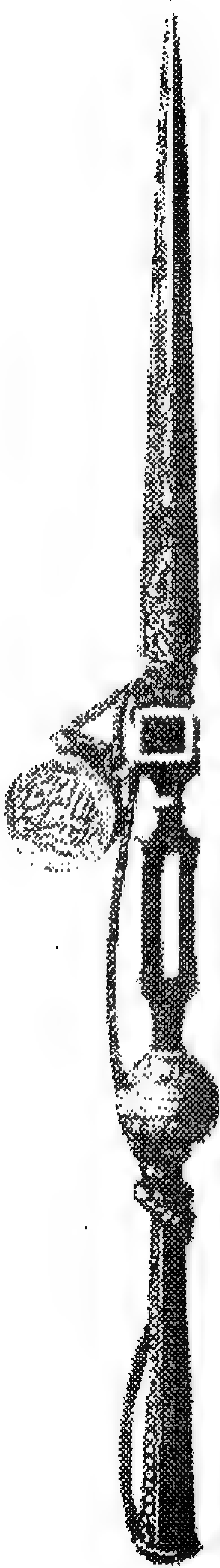
وفى ثانى عشر جمادى الثانية قبض الاغا على انسان شريف من اولاد البلد يسمى حسن المدابغى وضربه حتى مات، وسبب ذلك انه كان فى جملة من خرج على الاغا بالغورية يوم فتنة الجامع،وكان إنسانا لا بأس به.

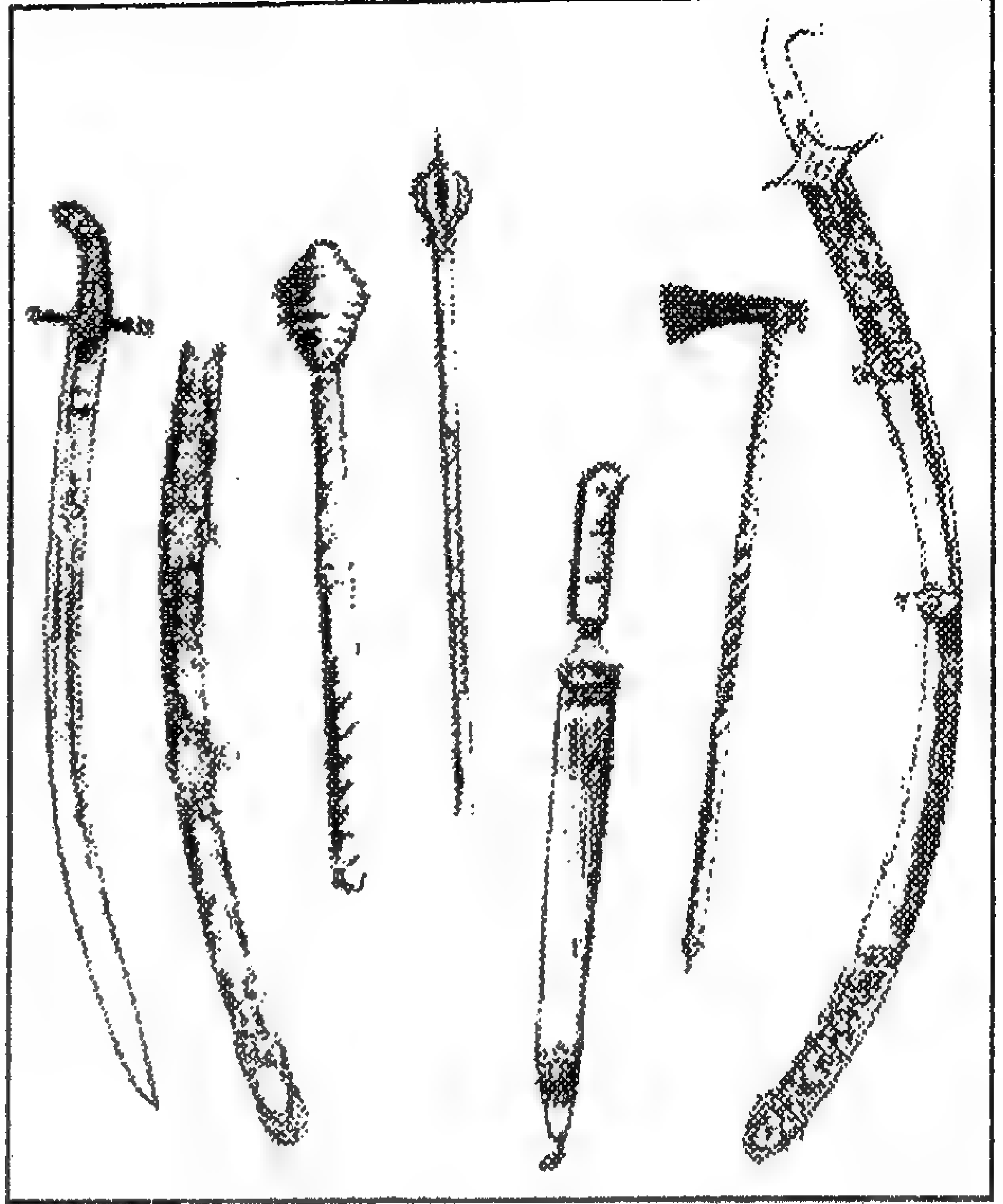
وفى ليلة الجمعة رابع عشر جمادى الثانية خرج اسماعيل بك جهة العادلية مغضبا، وسبب ذلك أن مراد بك زاد فى العسف والتعدى خصوصا فى طرف اسماعيل بك وإبراهيم بك يسعى بينهما فى الصلح، واجتمعوا فى آخر مجلس عند ابراهيم بك فتكلم اسماعيل بك كلاما (ص١٠١٩) مفحما وقال أنا تارك لكم مصر وإمارتها وجاعلكم مثل أولادى ولا أريد إلا المعيشة وراحة السر وأنتم لا تراعون لى



*خلافات ومعارك بين اسماعيل بك ومراد بك

حقا وأمثال ذلك من الكلام، فحضر فى هذه الأيام إلى اسماعيل بك مركب غلال، فأرسل مراد بك* وأخذ ما فيها، وعلم أن إسماعيل بك يغتاظ لذلك، ثم اتفق مع بعض أغراضه أنهم يركبون من الغد إلى اسماعيل بك ويدخلون عليه فى بيته ويقتلونه، فعلم اسماعيل بك بذلك، فركب فى الصباح وخرج إلى العادلية بعد أن عزل بيته وحريمه ليلا، وجلس بالأشبكية وركب مراد بك ذاهبا إلى اسماعيل بك فوجده قد خرج إلى الأشبكية، وكان إبراهيم بك طلع إلى قصر العينى، فذهب إلى مراد بك، ولما أشيع خروج إسماعيل بك ركب يوسف بك وخرج إليه وتبعه محمد بك طبل وحسن بك وإبراهيم بك طنان وذو الفقار بك وغيرهم، ووصل الخبر إلى إبراهيم بك ومراد بك ومن انضم إليهم، فركبوا وحضروا إلى القلعة وملكوا الأبواب وامتلأت الرميلة والميدان بعساكرهم وصحبتهم أحمد بك الكلارجى ولاجين بك وأيوب بك ومصطفى بك، واضطربت المدينة وأغلق الناس الدكاكين، واستمروا على ذلك يوم السبت ويوم الأحد ويوم الاثنين ويوم الثلاثا وتسحب من أهل القلعة جماعة خرجوا إلى اسماعيل بك ويوسف بك (ص١٠٢٠) ومن معهما وهم إسماعيل أغا أخو على بك الغزاوى وأخو سليم أغا وعبد الرحمن أغا أغات الينكجرية سابقا، فأرسل أهل القلعة إبراهيم أغا الوالى فجلس بباب النصر وأغلق الباب ونزل الباشا إلى باب العزب، فحضر قاسم كتخدا عزبان أمين البحرين وعبد الرحمن أغا وصحبتهم جماعة إلى باب النصر وفتحوا الباب وطردوا الوالى، وذلك فى يوم الاثنين، وملكوا باب النصر، فأرسلوا إليهم طايفة من عسكر المغاربة فضربوا عليهم


رأس حربة


أسلحة: سيوف، خناجر، مقامع، بلطة.

بالرصاص وحمل عليهم الآخرون فشتتوهم ورجعوا إلى خلف، وقتل من المغاربة أنفار والجرح منهم كذلك وانتشر البرانيون حوالى جهات مصر وذهب منهم طايفة إلى جهة بولاق وفيهم محمد بك طبل فوجدوا طايفة من الكشاف والأجناد حضروا إلى بولاق لأجل العليق والتبن، فوقعت بينهم وقعة فانهزموا إلى قصر عبد الرحمن كتخدا، وأخذ أوليك العليق والتبن وطلع منهم طايفة إلى الجبل واشتد الحال وعظمت الفتنة، فأراد الباشا إجراء الصلح فأرسل أيوب أغا ورجع بجواب عدم رضاهم بالصلح، وقالوا «قد تخاصمنا واصطلحنا مرارا» ثم أرسل إليهم أحمد جاويش المجنون فذهب ولم يرجع والتف عليهم، فأرسل الباشا ولده وكتخداه سعيد بك مرارا ثم دخل يوم الأربعا عبد الرحمن أغا من باب النصر، وشق من وسط المدينة وأمامه المنادى



▲ فارس يستخدم الطبنجة (الغدارة)

ينادى على الناس برفع بضـــايعـــهم من (ص١٠٢١) الحوانيت، فرفع الناس بواقى بضايعهم من الدكاكين، ولم يزل سـايرا حتى وصل إلى باب زويلة ونزل بجامع المؤيد وجلس به مقدار ساعتين ورتب عسكرا هناك على السقايف والأسبلة، ثم ركب راجعا وعاد صحبته إبراهيم بك الطنانى، ومعهم عدة أجناد عساكر وخرجوا من باب زويلة إلى الدرب الأحمر إلى جامع المردانى فجلسوا عنده إلى بعد الظهر ثم زحفوا إلى التبانة إلى قرب المحجر، وعملوا هناك متاريس ورتبوا بها جماعة، وكذلك ناحية سويقة العزى فنزل إليهم جماعة من القلعة وتراموا بالرصاص وقطعوا الطرق على من بالقلعة إلى بعد العصر، فنزل إليهم خيالة مدرعين فحمل عليهم عسكر المغاربة فوقع منهم أربعة خيالة وانجرح لاجين بك فحملوه إلى بيته فى شنف، وقتل أنفار من عسكر

* معارك بين العسكر العثمنلى والمغاربة.

المغاربة وولى القلعاوية إلى جهة القلعة، وبعد الغروب انفصل عنهم عسكر المغاربة ونكسوا أعلامهم وحضروا عند أجناسهم، والتفوا عليهم ولاحت لوايح الخذلان على من بالقلعة ، ودخل عليهم الليل وانكف الفريقان، وأصبح يوم الخميس فدخل الكثير من البرانيين إلى المدينة شيا فشيا وربطوا فى جميع الجهات حتى انحصروا بالقلعة ، وأخذوا ينقبون عليهم فلما شاهدوا الغلب فيهم نزلوا من باب الميدان وذهبوا جهة البساتين إلى الصعيد* (ص١٠٢٢) فتخلف عنهم أحمد بك الكلارجى وأيوب بك وإبراهيم بك أوده باشه ولاجين بك مجروح ، وخرج المتخلفون إلى اسماعيل بك ويوسف بك وطلبوا منهما الآمان وانضموا إليهم، وعندما أشيع نزول إبراهيم بك ومراد بك من القلعة، هجم المرابطون بالمحجر وسوق السلاح على الرميلة ونهبوا خيامهم وعازقهم الذى بها وبالميدان حتى جمال الباشا وخيول الدلاة، وذلك يوم الخميس قبل العصر بنصف ساعة، فدخل اسماعيل بك بعد العصر من ذلك اليوم من باب النصر وتوجهوا إلى بيوتهم، وأصبح يوم الجمعة فشق عبد الرحمن أغا ونادى بالأمان والبيع والشراء وراق الحال.

* هروب مراد بك وابراهيم بك للصعيد

ولما كان يوم الأحد ثانى عشرين جمادى الثانية طلعوا إلى الديوان فخلع الباشا على اسماعيل بك خلعتى سمور، واستقر اسماعيل بك شيخ البلاد ومدبر الدولة، وقلدوا حسن بك الجداوى صنجقا كما كان، وكانت الصنجقية مرفوعة عنه من موت سيده على بك، وكذلك رضوان بك قرابة على بك قلدوه صنجقية وقلدوا إسماعيل* أغا أخا على بك الغزاوى صنجقية أيضا، وسكن بيت ابراهيم بك الكبير وقلدوا سليمان كاشف من أتباع يوسف بك وهو الذى كان ضربه علقة مراد بك بالنبوت كما تقدم صنجقية (ص١٠٢٣) ولقبه الناس أبانبوت ، وقلدوا أيضا سليم

* انفراد اسماعيل بك بالسلطة.

كاشف من أتباع إسماعيل بك صنجقية وقلدوا عبد الرحمن أغا أغاوية مستحفظان كما كان، ومحمد كاشف والي الشرطة، وفي عشية ذلك اليوم أنزلوا سليمان أغا مستحفظان إلى بولاق وأنزلوه في مركب منفيا إلى دمياط بعدما صودر في نحو أربعين ألف ريال .

وفي يوم الثلاثاء خامس عشرينه أنزلوا أيضا سليمان كتخدا مستحفظان وعثمان كتخدا باش اختيار مستحفظان المعروف بأبي مساوق، والأمير عبد الله أغا وأنزلوهم إلى المراكب، ثم حصل عنهم العفو فردوهم إلى بيوتهم.

وفي ذلك اليوم طلعوا إلى الديوان فقلدوا ذا الفقار بك دفتردار عوضا عن رضوان بك بلفيا، وذلك بإشارة يوسف بك لكونه كان مع مراد بك وإبراهيم بك، حتى إنه أراد أن يسلب نعمته، فمنعه عنه إسماعيل بك.

وفي يوم الأربعاء ثاني شهر رجب حضر عند يوسف بك حسن بك الجداوي وصحبته اسماعيل بك الصغير وهو أخو علي بك الغزاوي وسليم بك الإسماعيلي وعبد الرحمن بك العلوي، فجلسوا معه ساعة لطيفة بالمقعد المطل على البركة، فجلس حسن بيك أمامه وكان جالسا على الدكة المرتفعة عن المرتبة وجلس تحت شماله (ص١٠٢٤) على المرتبة إسماعيل بك الصغير وسليم بك، وعبد الرحمن بك استمر واقفا حادثوه في شيء وتناجوا مع بعضهم وتأخر عنهم الواقفون من المماليك والأجناد فسحب عبد الرحمن بك النمشاة * وضرب بها يوسف بك فأراد أن يهم قائما، فداس على ملوطة* اسماعيل بك فوقع على ظهره، فنزلوا عليه بالسيوف وضربوا في وجوه الواقفين طلق بارود فهربوا إلى خلف، ونزل الضاربون من القيطون* وركبوا وذهبوا إلى

*النمشاة : السيف فيه شطب.

*ملوطه: أي طرف سلاحه.

* القيطون: المخدع الذي يسكنه الحشم الاحرار، ويجمع على «قيطن»

إسـمـاعـيل بك فـركب فى تلك السـاعـة وطلع إلى القلعـة وأرسل اسماعيل كتخدا عزبان إلى الباشا وكان بقصر العينى بقصد التنزه، فركب من هناك وطلع إلى القلعة وجلس بباب العـزب صـحـبـة إسـمـاعـيل بك، فلـمـا بلغ الأمـر الذين هم خشداشين يوسف بك فركبوا وخرجوا من المدينة وذهبوا إلى قبلى، وهم أحمد بك الكلارجى وذو الفقار بك ورضوان بك الجرجاوى، فركب خلفهم طايفة فلم يدركوهم، وأرسلوا إلى محـمـد بك طبل فكرنك فى بيته ونصب له مدافع وأبى من الخروج لأنه صار من المذبذبين، فلما وقع منه ذلك ذهب إليه حسن بك سوق السلاح وأخذه بالأمان إلى اسـمـاعـيل بك بعـد مـا نزل إلى بيـتـه، فـأمره أن يأخـذه عنده فلمـا أصبح استأذنه فى زيارة الإمام الشافعى فأذن له فـركب إلى جهـة القـرافـة وذهب إلى (ص١٠٢٥) جـهـة الـصـعـيـد وانقـضـت الفتنة، ودفن يوسف بك.

وفى يوم الخـمـيس ، طلعـوا إلى الديوان فـخلع البـاشا على اسـمـاعـيل* بك الكبير فروة سمور وأقره على مشيخة البلد وقلدوا حسن بك قصبة رضوان إمارة الحج عوضا عن يوسف بك وقلدوا عبد الرحمن العلوى صنجقا كـمـا كـان وقلدوا ابراهيم أغا خازندار اسماعيل بك الذى زوجه ابنته صنجقية ، وتلقب بإبراهيم بك قشطة وسكن ببيت محـمـد بك وقلدوا حسين أغـا خازندار اسـمـاعـيل بك سـابقـا صنجـقـيـة أيضـا، وسكن ببيت أحـمـد بيك الكلارجى وقلدوا كـاشـفين ايضـا لاسماعيل بك يسـمى كل واحد منهـمـا بعثمـان صنجـقين وسكن أحدهما ببيت مصطفى بك الذى كان سكن محمد بك طبل وهو على بركة الفيل حيث جامع أزبك اليـوسـفى وهو الذى يسمى بعثمان بك طبل وعثمان الثانى وهو الذى لقب بقفا التور، وسكن ببيت ذى الفقار المقابل لبيت بلفيا، وقلدوا على أغا جوخدار اسماعيل بك صنجقية أيضا وسكن

* اسماعيل بك يتولى مشيخة البلد.

ببيت مراد بك عند الكبش وهو بيت صالح بك الكبير، وكان يسكنه سليمان بك أبو نبوت اليوسفى، وأما بيت يوسف بك فسكن به سليم بك وقلدوا يوسف أغا من أتباع اسماعيل بك واليا، ونفوا أيوب بك وسليمان بك إلى المنصورة.

* وفاء النيل ٤ مسرى القبطى.

وفى صبحها يوم الجمعة رابع شهر الفرد الموافق لرابع مسرى القبطى (ص١٠٢٦) نودى بوفاء النيل ونزل الباشا صبح يوم السبت وكسر السد على العادة وجرى الماء فى الخليج وعاد الباشا إلى القلعة.

وفى سابعه اتفقوا على إرسال تجريدة إلى الصعيد وسر عسكرها اسماعيل بك * الصغير، وعينوا للتوجه صحبته حسن بك الجداوى وإبراهيم بك الطنانى وسليم بك الطنانى وسليم بك الاسماعيلى وابراهيم بك أوده باشا وحسن بك الشرقاوى المعروف بسوق السلاح، وقاسم كتخدا عزبان وعلى أغا المعمار وكان غايبا بالمنية فلما قبل [ذهبوا للوجه القبلى] فتخلص وترك أحواله وغلاله وحضر إلى مصر وصحبته طايفة من الهوارة والعربان، فلما حضر أرادوا أن يقلدوه صنجقية فامتنع من ذلك، وشرعوا فى تشهيل التجريدة وطلبوا طلبا عظيما وصرف الباشا ألف كيس من الخزينة لنفقة العسكر وخلعوا على الهوارة ومشايخ العربان ووعدوهم بالخير.

* اسماعيل بك يطارد الامراء المماليك بالصعيد

وفيه جاءت الأخبار بأن على بك السروجى ساق خلف محمد بك طبل فلحقه عند مكان تجاه البدرشين واحتاط به العربان وقتلوا مماليكه وشرد من نجا منهم وتفرق ونهبوا ما معه وعروه وسلموه لكاشف هناك من أتباع اسماعيل بك فوقع فى عرضه وعرض مشايخ البلد فألبسوه حوايج وهربوه وصحبته اثنان من الأجناد، فلما حضر على بك السروجى أخبره العرب بما حصل، فأخذ ذلك الكاشف وحضر صحبته إلى اسماعيل

بك فضرب الكاشف علقة ونفاه(ص١٠٢٧).
وفيه ورد الخبر أيضا عن ذى الفقار بك بأن العرب عروه أيضا فهرب فلحقوه وأرادوا قتله فألقى نفسه فى البحر بفرسه وغرق ومات.

وفى يوم الاثنين رابع عشر رجب برزت عساكر التجريدة إلى جهة البساتين وفى يوم الخميس خرج أيضا غالب الأمراء وبرزوا خيامهم.
وفى يوم الجمعة ثامن عشر رجب سافرت التجريدة برا وبحرا، وفى يوم السبت سادس عشرين رجب وصلت الأخبار بأن التجريدة تلاقت مع الأمرا القبالى ووقع بينهم معركة قوية، فكانت الهزيمة على التجريدة، فلما وصلت هذه الأخبار اضطرب اسماعيل بك وتخبل عزله وكذلك أمراؤه، ودخل الأجناد مشتتين مهزومين وكانت الوقعة يوم الجمعة فى بياضة من أعمال الشرق [شرق النيل]، فكبسوهم على حين غفلة وقت الفجر، فركب على أغا المعمار وقاسم كتخدا عزبان وإبراهيم بك طنان فحاربوا جهدهم، فأصيب على أغا وقاسم كتخدا ووقعت خيولهما، وذلك بعد أن ساق على أغا وصحبته رضوان أغا طنان وقصد مراد بك وضربه رضوان فى وجهه بالسيف، فلحقه خليل بك كوسه الابراهيمى وضرب على اغا بالقرابينة فأصابته فى عنقه ووقع فرسه وسقط ميتا، فلما قتل هذان الأميران ولى ابراهيم بك طنان، فانهزم بقية الأمرا لأنه لم يكن فيهم أشجع من هولا الثلاثة، وباقيهم ليس له دربة فى الحرب وسر عسكر مقصوب* ومريض. واحتاط الأمراء القبليون بخيامهم وحملاتهم ومراكبم (ص١٠٢٨) بما فيها وكانت نيفا وخمسماية مركب، وكان كبير العسكر فى قنجة صغيرة فلما عاين الكسرة أسرع فى الانحدار، وكذلك بعض الأمرا انحدروا معه وباقيهم وصلوا البر على

* مقصوب: ماسور.

هيئة شنيعة، وكان اسماعيل بك بمصر القديمة ينتظر أمرا التجريدة، فلما حصل ذلك نزل الباشا فى يوم الأحد وخرج إلى الآثار وجلس مع الصنجق ونادوا بالنفير العام، فخرج القاضى والمشايخ والتجار وأرباب الصنايع والمغاربة وأهل الحارات والعصب وغلقت الأسواق، وخرج الناس فى يوم الاثنين حتى ملوا الفضا ، فلما عاين ذلك اسماعيل بك وعلم أنهم يحتاجون إلى مصروف ومأكل وأكثرهم فقرا، وذلك غاية لا تدرك، فأشار على تجار المغاربة والألضاشات * بالمكث، ورجع بقية العامة وأرباب الحرف ومشايخ الأشاير والفقرا من أهل الزوايا والبيوت، ووصل القبليون إلى حلوان وطمعوا فى أخذ مصر بعد الكسرة قبل الاستعداد ثانيا. وفى يوم الاثنين أرسل اسماعيل بك عدة من الأجناد وأصحبهم عسكر المغاربة ومعهم الجبخانة والمدافع، فنصبوا المتاريس مابين التبين *وحلوان تجاه الأخصام، وركب فى ليلتها اسماعيل بك* وأمراؤه وأجناده ، وأحضر الباشا قليون رومى من دمياط وريسه يسمى حسن الغاوى مشهور بمعرفة الحرب فى البحر، يشتمل ذلك القليون على خمسة وعشرين مدافعا فأقلع به ليلا تجاه العسكر وارتفع حتى تجاوز مراكبهم، وضرب بالمدافع (ص١٠٢٩) على وطاقهم فى البر وعلى مراكبهم فى البحر وساق جميع المراكب بما فيها، ووقع المصاف واشتد الجلاد بين الفريقين فكان بينهم وقعة قوية وقتل فيها من أوليك رضوان بك الجرجاوى وخليل بك كوسة الابراهيمى وخازنداره وكشاف وأجناد ووقعت على القبالى * الهزيمة، ولم يظهر مراد بك فى هذه المعركة بسبب جراحته، ثم هجموا على وطاقهم وخيامهم ونهبوها. ونزل محمد بك طبل بفرسه إلى البحر وغرق ومات

* الالضاشات: الاتباع.

* التبين: مركز الصف / الجيزه

* معركة ليلية ينتصر فيها اسماعيل بك على الامراء القبالى.

* القبالى : امراء الوجه القبلى من المماليك.

ورجع ابراهيم بك ومراد بك وهو مجروح ومصطفى بك وأحمد بك الكلارجى وأتباعهم وذهبوا إلى قبلى وساقوا خلفهم فلم يدركوهم ودخل اسماعيل بك والأمراء والأجناد والعسكر إلى مصر منصورين مؤيدين وكانت هذه النصرة بخلاف المظنون وكان رجوعهم يوم الأربعاء غرة شهر شعبان.

وفى ليلة السبت رابع شعبان حضر كاشف وصحبته جملة من المماليك وكان هذا الكاشف مأسورا عند القبالى فلما انهزموا أذنوا له بالرجوع إلى بيته وانضم إليه عدة مماليك ماتت أسيادهم فلما حضروا عند اسماعيل بك فرقهم على الامرا.

وفى سابعه أحضروا رمة على أغا المعمار إلى بيته فغسلوه وكفنوه وصلوا عليه في مشهد حافل ودفنوه بالقرافة. وفيه تقلد حسن بك الجداوى ولاية جرجا، وجاءت الأخبار بأن القبليين استقروا بشرق أولاد يحيى.

وفى آخر شعبان سافر حسن بك الجداوى إلى جرجا (ص١٠٣٠) وصحبته كشاف الولايات وحكام الأقاليم فضج لنزولهم ساحل البحر بسبب أخذهم المراكب.

وفى منتصف شهر رمضان ولدت امرأة مولودا يشبه خلقة الفيل* مثل وجهه وآذانه، وله نابان خارجان من فمه، وأبوه رجل جمال وامرأته لما رأت الفيل وكانت فى أشهر وحامها فنقلت شبهه فى ولدها وأخذه الناس يتفرجون عليه فى

* قصة الطفل الفيل

البيوت والأزقة.

وفى يوم الجمعة تاسع عشرين شهر رمضان ركب أمرا اسماعيل بك* وصناجقه وعساكره فى آخر الليل واحتاطوا ببيت اسماعيل بك الصغير أخى على بك الغزاوى، فركب فى مماليكه وخاصته وخرج من البيت فوجدوا الطرق كلها مسدودة بالعسكر والأجناد، فدخل من عطفة الفرن يريد الفرار، وخرج على جهة قنطرة عمر شاه فوجد العسكر والأجناد أمامه وخلفه فصار يقاتلهم ويتخلص منهم من عطفة إلى عطفة حتى وصل إلى عطفة البيدق، وأصيب بسيف على عاتقه وسقطت عمامته، وصار مكشوف الرأس إلى أن وصل إلى تجاه درب عبد الحق بالأزبكية ، فلاقاه عثمان بك أحد صناجق اسماعيل بك فرده وسقط فرسه واحتاطوا به فنزل على دكان فى أسوأ حال مكشوف الرأس والدم خارج من كركه*، فعصبوا رأسه بعمامة رجل جمال وأخذه عثمان بك إلى بيته وتركه وذهب إلى سيده فأخبره فخلع عليه فروة وفرسا مرختا* وأرسلوا إليه الوالى فخنقه ووضعوه فى تابوت وأرسلوه إلى بيته الصغير فبات به ميتا وأخرجوه (ص١٠٣١) فى صبحها فى مشهد ودفنوه، وكان اسماعيل بك قد استوحش منه وظهر عليه فى أحكامه وأوامره، وكلما أبرم شيا عارضه فيه وازدحم الناس على بيته وأقبلت إليه أرباب الخصومات والدعاوى وصار له عزوة كبيرة وانضم إليه كشاف واختيارية ، وحدثته نفسه بالانفراد وتخيل منه اسماعيل بك فتركه وما يفعله، وأظهر أنه مرمود فى عينيه وانقطع بالحريم من أول شهر رمضان، ثم سافر فى

* اسماعيل بك الكبير يغتال اسماعيل بك الصغير

* الكرك: لباس يرتدى فوق القفطان الحرير المزركش باكمامه الطويلة، وللكرك اكمام قصيرة.

* مرخت : مسرجا.

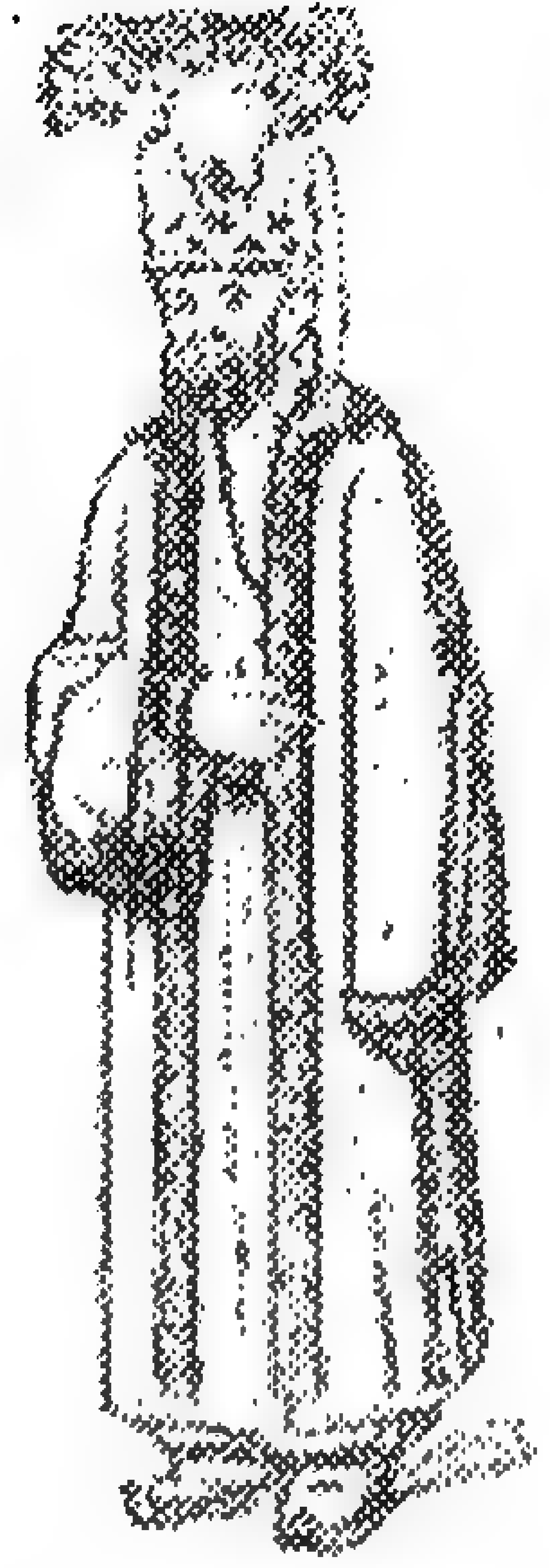
أواخره فى النيل لزيارة سيدى أحمد البدوى ثم رجع وبيت مع أتباعه ومن يثق به، وقاموا عليه وقتلوه كما ذكر، ولما انقضى أمره شرع اسماعيل بك فى ابعاد ونفى من كان يلوذ به وينتمى إليه، فأنزلوا ابراهيم بك بلفيا ومحمد أغا الترجمان وعلى كتخدا الفلاح وبعض كشاف إلى بولاق، وأراد قتل أخيه سليم أغا المعروف بتمرلنك فافتدى نفسه بثلاثين ألف ريال، ثم نفوه ثالث شوال ، ونفى ابراهيم بك بلفيا إلى المحلة، وفى تلك الأيام قرر اسماعيل بك على كل بلد من القرى ثلثماية ريال، وهى أول سيئاته.

وفى يوم الأحد ثانى عشرين شوال عملوا موكب المحمل وأمير الحاج حسن بك رضوان* ، وفى يوم الخميس رابع ذى القعدة تقلد عبد الرحمن بك عثمان صنجقية وكانت مرفوعة عنه وكذلك على بك ، وفى يوم الاثنين ثامنه سافرت تجريدة لجهة الصعيد للامراء القبالى لأنهم تقووا واستولوا على البلاد، وقبضوا الخراج وملكوا من جرجا إلى فوق وحسن (ص١٠٣٢) بك أمير الصعيد مقيم وليس فيه قدرة على مقاومتهم، ومنعوا ورود الغلال حتى غلا سعرها، فعينوا لهم التجريدة وسر عسكرها رضوان بك وعلى بك الجوخدار وسليم بك وابراهيم بك طنان وحسن سوق السلاح.

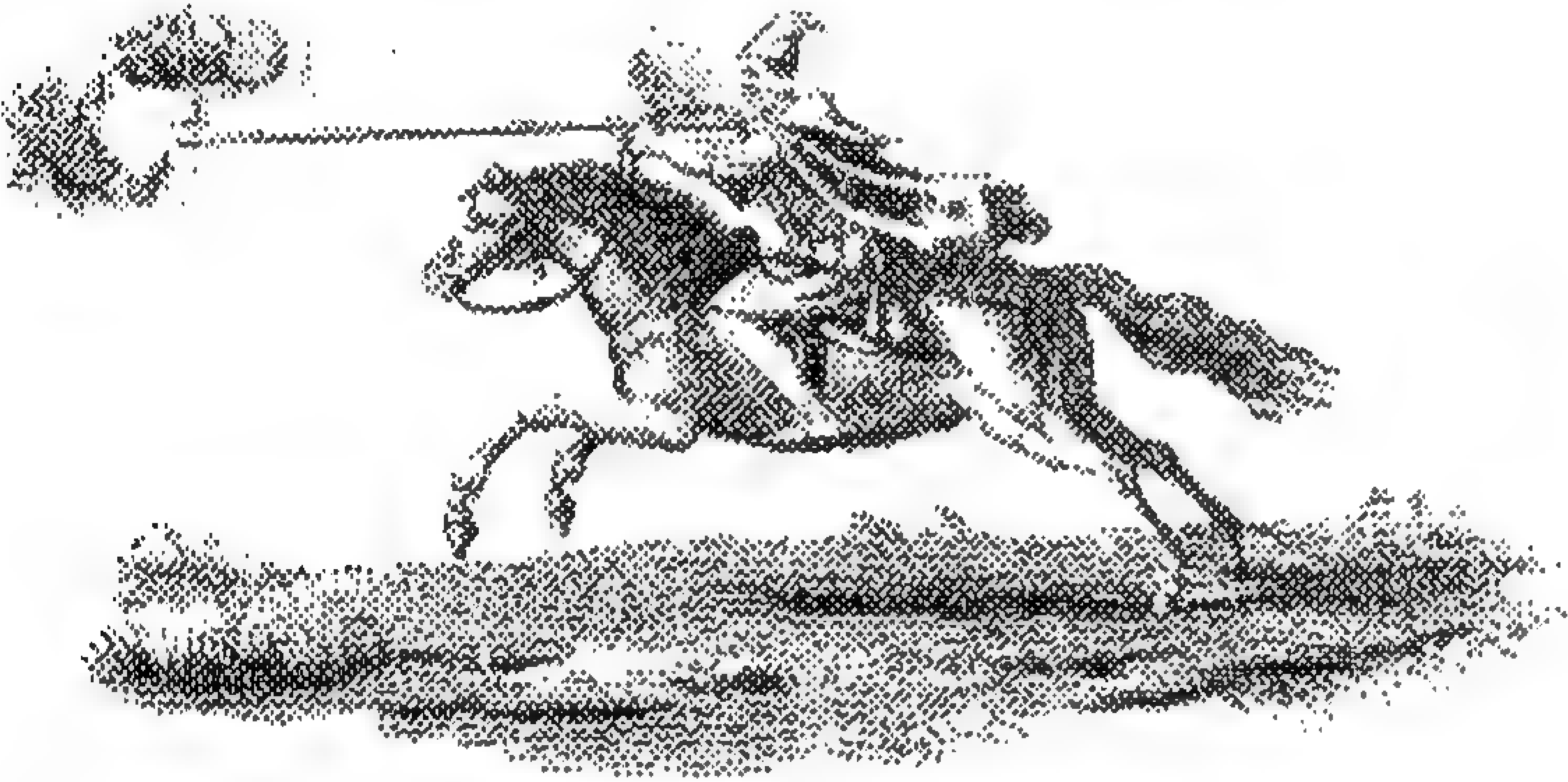
* خروج المحمل واميره حسن بك رضوان

وفى يوم الأحد حادى عشرين القعدة خرج اسماعيل بك إلى ناحية دير الطين وعزم على التوجه إلى قبلى بنفسه، وأرسل الباشا فرمانات لساير الأمرا والوجاقلية وأمرهم جميعا بالسفر فخرجوا جميعا ونصبوا وطاقاتهم عند





أورته جاويش
من ضباط الانكشارية.



المعادى، ونزل الباشا وجلس بقصر العينى وطلبوا طلبا عظيما.

وفى يوم الجمعة عدى اسماعيل بك إلى البر الثانى وترك بمصر عبد الرحمن أغا مستحفظان كتخدا ورضوان بك بلفيا وعثمان بك طبل وابراهيم بك قشطة صهره وحسين بك ومقادم الأبواب لحفظ البلد، فكان المقادم يدورون بالطوف [العسكر] فى الجهات ليلا ونهارا مع هدو سر الناس وسكون الحال فى مدة غياب الجميع.

وفى سادس شهر الحجة وصلت مكاتبات من اسماعيل بك ومن الامرا الذين بصحبته بأنهم وصلوا إلى المنية ، فلم يجدوا بها أحد من القبليين وأنهم فى أسيوط ومعهم



باش جاويش

اسماعيل ابو على من كبار الهوارة.

وفى سابع عشره حضر الوجاقلية الذين كانوا بالتجريدة وحضر أيضا أيوب أغا كان عند القبالى فحضر (ص١٠٣٣) إلى عند اسماعيل بك بأمان واستأذنه فى التوجه إلى بيته ليرى عياله، فأذن له وأرسله صحبة الوجاقلية.

وسبب رجوع الوجاقلية لما رأى إسماعيل بك بعد الامراء وأراد أن يذهب خلفهم، فأمرهم بالرجوع للتخفيف وانقضت هذه السنة.



قالد انكشارى

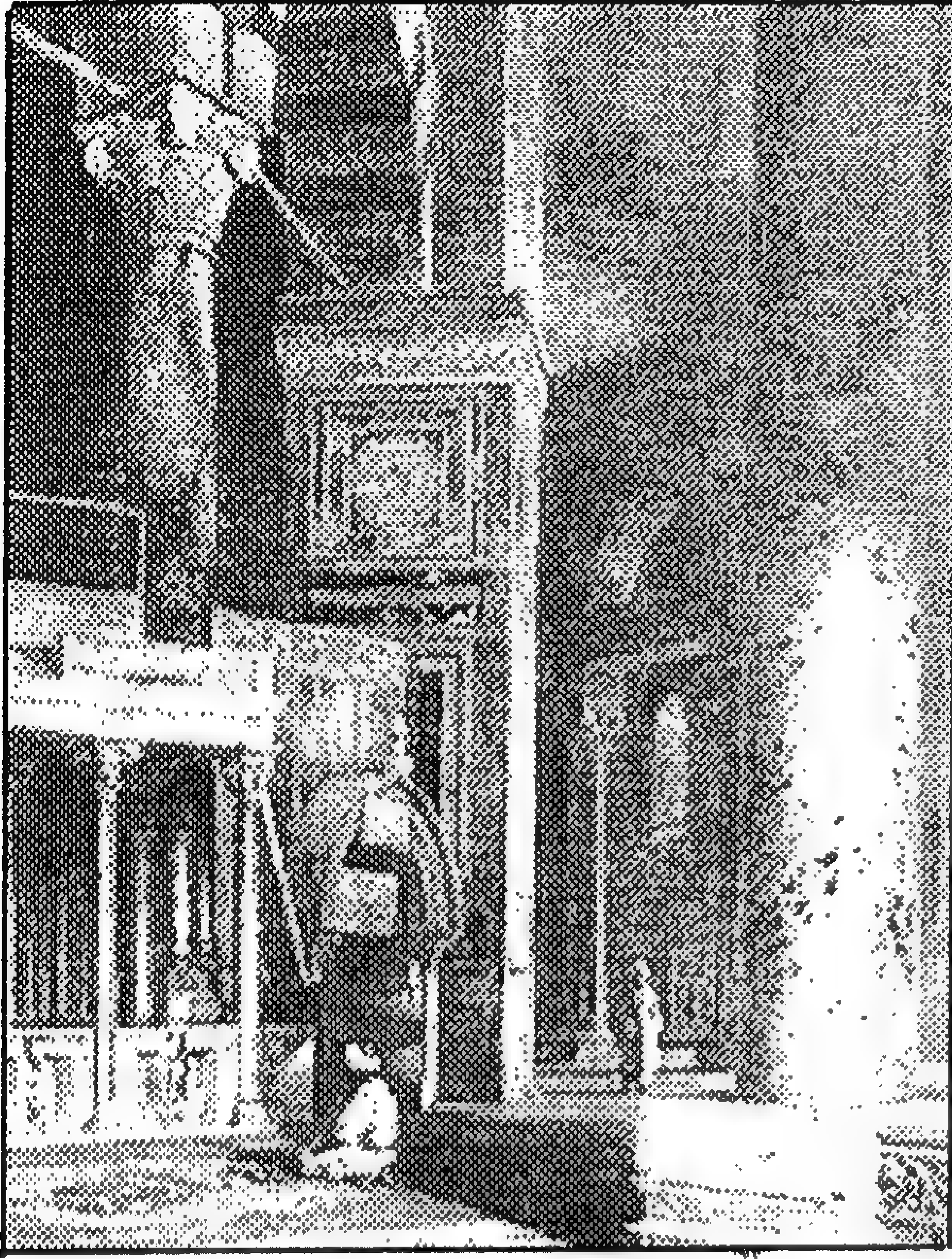
(ذكر من مات فى هذه السنة)

٤٠٠ محمد هاشم الاسيوطى

(ومات) الشريف الصالح المرشد الواصل السيد/ محمد هاشم الأسيوطى، ولد بأسيوط وبيتهم يعرف ببيت فاضل، نشأ ببلده على قدم الخير والصلاح، وحضر دروس الشيخ حسن الجديرى ثم ورد إلى مصر فحضر دروس كل من الشيخ محمد البليدى والشيخ محمد الشماوى والشيخ عطية الأجهورى وأخذ الطريق على الشيخ عبد الوهاب العفيفى، وكان منقطعا للعبادة متقشفا متواضعا، وكان غالب جلوسه بالأشرفية ومسجد الشيخ مطهر، وكان لا يزاحم الناس ولا يداخلهم فى أحوال دنياهم، ولهم فيه اعتقاد عظيم ويذهبون لزيارته ويقتبسون من إشارته واستخارته، ويتبركون بإجازته في الأوراد والأسماء، ويسافر لزيارة سيدى أحمد البدوي ثم يعود إلي خلوته، وربما مكث عند بعض أصدقائه



جندى يحمل قرابينه وطلبته



أياما بقصد البعد عن الناس وعندما يعلمون استقراره بالخلوة، ويزدحمون على زيارته، وكان نعم الرجل (ص١٠٣٤) سمتا وورعا، توفى فى سابع شعبان فى بيته بالأزبكية وصلوا عليه بالأزهر ودفن بالمجاورين ، رحمه الله.

٤٠١ محمد العوفى. [ومات]الشيخ الإمام الأديب الفاضل الفقيه أحد العلما الأعلام الشيخ محمد بن ابراهيم العوفى المالكى ،لازم الشمس الحفنى وأخاه الشيخ يوسف، وحضر دروس الشيخ على العدوى والشيخ عيسى البراوى، وأفتى ودرس، وكان شافعى المذهب، فسعى فيه جماعة عند الشيخ الحفنى فأحضره وأثبت عليه بخطه ما نقل عنه فتوعده، فلحق بالشيخ على العدوى وانتقل لمذهب مالك، وكان رحمه الله

عالما محصلا بحاثا متفننا غير عشر البديهة، شاعرا ما جنا خليعا، ومع ذلك كان حلقة درسه تزيد على الثلاثماية فى الأزهر، مات رحمه الله مفلوجا، وحين أصابه المرض رجع إلى مذهب الشافعى وقرأ ابن قاسم بمسجد قريب من منزله، ويحمله الطلبة إلى المسجد فيقرأ وهو يتعلثم لتعقد لسانه بالفالج مع ما كان فيه من الفصاحة أولا، ثم برى يسيرا، ولم يلبث أن عاوده المرض وتوفى إلى رحمة الله تعالى.

٤٠٢ رمضان الحمامى.

[ومات] الأديب الماهر الشيخ/ رمضان بن محمد المنصورى الأحمدى الشهير بالحمامى سبط آل الباز، ولد بالمنصورة، وقرأ المتون على مشايخ بلده، وانزوى إلى شيخ الأدب محمد المنصورى (ص١٠٣٥) الشاعر فرقاه فى الشعر وهذبه وبه تخرج، وورد إلى مصر مرارا، وسمعنا من قصايده وكلامه الكثير، وله قصايد سنية فى المدايح الأحمدية تنشد فى الجموع، وبينه وبين الأديب قاسم عبد القادر المدنى محاورات ومداعبات، وأخبر أنه ورد الحرمين من مدة، ومدح كلا من الشريف والوزير وأكابر الأعيان بقصايد طنانة، كان ينشد منها جملة مستكثرة مما يدل على سعة باعه فى الفصاحة ، ولم يزل فقيرا مملقا يشكو الزمان وأهليه ويذم جنى بنيه، وبآخرة تزوج امرأة موسرة بمصر، وتوجه بها إلى مكة فأتاه الحمام وهو فى ثغر جدة فى سنة تاريخه، ومن آثاره تعجيز وتصدير البيتين المشهورين وهما:

إن ألطاف إلهى

عند كربى المتناهى

هى كـــانت نعم جـــاهى
وإذا مـــا صـــرت ســـاهى
لى قـــالت خل عنكمـــا
لا تـدبـر لـك أمـــــرا
تلق بعـــد العـــســـر يســـرا
وارقـب الألـطاف صــــبــــرا
حـــيث قـــالت لك جـــهـــرا
أنـــا أولـــى بـــك مـــنـــكـــا

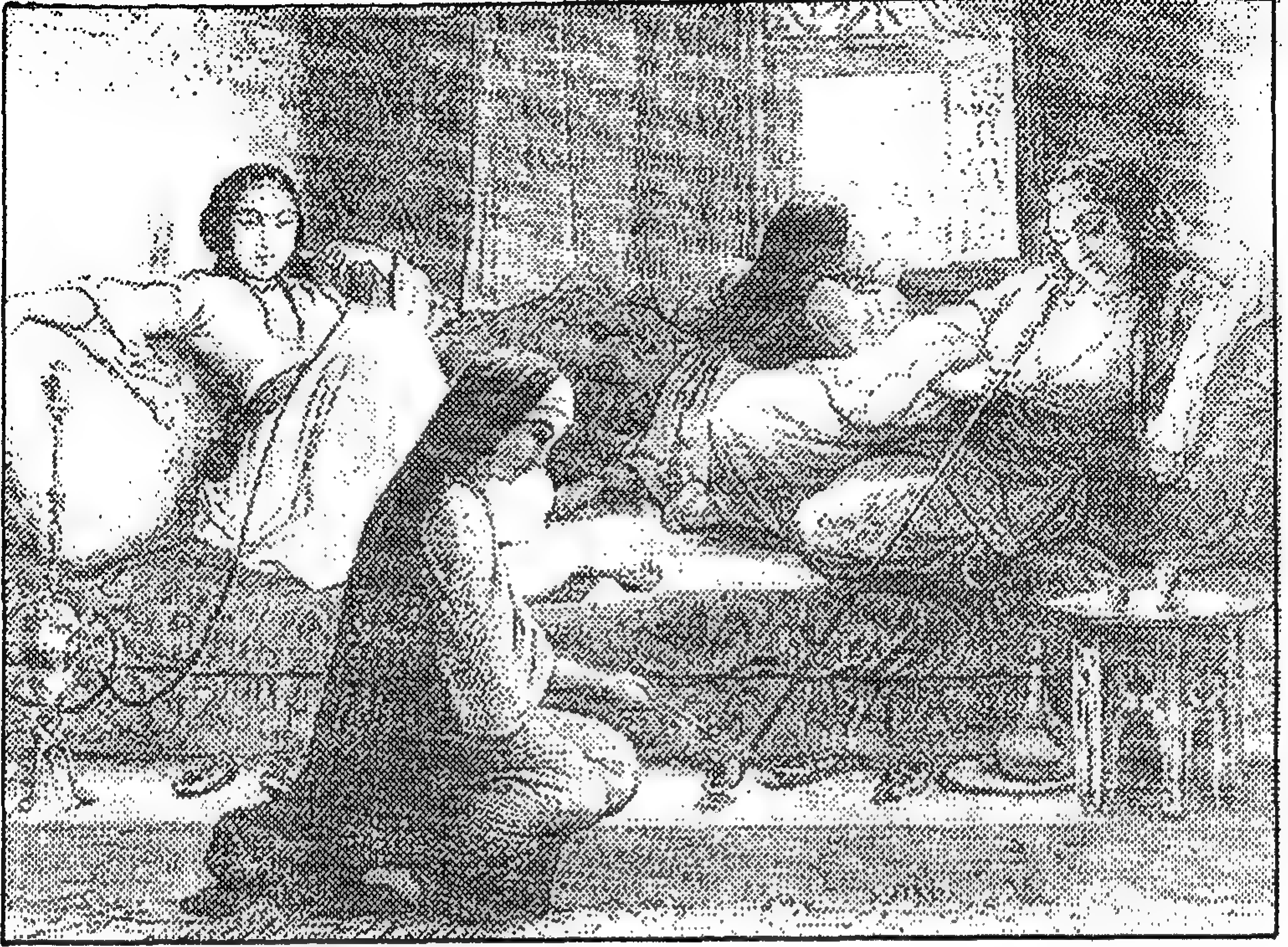
ومن ذلك قوله مشطرا تعجيز أحمد بن أبى بكر بن نظام تصدير بدر خوج بيتى ابن مكانس وهما:

فـــتنت به حلو الشـــمـــايل أهيف *
تغـار غـصـون البـان *منه إذا مـــشى
يعـــذبنى والغـــيـــر يحظى بوصله
وذلك فـــضل الله يؤتيـــه من يشـــا

* * *

(فـــتنت به حلو الشـــمـــايل أهيف)
مرير الجفا بالسحر عينيه قد حشا
هلاك تبـــدى فى ســـمـــاء كـــمـــاله
له مـــسكن فى وَسْط قلبى والحـــشـــا
فطلعـتـه يسـبى القلوب جـمـالهـا
وناظره بالفـــتك فـــينا تحـــرشـــا
بروحي مـــحـــيـــاه الجـــميل إخـــاله
كـــشـــمس الضـــحى نورا لقلبى أدهشـــا

*أهيف: ضامر البطن رقيق الخصر.
*البان : شجر معتدل القوام، يشبه به القد لطوله.



مليح التثنى لست ألقى نظيره

وهل توجد العنقاء فى مصر أوبشا *

قليل الوفا لم استطع كتم حبه

كثير التجنى فيه حبى قد فشا

جميل وترى بالظبى * لفتاته

فيها خجلة الأقمار يوكسها * الرشا

تغيب بدور التم منه إذا بدا

(تغار غصون البان منه إذا مشى)

(ويعذبنى والغير يحظى بوصله)

فيا شقوتى فى الحب ياسعد من وشا

فيا عصبة العذال كفوا ملامكم

ففكرى لغير الحب فيه تشوشا

* بشا : أى بالشام

* الظبى : مفردها ظبة، وهى حد السيف أو السنان ونحوهما.

* يوكسها الرشا: يوكس ينقص . الرشا: ولد الظبية.

أبيت سمير النجم أرجو خياله
يعود فما أحلاه أن مر أو مشى
فما زال طرفى شيقا لجماله (ص١٠٣٧)
ومازال قلبى للقا متعطشا
متى قاتنى بالوصل يسعد حرقتى
ويرشفنى من ريقه العذب منعشا
فها مقلتى الرصداء ترقب قربه
فللعين وصل الحب نور من العشا
فما الوصل إلا نعمة وتفضل
يفوز به القاصى ويحرم من يشا
ولا عيبة فى قرب هذا وبعد ذا
(وذاك فضل الله يؤتيه من يشا)

٤٠٣ الامير يوسف بك الكبير

(ومات) الأمير يوسف بك الكبير وهو من أمراء محمد بك أبى الذهب أمره فى سنة ست وثمانين وزوجه بأخته، وشرع فى بنا داره على بركة الفيل داخل درب الحمام تجاه جامع الماس، وكان يسلك إليها من هذا الدرب من طرق الشيخ ظلام، وكان هذا الدرب كثير العطف ضيق المسالك فأخذ بيوته بعضها شرا وبعضها غصبا، وجعلها طريقا واسعة وعليها بوابة عظيمة، وأراد أن يجعل أمام باب داره رحبة متسعة، فعارضه جامع خير بك حديد فعزم على هدمه ونقله إلى آخر الرحبة، فسأل المرحوم الوالد وكان يعتقد ويجنح إلى قوله فقال له لا يجوز ذلك فامتثل وتركه على حاله، واستمر يعمر فى تلك الدار نحو خمس سنوات، وأخذ بيت الداوودية الذى بجواره وهدمه جميعه وأدخله فيها، وصرف

(ص١٠٣٨) فى تلك الدار أموالا عظيمة، فكان يبنى الجهة منها حتى يتمها بعد تبليطها وترخيمها بالرخام الدقى الخردة المحكم الصنعة والسقوف والأخشاب والرواشن * والخرط والأدهان ، ثم يوسوس له شيطانه فيهدمها إلى آخرها ويبنيها ثانيا على وضع آخر، وهكذا كان دأبه، واتفق أنه ورد إليه من بلاده القبلية ثمانون ألف إردب غلال، فوزعها بأسرها على المؤانة فى ثمن الجبس والجير والأحجار والأخشاب والحديد وغير ذلك، وكان فيه حدة زائدة وتخليط فى الأمور والحركات ولا يستقر بالمجلس، بل يقوم ويقعد ويصرخ ، ويروق حاله فى بعض الأوقات فيظهر فيه بعض إنسانية، ثم يتغير ويتعكر من أدنى شى، ولما مات سيده محمد بك وتولى إمارة الحج ازداد عتوا وعسفا وانحرافا، خصوصا مع طايفة الفقها والمتعممين لأمور نقمها عليهم. منها أن شيخا يسمى الشيخ أحمد صادومة وكان رجلامسنا ذا شيبة وهيبة وأصله من سمنود* وله شهرة عظيمة وباع طويل فى الروحانيات وتحريك الجمادات والسيميات*ويكلم الجن و يخاطبهم مشافهة ويظهرهم للعيان، كما أخبرنى عنه من شاهده، وللناس اختلاف فى شأنه، وكان للشيخ حسن الكفراوى به التئام وعشرة ومحبة أكيدة واعتقاد عظيم ويخبر عنه أنه من الأوليا وأرباب الأحوال والمكاشفات، بل يقول (ص١٠٣٩) إنه هو الفرد الجامع، ونوه بشأنه عند الأمرا وخصوصا محمد بك أبا الذهب فراج حال كل منهما بالآخر، فاتفق أن الأمير المذكور اختلى بمحظيته فرأى على سوتها كتابة فسألها عن ذلك وتهددها بالقتل فأخبرته أن المرأة الفلانية ذهبت بها إلى هذا الشيخ، هو الذى كتب

* الرواشن : جمع مفرده روْشن: وهو الكوة بفتح الكاف وضمها: اى ثقب البيت، فالمراد بالرواشن الطاقات فى الحائط ، ومفردها طاق.

* سمنود : مركز من مراكز الغربية

* السيميات: جاء فى مقدمة ابن خلدون فى بابى علوم السحر والطلسمات، وعلم أسرار الحروف ما ملخصه:
صناعة السيميا: هى إحالة الأجسام النوعية من صورة إلى أخرى، ويكون بالقوة النفسية لا بالصناعة المعملية. فهو من قبيل السحر، ويسمى علم السيميا علم أسرار الحروف وقد ظهر هذا العلم عند غلاة المتصوفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس وظهور الخوارق على أيديهم، والتصرفات فى عالم العناصر.
وحاصله عندهم وثمرته: تصرف النفوس الربانية فى عالم الطبيعة بالأسماء الحسنى والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية فى الأكوان

لها ذلك ليجبها إلى سيدها، فنزل في الحال وأرسل فقبض على الشيخ صادومة المذكور وأمر بقتله وإلقائه في البحر [النيل] ففعلوا به ذلك، وأرسل إلى داره فاحتاط بما فيها فأخرجوا منها أشياء كثيرة وتماثيل ومنها تمثال من قطيفة على هيئة الذكر فأحضروا له تلك الأشيا، فصار يريها للجالسين عنده والمترددين عليه من الأمرا وغيرهم، ووضع ذلك التمثال بجانبه على الوسادة فيأخذه بيده ويشير لمن يجلس معه ويتعجبون ويضحكون، ويقول: انظروا أفاعيل المشايخ، وعزل الشيخ حسن الكفراوى من إفتا الشافعية ورفع عنه وظيفة المحمدية، وأحضر الشيخ احمد بن يوسف الخليفى وخلع عليه وألبسه فروة وقرره في ذلك عوضا عن الشيخ الكفراوى، واتفق أيضا أن الشيخ عبد الباقى ابن الشيخ عبد الوهاب العفيفى طلق على زوج بنت أخيه في غيابه على يد الشيخ حسن الجداوى المالكى على قاعدة مذهبه، وزوجها من آخر، وحضر زوجها (ص١٠٤٠) من الفيوم وذهب إلى ذلك الأمير وشكا له الشيخ عبد الباقى فطلبه فوجده غايبا في منيةعفيف* فأرسل إليه أعوانا أهانوه وقبضوا عليه ووضعوا الحديد في رقبته ورجليه وأحضروه في صورة منكرة وحبسه في حاصل أرباب الجرايم من الفلاحين، فركب الشيخ على الصعيدى العدوى والشيخ الجداوى وجماعة كثيرة من المتعممين وذهبوا إليه وخاطبه الشيخ الصعيدى وقال له ما هذه الأفعال وهذا التجارى؟ فقال له أفعالكم يامشايخ أقبح، فقال له هذا قول في مذهب المالكية معمول به، فقال من يقول إن المرأة تطلق زوجها إذا غاب عنها وعندها ما تنفقه وما تصرفه ووكيله يعطيها ما

*منيةعفيف: أو ميت عفيف: قرية من قرى مركز الباجور منوفية.

تطلبه، ثم يأتى من غيبته فيجدها مع غيره؟ فقالوا له نحن أعلم بالأحكام الشرعية، فقال لو رأيت الشيخ الذى فسخ النكاح، فقال الشيخ الجداوى أنا الذى فسخت النكاح على قاعدة مذهبى، فقام على أقدامه وصرح وقال : والله أكسر رأسك، فصرخ عليه الشيخ على الصعيدى وسبه، وقال له : لعنك الله ولعن اليسرجى * الذى جاء بك ومن باعك ومن اشتراك ومن جعلك أميرا، فتوسط بينهم الحاضرون من الأمرا يسكنون حدته وحدتهم، وأحضروا الشيخ عبد الباقى من الحبس فأخذوه وخرجوا وهم يسبونه وهو يسمعهم. واتفق (ص١٠٤١) أيضا أن الشيخ عبد الرحمن العريشى لما توفى صهره الشيخ أحمد المعروف بالسقط وجعله القاضى وصيا على أولاده وتركته وكان عليه ديون كثيرة أثبتها أربابها بالمحكمة واستوفوها وأخذ عليهم صكوكا بذلك، فذهبت زوجة المتوفى إلى يوسف بك بعد ذلك بنحوست سنوات وذكرت له أن الشيخ عبد الرحمن انتهب ميراث زوجها وتواطأ مع أرباب الديون وقاسمهم فيما أخذوه، فأحضر الشيخ عبد الرحمن وكان إذ ذاك مفتى الحنفية وطالبه بإحضار المخلفات أو قيمتها فعرفه أنه وزعها على أرباب الديون وقسم الباقى بين الورثة وانقضى أمرها. وأبرز له الصكوك والحجج ودفتر القسام، فلم يقبل وقال هذا كله تزوير وفاتحه فى عدة مجالس وهو مصر على قوله وطلبه للتركة، ثم أحضره يوما وحبسه عند الخازندار، فركب شيخ السادات إليه وكلمه فى أمره وطلبه من محبسه فلما علم الشيخ عبد الرحمن حضور شيخ السادات هناك رمى عمامته وفراجته وتطور وصرخ وخرج يعدو مسرعا وهو

* اليَسْرَجى: تاجر الرقيق.

يقول بيتك خراب يايوسف بك ونزل إلى الحوش صارخا بأعلى صوته وهو مكشوف الرأس يقول ذلك وأمثاله فلما عاينه يوسف بك وهو يفعل ذلك احتد الآخر و كان جالسا مع شيخ السادات في المقعد المطل على الحوش، فقام على أقدامه وصار (ص١٠٤٢) يصرخ على خدمه ويقول أمسكوه اقتلوه ونحو ذلك، وشيخ السادات يقول له : أى شيء هذا الفعل؟ اجلس يامبارك، وأرسل إليه تابعه الشيخ ابراهيم السندوبى فنزل إليه وألبسه عمامته وفراجته ونزل الشيخ فركب وأخذه صحبته إلى داره، وتلافوا القضية وسكتوها، ثم حصل منه ما حصل فى الدعوى المتقدمة وما ترتب عليها من الفتنة وقفل الجامع وقتل الأنفس، وثقل أمره على مراد بك وأضمر له السوء، فلما سافر أميرا بالحج فى السنة الماضية قصد مراد بك اغتياله أو نفيه عند رجوعه بالحج، واتفق مع أمرائه وضايع القضية. وسافر إلى جهة الغربية والمنوفية وعسف فى البلاد ويريد أن يجعل عودته على نصف الشهر فى أوان رجوع الحج، ووصل الخبر إلى يوسف بك فاستعجل الحضور فصار يجعل كل مرحلتين فى مرحلة حتى وصل محترسا فى سابع صفر قبل حضور مراد بك من سرحته، وعندما قرب وصول مراد بك إلى دخول مصر ركب يوسف بك فى مماليكه وطوايفه وعدده، وخرج إلى خارج البلد فسعى إبراهيم بك بينهما وصالحهما، واستمرت بينهما المنافرة القلبية من حينئذ إلى أن حصل ما حصل وانضم إلى اسماعيل بك ثم قتله اسماعيل بك بيد حسن بيك واسماعيل بك الصغر (ص١٠٤٣) كما تقدم.

٤٠٤ على أغا المعمار أبى الجلب.

[ومات] الأمير/ على أغا المعمار وهو من مماليك مصطفى بك المعروف بالقرد وخشداش صالح بك الكبير، وكان من الأبطال المعروفين والشجعان المعدودين فلما قتل كبيرهم صالح بك استمر فى بلاد قبلى على ما يتعلق به من الالتزام ويدفع ما عليه من المال والغلال إلى أن استوحش محمد بك أبو الذهب من سيده على بك وخرج إلى الصعيد وقتل خشداشه أيوب بك، وتحقق الأجانب بذلك صحة العداوة فأقبلوا على محمد بك من كل جانب برجالهم وأموالهم ومنهم على أغا المذكور، وكان ضخما عظيم الخلقة جهورى الصوت شهما يصدع بالكلام، فأنس به محمد بك وأكرمه واجتهد هو فى نصرته ومنا صحته، وجمع إليه الأمراء والأجناد المنفيين والمطرودين الذين شتتهم على بك وقتل أسيادهم ، وكبار الهوار الذين قهرهم على بك أيضا، واستولى على بلادهم مثل أولاد همام وأولاد نصير وأولاد وافى واسماعيل أبى على وأبى عبد الله وغيرهم، وحضر معه الجميع إلى جهة مصر كما تقدم، ولما وصلوا إلى تجاه التبين وأخرج لهم على بك التجريدة وأميرها على بك الطنطاوى خرج على أغا هذا إلى الحرب هو ومن معه وبأيديهم مساوق* غلاظ قصيرة ولها جلب حديد وفى طرفها أزيد من قبضة (ص١٠٤٤) بها مسامير متينة محددة الروس إلى خارج ، يضربون بها خوذة الفارس ضربة واحدة فتنخسف فى دماغه، وكانت هذه من مبتكرات المترجم حتى إنه تسمى بأبى الجلب، ولما خلصت إمارة مصر إلى محمد بك جعل كتخداه اسماعيل أغا على بك الغزاوى المذكور، فنقم عليه أمورا فأهمله وأحضر على أغا هذا

* مساوق: عصى بجلب حديد فى طرفها كرة حديد مزودة بمسامير حادة،وهى من ابتكار على أغا المعمار.

وخلع عليه وجعله كتخداه، فسار فى الناس سيرا حسنا ويقضى حوايج الناس من غير تطلع إلى شىء، ويقول الحق ولو على مخدومه، وكان مخدومه أيضا يحبه ويرجع إلى رأيه فى الأمور لما تحققه فيه من المناصحة وعدم الميل إلى هوى النفس وعرض الدنيا، وكان يحب أهل العلم والفضل والقرآن ويميل بكليته إليهم مع لين الجانب والتواضع عدم الأنفة، ولما أنشأ محمد بك مدرسته المحمدية تجاه الأزهر وقرر فيها الدروس كان يحضر معنا المترجم على شيخنا الشيخ على العدوى فى صحيح البخارى مع الملازمة، واتخذ لنفسه خلوة بالمدرسة المذكورة يستريح فيها وتأتيه أرباب الحوايج فيقضى لهم أشغالهم، وكان يلم بحضرة الشيخ محمد حفيد الأستاذ الحفنى ويحبه وأخذ عنه طريق السادة الخلوتية وحر دروسه مع المودة وحسن العشرة، ويحضر ختوم* دروس المشايخ ويقرأ عشرا من القرآن بأعلى صوته (ص١٠٤٥) عند تمام المجلس، ومملوكه حسن أغا الذى زوجه ابنته واشتهر بعده، وحج المترجم فى السنة الماضية فى هيئة جليلة وآثار جميلة، وتوفى فى وقعة بياضة قتيلا كما تقدم.

* ختوم: أي ختوم دروس المشايخ: أى احتفال العلماء بالانتهاء من دراسة كتاب أو علم.

٤٠٥ اسماعيل بك الصغير

(ومات) الأمير/ اسماعيل بك الصغير وهو أخو على بك الغزاوى وهم خمسة إخوة على بك واسماعيل بك هذا وسليم أغا المعروف بتمرلنك وعثمان وأحمد، ولما تأمّر على بك كان إخوته الأربعة باسلامبول مماليك عند بشير أغا القزلار وأعتقهم وتسامعوا بإمارة أخيهم فحضر إليه اسماعيل وأحمد وسليم واستمر عثمان باسلامبول وأقام اسماعيل وسليم وأحمد بمصر، وعمل اسماعيل كتخدا عند أخيه

على بك وعمل سليم خازندار عند ابراهيم كتخدا أياما ثم قامت عليه مماليكه وعزلوه لكونه أجنبيا عنهم، وصار لهم إمرة وبيوت والتزام، وتزوج اسماعيل بهانم ابنة رضوان كتخدا الجلفى وهى المسماة بفاطمة هانم، وذلك أن رضوان كتخدا كان عقد لها على مملوكه على أغا الذى قلده الصنجقية ولم يدخل بها، ولما خرج رضوان كتخدا وخرج معه على المذكور فيمن خرج كما تقدم وذهب إلى بغداد أرسل لها يطلبها إليه من مصر، وأرسل مع وكيله عشرة آلاف دينار وأشيا فلم يسلموا فى إرسالها، وكتبوا فتوى بفسخ النكاح على قاعدة مذهب مالك وتزوجها اسماعيل أغا هذا وظهر ذكره بها وسكن (ص١٠٤٦) بها فى دار أبيها العظيمة بالأزبكية، وصار من أرباب الوجاهة، فلما استقل محمد بك أبو الذهب بملك مصر بعد سيده استوزره وجعله كتخداه مدة، وأراد أن يتزوج بالست سلن محظية رضوان كتخدا وكان تزوج بها أخوه على بك ومات عنها، فصرفه مخدومه محمد بك أبو الذهب وعرفه أنها ربما امتنعت عليه مراعاة لهانم ابنة سيدها، فركب محمد بك وأتى عند على أغا كتخدا الجويشية المجاور لسكنها بدرب السادات وأرسل إليها على أغا فلم يمكنها الامتناع، فعقد عليها ، وماتت هانم بعد ذلك، وباع بيت الأزبكية لمخدومه محمد بك، وبنى داره المجاورة لبيت الصابونجى وصرف عليها أموالا كثيرة، وأضاف إليها البيت الذى عند باب الهواء المعروف ببيت المرحوم من الشرايبية وسكنها مدة، وزوجه محمد بك سرية من سرارية أيضا ثم باع تلك الدار لأيوب بك الكبير وسكنها، ولما سافر محمد بك إلى الشام لمحاربة الظاهر عمر أرسل المترجم من هناك إلى اسلامبول بهدايا وأموال للدولة ومكاتبات بطلب ولاية

* عهد سيدنا عمر رضى الله عنه:

لما فتح عمر بيت المقدس استأذنه عمرو بن العاص فى فتح مصر، فأغزاه، ثم أتبعه الزبير ابن العوام، فساروا سنة عشرين (هجرية) أو إحدى أو اثنتين أو خمس (أى وعشرين) فلما حاربوا المصريين وحاصروهم راسلهم أهل البلاد حتى صالحهم عمرو والزبير على الجزية، وأجروا ما أخذوا قبل ذلك عنوة، فجرى الصلح ، وشرطوا رد السبايا. فأمضى لهم عمر ابن الخطاب عهد الصلح على أن يجيز السبايا فى الاسلام، وكتب العهد بينهم ونصه:

بسم الله الرحمن الرحيم:
هذا ما أعطى عمرو بن العاص أهل مصر من الأمان على أنفسهم ودمهم وأموالهم وكافتهم وصاعهم ومدهم وعدهم، لا يزيد شىء فى ذلك، ولا ينقص، ولا يساكنهم النوب وعلى اهل مصر أن يعطوا الجزية إذا اجتمعوا على هذا الصلح، وانتهت زيادة نهرهم خمسين ألف ألف وعليه ما جنى نصرتهم، فإن أبى أحد منهم أن يجيب رفع عنهم من الجزية بعددهم، وذمتنا من أبى برية. وإن نقص نهرهم من غايته إذا انتهى رفع عنهم بقدر

مصر والشام، وأجيب إلى ذلك، وكتب له التقليد وأعطوه رقم الوزارة وتم الأمر، وأراد المسير بذلك إلى محمد بك فورد الخبر بموته فبطل ذلك، ورجع المترجم إلى مصر وأقام بها فى ثروة (ص١٠٤٧) إلى أن حصلت الوحشة بين اسماعيل بك ويوسف بك والجماعة المحمدية وكانت الغلبة عليهم، فقلده اسماعيل بك الصنجقية وقدمه فى الأمور ونوّه بشانه، وأوهمه أنه يريد تفويض الأمور إليه لما يعلمه فيه من العقل والرياسة فاغتر بذلك، وباشر قتل يوسف بك هو وحسن بك الجداوى كما تقدم، وظن أن الوقت صفا له فاندفع فى الرياسة وازدحمت الروس عليه وأخذ فى النقض والإبرام، فعاجله اسماعيل بك وأحاطوا به وقتلوه كما ذكر، وكان ذا دها ومعرفة وفيه صلابة وقوة جنان وحزم مع التواضع وتهذيب الأخلاق ، وكان يحب أهل العلم ويكره النصارى كراهة شديدة وتصدى لأذيتهم أيام كتخدائيته لمحمد بك وكتب فى حقهم فتاوى بنقضهم العهد وخروجهم عن طرايقهم التى أخذ عليهم بها من أيام سيدنا عمر* رضى الله عنه ، ونادى عليهم ومنعهم من ركوب الحمير ولبسهم الملابس الفاخرة وشراهم الجوارى والعبيد واستخدامهم المسلمين وتقنع نسايهم بالبراقع البيض ونحو ذلك، وكذلك فعل معهم مثل ذلك عندما تلبس بالصنجقة، وكان له اعتقاد عظيم فى الشيخ محمد الجوهرى ويسعى بكليته فى قضاء أشغاله وحوايجه، وكان لا بأس به.

(ومات) الأمير (ص١٠٤٨) / قاسم كتخدا عزبان وكان من مماليك محمد بك أبى الذهب وتقلد كتخدائية العزب وأمين البحرين، وكان بطلا شجاعا موصوفا ، ومال عن خشداشينه كراهة منة لأفعالهم حتى خرج إلى محاربتهم وقتل، غفر الله له.

ذلك، ومن دخل فى صلحهم من الروم والنُّوب فله ما لهم، وعليه ما عليهم، ومن أبى واختار الذهاب فهو آمن حتى يبلغ مأمنه ويخرج من سلطاننا، وعليهم ما عليهم أثلاثا فى كل ثلث جباية ثلث ما عليهم، على مافى هذا الكتاب عهد الله وذمته وذمة رسوله، وذمة الخليفة أمير المؤمنين، وذمم المؤمنين.
وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا بكذا وكذا رأسا، وكذا وكذا فرسا، على أن لا يغزوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة ولا واردة. شهد الزبير وعبد الله ومحمد ابناه. وكتب وردان وحضر.» انتهى.

فدخل فى ذلك أهل مصر كلهم، وقبلوا الصلح، ونزل المسلمون الفسطاط.
(القسم الخامس . المجلد الثانى من تاريخ ابن خلدون ص٩٧١)

وقال بعض المؤرخين: إن مصر فتحت عنوة بغير عهد واصطلحوا على أن يفرض على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط ديناران عن كل نفس، شريفهم ووضيعهم، من بلغ الحلم منهم، وليس على الشيخ الفانى، ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم، ولا النساء شيء، وعلى أن للمسلمين عليهم النزل لجماعتهم حيث نزلوا، ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو أكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة أيام مفترضة عليهم، وأن لهم أرضهم وأموالهم لا يعرض لهم فى شيء منها . وأحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية فكانوا أكثر من ستة الاف ألف نفس، فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر ألف ألف دينار فى كل سنة كانت تذهب للخليفة فى الحجاز ويصرف منها على الجند والمسلمين الفقراء القائمين بغير عمل.

٤٠٦ قاسم كتخدا عزبان.

*رؤية الرحالة فولنى لمصر فى عهد على بك الكبير

النيل واتساع الدلتا

النيــل علة وجود مصر من الناحيتين الطبيعية والسياسية: فهو وحده يسد أولى حاجات الكائنات العضوية، وهي الحاجة إلى الماء، وما امسها فى المناخات الحارة المتعطشة أبدا إلى ذلك العنصر الرئيسى. فالنيل وحده بمعزل عن معونة سماء شحيحة المطر يحمل الى كل سقع غذاء الزرع. فهو بحلوله ثلاثة اشهر على الارض يشربها مقدارا من الماء يجعلها فى غنى عنه سائر ايام السنة. ولولا فيضانه لما امكن استغلال الارض الا فى بقعة ضيقة الحدود كثيرة التكاليف. ومن الصواب القول انه مقياس البحبوحة والخير والحياة. ولو ان البرتغالى «ألبو كرك» استطاع تنفيذ مشروعه بتحويل مجراه من اثيوبيا الى البحر الاحمر، لما كان هذه البقة الخصبة الا صحراء تضاهى بوحشيتها الفلوات المحيطة بها. ومتى رأينا الى أى مدى يستخدم الانسان طاقة هذا النهر، لا يبقى فى وسعنا ان نلوم الطبيعة على انها منعت عنه المزيد.

وقد حق للمصريين فى سائر الازمنة واليوم ان ينظروا الى النيل نظرة اجلال دينى، ومياه النهر طوال ستة اشهر كثيرة الاعتكار حتى انها لا تسوغ للشرب مالم تصف. وفى الشهور الثلاثة التى تسبق الفيضان يقل عمقها وتسخن فى مسائلها فتخضر وتأسن وتمتلئ بالديدان، فتدعو الحاجة عندئذ الى استخدام المياه المخزونة فى الآبار. اما المترفهون فانهم يقطرون الماء ويبردونه بالتبخر.

لقد كتب الرحالون والمؤرخون كثيرا عن النيل وغرائبه حتى كدت اعتقد بادئ ذى بدء ان الموضوع افضى الى نفاد، على ان الآراء تتبدل فى اقل الاشياد تبدلا. فان لم يكن لديك فى بعض الاحيان جديد يقال، فلا اقل من ان تصلح ما قيل. وهذا هو شأنى تجاه بعض الآراء التى ضمنها المسيو سافارى رسائله وقد مثلت للطبع حديثا. فان ما اراد اثباته من امر انبساط الدلتا وارتفاعها يختلف عن النتائج التى ايدتها الوقائع فى نظرى والاسناد التى يحتج بها هو نفسه اختلافا يحملنى على بسط مناقضاتنا امام الرأى العام. ومتى عرفت ان اقامة السيد سافارى امتدت الى سنتين فى تلك البلاد، مما يجعل لرأيه وزنا لا يلبث ان يصبح حجة راجحة، تبين لك ضرورة هذا الجدل الذى اباشره. فلنبسط المسائل ولنعالج اولا قضية انبساط الدلتا او اتساعها.

ان مؤرخا يونانيا قد ذكر عن مصر كل ما نعرفه عنها تقريبا وما تؤيده الايام. عنيت به هيروديس الهاليكرنافى Herodote d'Halycarnaffe الذى كتب من اثنين وعشرين قرنا ما يلى:

«ان مصر حيث ينزل الاغارقة من البحر (الدلتا) هى ارضا مكتسبة، وهى هبة النهر شأن كل الاصقاع المستنقعة التى تمتد صعدا على مسافة ثلاثة ايام ركوبا فى النهر..»

والاسباب التى يحتج بها اثباتا لقوله تدل على انه لا يسندها الى حكم مبتسر، اذ يقول:

«وفى الواقع ان ارض مصر التى هى من الطين الاسود الاخضر تختلف تمام الاختلاف عن ارض افريقيا الرملية الحمراء وعن ارض جزيرة العرب الحرفية المصخرة.. وهذا الطين ينقله النيل من اثيوبيا.. والاصداف التى تحتويها الصحراء تدل دلالة كافية على ان البحر، فيما سلف، كان اكثر اقتحاما للارض».

ان هيرودتس باعترافه بتخطى النهر، وهو امر

* ثلاثة اعوام فى مصر وبر الشام بقلم س. ف. فولنى الجزء الاول نقله الى العربية ادوار البستانى

يوائم طبيعةالاشياء، لم يعين مدى تخطيه. على ان سافارى حسب انه بامكانه ان يفعل . فلنتفحص كيف علل ذلك:

«ان مصر[١] اذا تزايدت ارتفاعا تزايدت فى الطول ايضا، وبين الوقايع الكثيرة التى اوردها التاريخ اختار واحدة فقط، انه فى ايام الملك بسامتيكوس [بسماتيك] رست مراكب الميليزين وعددهها ثلاثون عند مصب بلبطين ، وهى اليوم رشيد، وتحصنوا فيها. وبنوا مدينة اسموها متليس، وهى «فوه» التى احتفظت باسم «مسيل» فى مصطلحات الاقباط. ان هذه المدينة ، التى كانت فيما مضى على البحر، اصبحت تبعد عنه اليوم تسعة فراسخ. وهو المدى الذى انبسطت عليه الدلتا من ايام بسامتيكوس الى اليوم».

اول ما يتبادر الى الذهن ان هذا التعليل فى منتهى الدقة. على اننا برجوعنا الى الاصل الذى استقى منه سافارى نجد انه غفل عن الامر الاهم. واليك نص استرابون مترجما بحرفه[٢]:

«بعد مصب بلبطين يقوم رأس رملى منخفض يسمى قرن الحمل وينفذ بعيدا (فى البحر) ، ثم يأتى مرقب برسيا وسور الميليزيين، لان هؤلاء جاؤوا بثلاثين سفينة الى مصب بلبطين ونزلوا الى البر فى ايام كسياكسارس ملك الميديين التى كانت ايام الملك بسامتيكوس، وشيدوا الحصن الذى يتسم باسمهم. وما انقضى زمن حتى تقدموا صوب سايس وقهروا الجناريس فى معركة على النهر، وانشأوا مدينة نقراطس فيما وراء شاديه. وبعد سور الميليزيين باتجاه مصب (الدلتا) تقع بحيرات منها بحيرة بوطس إلخ....»

هذه هى الفقرة التى يتكلم فيها استرابون عن الميليزيين ، ولا نرى فيها ذكرا لمتليس التى لم يرد اسمها فى الكتاب كله. وقد استقاها دانفيل[٣] عن بطليموس دون ان ينسبها الى الميليزيين. وما لم يثبت المسيو سافارى نسبة متليس الى سور الميليزيين بتنقيبات قد يكون قام بها فى المكان نفسه، فلا يجوز التسليم بقوله.

وقد حسب ان هوميروس يسدى اليه شهادة مماثلة فى المقاطع التى يتكلم فيها عن المسافة بين جزيرة المنار ومصر، وسيحكم القارئ اذا كان هنا اكثر توفيقا. انى اورد ترجمة مدام داسيه[٤] وهى على كونها اقل روعة من غيرها، الا انها اكثر تقيدا بالحرف:

«روى منيلاس انه تقوم فى البحر مقابل النيل جزيرة تدعى المنار، وهى تبعد عن احد مصاب هذا النهر مسافة ما يقطع فى يوم واحد مركب تؤاتيه الرياح... (وبعد ذلك يقول بروتيوس لمنيلاس): ان القدر القاسى لا يسمح بان ترى وطنك العزيز... مالم تعد مرة أخرى الى النهر (ايجوبتوس) وتقدم الذبائح الكاملة الى الخالدين. (واستطرد منيلاس) : قال هذا وامتلأ قلبى كآبة وألما لان هذا الإله يأمرنى بالرجوع الى النهر ايجوبتوس الذى تحف طريقه المشقات والمخاطر».

يريد المسيو سافارى فى هذه الشواهد وعلى الاخص اولها ان يستخلص ان المنارة ، وهى اليوم لاصقة بالشاطئ، كانت فيما مضى بعيدة عنه

---

١ . رسائل عن مصر، الجزء الاول:ك الصفحة ١٦.

٢ جورجيوس استرابونيس؛ طبعة سنة ١٧٠٧ ، الكتاب ١٧، الصفحة ١١٥٢.

٣ ـ راجع مذكرات دانفيل الرائعة عن مصر، طبعة سنة ١٧٦٥، ص٧٧.

٤ ـ الاودية ، الكتاب الرابع.

كثيرا. على ان هوميروس عندما ذكر المسافة من هذه الجزيرة . لم يشأ تطبيقها على «الشاطئ» المقابل كما ترجم الرحالة ، بل على «ارض مصر» و «نهر النيل» ، ومن جهة ثانية انه من الخطأ القول ان «نهار الابحار» يعني المسافة غير المحدودة التي تستطيع اجتيازها مراكب الاقدمين، وان الاغارقة باستعمالهم هذا التعبير يخصونه بمقدار ثابت هو خمسمائة واربعون غلوة. ويوضح هيرودتس هذا الامر صراحة فيورد عليه مثلا ويقول ان النيل تجاوز على البحر بالارض التي تمتد صعدا حتى ثلاثة «ايام وابحار» ، وان الالف والستمائة وعشرين غلوة التي تحصل توافق حسابه الادق لمسافة الالف والخمسمائة غلوة الواقعة بين هليوبولس والبحر على ما ذكر في مكان آخر. فاذا ما اعتبرنا مع دانفيل ان الخمسمائة واربعين غلوة [Stadc] تساوي سبعة وعشرين الف خطوة [taise] ، اي ما يقرب من نصف درجة، نرى بواسطة البركار ان هذا المقياس يوازي المسافة بين المنارة والنيل نفسه ، وهي تنطبق خاصة على ثلثي فرسخ فوق الرشيد، في مكان يحق لنا بعض الحق ان نحل فيه المدينة التي اعطت اسمها لمصب بلبطين. ومن الجدير بالذكر انها المدينة التي تردد عليها اليونانيون ونزل فيها الميليزيون قبل هوميروس بقرن ونصف القرن.فليس ما يثبت اذن ان تجاوز الدلتا او القارة حصل بالسرعة التي يفترضونها افتراضا. فاذا سلمنا بها بقي علينا ان نفسر كيف ان هذا الشاطئ الذي لم يكسب نصف فرسخ من ايام الاسكندرية ، قد كسب احد عشر ميلا في سحابة زمن لا تحسب شيئا بالنسبة الى الاولى، قد انقضت بين منيلاس وذلك الفاتح.

وثمة طريقة اصح لتقدير هذا التجاوز في اعتماد القياس الوضعي الذي ذكره هيرودتس ، واليك

النص:

«ان عرض مصر في البحر من الخليج البلنتيني حتى مستنقعات سربونيديا بالقرب من قاسيوس هو ثلاثة الاف وستمائة غلوة، وطولها من البحر حتى هليوبولس الف وخمسمائة غلوة..»

فلنحصر همنا في هذه الفقرة. لقد برهن دانفيل بحذقه المعتاد ان غلوة هيرودتس يجب ان تقدر بخمسين او احدى وخمسين خطوة فرنسية. فاذا اعتمدنا هذا الرقم تبين ان ١٥٠٠ غلوة توازي ٧٦٠٠٠ خطوة، اي درجة وما يقرب من الدقيقة ونصف الدقيقة. والحال ان الملاحظات الفلكية التي ابداها نيبوهر رحالة ملك الدانمارك في السنة ١٧٦١ تدل علي ان فرق العرض بالنسبة لخط الاستواء بين هليوبولس (حاليا المطرية) والبحر هو درجة وتسع وعشرون دقيقة تحت دمياط ودرجة واربع وعشرون دقيقة تحت رشيد فيحصل من جهة ثلاث دقائق ونصف الدقيقة او تجاوز مسافة فرسخ ونصف فرسخ، ومن الجهة الاخرى ثماني دقائق ونصف الدقيقة او ثلاثة فراسخ ونصف الفرسخ. ويدل هذا على ان الشاطئ القديم كان يضاهي احد عشر الف وثمانمائة خطوة فيما تحت الرشيد، وهذا ما ينحرف بعض الانحراف عن الخط الذي اراه في فقرة هوميروس، في حين ان التطبيق على فرع دمياط ينزل الى تسعمائة وخمسين خطوة تحت المدينة المذكورة. صحيح ان القياس فورا بواسطة البركار يجعل ان خط الشاطئ يتصاعد نحوا من ثلاثة فراسخ لجهة الرشيد، ويقع على دمياط نفسها، وهذا ما يحصل من حساب المثلث باعتبار الفرق في الطول. ولكن بلبطين التي اشار اليها هيرودتس تصبح عندئذ خارج الخط ولا يبقى صحيحا ان بوسيريس في وسط الدلتا على ما ذكر المؤرخ نفسه. ولا ريب ان ما اورده القدماء وما نعرفه نحن عن

هذا المكان ليس من الوضوح بحيث يجوز لنا ان نعين بدقة درجات التجاوز المتعاقبة. ولا يستطيع التفكير بحزم إلا من تهيأ له القيام بابحاث كالتي قام بها الكونت ده شوازول Le comte de Choiseul في مياندريا، ويقتضى لذلك تنقيب فى الارض. على ان اعمالا من هذا النوع تستدعى تآلف اسباب لا يتيسر وجودها إلا للقليل من الرحالين. وتتشخص هنا صعوبة ناشئة عن كون الارض الرملية التى تتكون منها الدلتا تتبدل من يوم الى آخر تبديلا عظيما، لان البحر والنيل ليسا عامليها الوحيدين، فالريح هنا طويلة الباع، فهى تارة تملأ الترع وتدفع النهر على ما حدث للفرع الكانوبى القديم، وتارة تسفى الرمال وتدفن الخرائب حتى تمحو معالمها. ويورد نيبوهر مثلا جديرا بالنظر، وهو انه يوم كان في الرشيد سنة ١٧٦٢ كشفت المصادفة فى تلال الرمل القائمة جنوبى المدينة عن الخربة قديمة مختلفة بينها عشرون ركيزة جميلة من الرخام تمت الى الفن الاغريقى، ولم يرد فى التقاليد اسم المدينة التى كانت قائمة هناك. وقد بدا لى ان الصحراء المجاورة على النمط نفسه. ان هذه الرقعة التى كان فيما سلفت عامرة بالترع والمد اصبحت تلالا كاسية بالرمال الناعمة الصفراء التى تركمها الرياح على قدم كل حاجز و ثيرا ما تغمر النخيل. ولذلك، وعلى ما بذل دانفيل من جهد، فلا يمكن الركون بتأكيدالى مطابقاته بين كثير من الاماكن القديمة والحديثة.

اما سافارى فقد كان اكثر اصابة فى ما ذكره عن احدى ثورات النيل التى يبدو منها ان هذا النهر قد انساب كله فيما سلف عبر ليبيا فى غربى منفيس. على ان رواية هيرودتس نفسه التى اعتمدها سافارى تصطدم وبعض المصاعب. يقول هذا المؤرخ نقلا عن كهنة هليوبولس ان مينيس اول ملوك مصر قد سد الكوع الذى كان يدور فيه النهر على مسافة فرسخين وربع الفرسخ (مائة غلوة) تحت منفيس واحتفر له مجرى جديدا شرقى هذه المدينة. ألا يستدل من هذا ان منفيس كانت حتى ذلك الزمن فى صحراء قاحلة محرومة من الماء؟ هل يجوز التسليم بهذا الافتراض؟ أيصح التصديق بالحرف ان مينيس [مينا] قام بهذه الاعمال العظيمة وانشأ مدينة ورد انها كائنة قبله، وان يكون حفر الاقنية والبحيرات واقام الجسور وشيد القصور والهياكل والارصفة، كل ذلك في بدء نشأة أمة وفى طفولة جميع الفنون؟ ومينيس هذا هل هو مؤرخ؟ أليست روايات كهنة تلك الجاهلية من صعيد الميثولوجيا؟ فى اعتقادى ان المسيل الذى سده مينيس لم يكن الا انحرافا فى النيل من شأنه ايذاء الرى فى الدلتا. وما يعزز هذا الافتراض، على رغم شهادة هيرودتس، انك اذا سرحت النظر من الاهرام، فى هذا الوادى، لاتتبين فيه اى مضيق يحمل على الظن بقيام حاجز قديم هناك. ويلوح ان سافارى اجهد نفسه ليبين ان الفجوة الكبيرة المسماة «بحر بلا ماء» اشارة الى كونها مجرى قديما للنيل، كانت تنتهى الى السد الوارد ذكره تحت منفيس، فى حين ان جميع الرحالين الذين الم اليهم دانفيل يجعلون نهايتها فى الفيوم التى هى تتمة طبيعية لها. ويقتضى لاثبات هذا الواقع الجديد رؤية الامكنة نفسها. ولم اسمع قط فى القاهرة من قال ان سافارى قد تقدم فى الجنوب الى ما يجاوز اهرام الجيزة. ان تكوين الدلتا الذى يستدل عليه سافارى من هذا التبدل امر لا يعقل، اذ كيف يجوز لك «فى هذه الثورة المفاجئة» ان تتصور «ان وطأة المياه الهائلة التى انصبت فى مدخل الخليج قد جزرت مياه البحر»؟ ان اصطدام كتلتين سائلتين لا يحدث الا امتزاجا لا يلبث ان يفضى الى مستوى مشترك

بينهما. صحيح ان الرحالة يضيف: «لقد تراكم الطين والرمل اللذان جرهما النيل، وجزيرة الدلتا التي كانت صغيرة باديء ذي بدء قد خرجت من مياه البحر وارجعت حدوده.».

ولكن كيف تخرج جزيرة من البحر؟ ان المياه الجارية تحدث انبساطا لا تراكما، وهذا ما يسوقنا الى مسألة الارتفاع.

ارتفاع الدلتا

ان هيرودوتس، الذي عرف عن الارتفاع ما عرفه عن الانبساط، لم يتطرق الى مقدار كليهما. على انه اورد واقع يستند اليها سافاري ليخلص منها الى نتائج وضعية. واليك ملخص قوله:

«في ايام مواريس الذي عاش قبل حرب طروادة بخمس مئة سنة، كانت ثماني اذرع كافية لغمر الدلتا في كامل اتساعها. ولما جاء هيرودتس الى مصر كان يقتضي لذلك خمس عشرة، وفي عهد الامبراطورية الرومانية ست عشرة، والنيل الضخم حتى اثنتين وعشرين. واذن فقد ارتفعت الدلتا اربع عشرة ذراعا خلال ثلاثة الاف ومائتين وثمانين سنة.»

نعم، اذا سلمنا بالوقائع على ما بسطت. بيد اننا اذا استقيناها من ينابيعها نجد ان بعض اللواحق تشوه المبادئ والنتائج فلنورد نص هيرودتس:

«يروى الكهنة المصريون انه في ايام الملك مواريس كان النيل يغمر الدلتا بارتفاعه ثماني اذرع فقط. وفي ايامنا نحن لا يمتد على البلاد اذا لم يرتفع ست عشرة ذراعا او خمس عشرة على الاقل. والحال انه لم تنقض بعد تسعمائة سنة على موت مواريس حتى يومنا هذا.».

فلنحسب: من مواريس حتى هيرودتس: ٩٠٠ سنة، من هيرودوتس حتى ١٧٧٧: ٢٢٣٧، او الفان ومئتان واربعون سنة اذا شئت، فيكون الجمع ٣١٤٠.

فمن اين اتت الزيادة (١٤٤ سنة) في حساب المسيو سافاري؟

ولم يعتمد حسابا غير حساب المؤلف؟

فلنتخط ذلك الى التسلسل التاريخي.

في ايام هيرودوتس كان يقتضي لغمر الدلتا ست عشرة ذراعا او خمس عشرة على الاقل، كذلك في ايام الرومانيين كان الحد المعين خمس عشرة وست عشرة.

يقول استرابون: «ان الفيضان لم يكن ليعم البلاد، قبل بترونيوس، ما لم يبلغ ارتفاع النيل اربع عشرة ذراعا.» على ان هذا الحاكم كان يحصل عن طريق الفن على ماكانت الطبيعة تضن به. فكان الفيضان يعم اذا ما ارتفع النيل اثنتي عشررة ذراعا. ولم ينقض العرب هذا القول. فان احد كتبهم ينطوي على جدول مفصل لجميع فيضانات النيل من السنة الاولى للهجرة (٦٢٢) حتى السنة ٨٧٥ هجرية (١٤٧٠). ويتبين من هذا الكتاب ان النيل، في أحدث العهود، اذا كان عمق مجراه اربع عشرة ذراعا، فالخير والمؤنة مضمونتان لسنة، او كان عمقه ست عشرة فالمؤنة لسنتين، ولكنه اذا تدنى عن اربع عشرة او بلغ اثنيي عشرة فهنالك قحط. وهذا مايتفق ورواية هيرودوتس ان الكتاب الذي استشهد به عربي اللغة، ولكن النتائج في متناول الجميع. وحسب المطالع ان يراجع كلمة «النيل» في المكتبة الشرقية لهربلوHerbelot او مختارات القلشندي في «رحلة» الدكتور شو.

ان نوع الاذرع لا يحتمل الالتباس. فقد برهن فريره ودانفيل وبايي Freret, Dainville, et Bailli ان الذراع المصرية ما انفكت محددة باربعة

وعشرين قيراطا ما يوازى عندنا عشرين قيراطا ونصف القيراط. والذراع المصرية الحالية مجزأة الى اربعة وعشرين قيراطا. على ان الاعمدة المستعملة لقياس علو النهر قد طرأ عليها تشويه لا يجوز اغفاله.

يقول القلشندى:

«تبين للعرب، اول عهدهم فى مصر، ان الناس كانوا يتهافتون على جمع مؤنة السنة كلما ظهر ان النيل لم يبلغ حد الفيضان. وكان هذا الامر يشوش النظام. فرفعت الشكوى الى الخليفة عمر، فامر عمرو بن العاص ان يتفحص الامر. واليك ما بسط عمرو امام الخليفة: لقد قمنا بالبحث الذى امرت به، فتبين لنا ان النيل اذا ما ارتفع الى اربع عشرة ذراعا فالغلة تكفى للسنة، واذا بلغ ست عشرة ذراعا كانت الغلال فائضة، ولكنها رديئة اذا كان الارتفاع اثنتى عشرة ذراعا او ثمانى عشرة. ولما كان الشعب يعرف ذلك مما يذاع عليه فى الخطب عادة، فقد نتجت بعض الامور التى تعرقل التجارة.»

وقد يكون عمر فكر فى الغاء الخطب تلافيا لهذه المحاذير، ولكن الامر لم يكن مما يمكن حدوثه، فابتدع ـ برأى ابى طالب ـ طريقة اسفرت عن النتيجة نفسها. كان مقياس النيل مجزأ الى اذرع واحدتها اربعة وعشرون قيراطا، فامر عمر باتلافه وابدل منه آخر وضعه فى جزيرة الروضة، وامر ان تكون اذرعه الاثنتى عشرة السفلى مؤلفة من ثمانية وعشرين قيراطا عوضا عن اربعة وعشرين، وان تبقى الاذرع العليا على ماكانت عليه من قبل، أى أربعة وعشرين قيراطا للذراع الواحدة. وافضى الامر عندئذ الى ان النيل اذا علم على المقياس درجة اثنتى عشرة ذراعا كانت حقيقة ارتفاعه اربع عشرة ذراعا، لان كل ذراع من هذه الاذرع الاثنتى عشرة كانت تزيد اربعة قراريط اى مجموعا مقداره ثمانية واربعون قيراطا توازى ذراعين اثنتين، بحيث ان الاعلان عن ارتفاع المياه الى اربع عشرة ذراعا، وهو الحد المؤذن بغلال «كافية»، كان يشير فى الحقيقة الى انها بلغت درجة «الفيض». على ان هذه الخدعة التى جازت على الجمهور لم تفت مؤرخى العرب. فقد اضافوا على ما سبق ان مقاييس الصعيد ـ او مصر العليا ـ بقيت مقسمة على اساس اربعة وعشرين قيراطا، وان الحد «ثمانية عشر» كان دائما ضارا، و«التسعة عشر» نادرا جدا، والعشرين يكاد يكون اعجوبة.

وما كان الاطراد اذن الا زعما باطلا، وباستطاعتنا ان ندحضه بواقعة اولى هى ان حالة النيل لم تتبدل سحابة زمن معروف يطول الى ثمانية عشر قرنا، فلماذا تبدلت حاله اليوم، وكيف انتقل منذ السنة الالف والاربعمائة والثلاث والسبعين من خمسة عشر قيراطا الى اثنين وعشرين بمثل هذه المفاجأة؟ ان هذه المسألة سهلة الحل. ولست ابحث عن تفسير لها فى الوقائع الطبيعية، بل فى ملابستها فليس النيل هو الذى تبدل، بل العمود ومقاييسه. والسر الذى يحيطه به الاتراك يحول دون تثبت الرحالين فيه. على ان بوكوك الذى استطاع ان يراه [اى المقياس] سنة ١٧٣٩ يروى ان درجات الاذرع كانت مشوهة وغير متساوية. وهذا ما يحمل على الاعتقاد بان الاتراك تمثلوا بعمر وشوهوا فيه تشويها جديدا. وثمة امر يبدد الشك فى هذا الصدد: ان نيبوهر ـ الذى لا يجوز التريب فى ملاحظته ـ قام سنة ١٧٦٢ بقياس معالم الفيضان على حائط فى الجيزة، فتبين له ان النيل قد هبط فى يونيو اربع وعشرين قدما

فرنسية، إذا حولتها إلى أذرع باعتبار الذراع عشرين قيراطا ونصف القيراط، حصل لك اربع عشرة ذراعا وقيراطا واحدا. صحيح ان النيل يستمر في الهبوط بعد ذلك ثمانية عشر يوما، ولكن اذا حسبنا درجة هبوطه نصف ذراع بحسب تقدير بوكوك يكون المحصل اربع عشرة ذراعا ونصف الذراع . وهذا ما يلتقي والحساب القديم تماما.

وثمة زعم اخذ به سافاري لا يمكنني التسليم به دون تحفظ . يقول في الصفحة الرابعة عشرة من رسالته الاولى:

«منذ اقامتي في مصر، درت حول الدلتا مرتين حتى اني اجتزتها من قناة المنوفية، وكان النهر يجرى ملء ضفافه في ساعدى دمياط والرشيد وفي السواعد التي تخترق داخل البلاد، ولكنه لم يكن يطمى على الارض الا في الاماكن المنخفضة حيث كانت تبضع السدود لرى حقول الارز».

ويستنتج من هنا:

«ان الدلتا هي حاليا في الوضع الاكثر مواءمة للزراعة، لان هذه الجزيرة بحرمانها الفيضان قد ربحت «كل سنة ثلاثة اشهر يقضيها الصعيد تحت المياه.»

ليس ماهو اغرب من هذا الربح، فاذا كانت الدلتا تربح من عدم الفيضان فلاى سبب كان؟ يقول ان «المجارى تقوم مقام الفيضان».

على ان تشبيه الدلتا بغياض السين من الخطأ بمكان. فالماء ليس في مستوى الارض الا حيال البحر، وهو دون مستواها في اى مكان آخر. والضفاف ترتفع كلما صعدت في البر. واذا جاز لي ان اورد شهادتي، اثبت انني عند انحداري من القاهرة الي رشيد لاحظت في السادس والعشرين والسابع والعشرين والثامن والعشرين من شهر سبتمبر ١٧٨٣ ان بعض رقاع الحقول ما برحت مغطاة، على كون المياه قد تقلصت عنها منذ خمسة عشر يوما، وان الاماكن المنكشفة تحمل آثار الفيضان. فالامر الذى يلمح إليه سافارى، ان هو الا نتيجة فيضان ردئ، ولا يجوز القول ان ارتفاع الارض قد غير في حالة الدلتا او ان الامر افضى بالمصريين الى ان يحصلوا على الماء بالوسائل الميكانيكية وهي مرهقة ومحدودة ففي جنوب الدلتا تروى الأرض بالشادوف لان المياه تكون في مستوى الأرض، اما في شمالها فتروى بالسواقي.

بقي علينا ان نحل مسألة اذرع مواريس الثماني، ولا احسب ان لها اسباب من غير هذا النوع. يظهر ان المقاييس قد طرأ عليها تبديل بعد عهد هذا الامير، فاصبحت الذراع ذراعين. ويعزز هذا الافتراض ان مصر لم تكن في عهد مواريس مملكة واحدة بل ثلاثا ماين اسوان والبحر. فجاء سيزوزتريس ووحدها بالفتح، ولكنها عادت بعد هذا الامير الى انقسامها وظلت عليه حتى عهد بسامتيك. . ان هذا الانقلاب في المقاييس ينطبق كل المطابقة على سيزوزتريس الذى احدث مثله في الحكومة. فهو الذى جدد الشرائع والادارة ، واقام السدود ، ومهد طرق المدن والقرى، وحفر من الترع عددا تمكنت معه مصر من اهمال العجلات التي كانت تستخدم حتى ذلك العهد، على ما ذكر هيرودتس.

ومن الحسن ان نذكر ان الفيضان متفاوت الدرجات، فهو غير متماثل في مصر كلها، بل يتدرج في الهبوط كلما انحدر النهر. فالطمى في اسوان اضخم منه في القاهرة بمعدل السدس. وعندما يبلغ سبعا وعشرين قدما في القاهرة ، لا يكاد يبلغ اربع اقدام في دمياط والرشيد. ومرد ذلك

الى ان النهر يرتفع اكثر فأكثر فى مجراه الواحد وواديه الضيق برغم كمية الماء التى تتشربها الاراضى ، وبالعكس فهو بعد مجاوزته القاهرة وانعتاقه من تضييق الجبال عليه وتوزعه بين آلاف الشعاب، يخسر حتما فى العمق ما يربحه فى الانبساط.

يدرك مما ذكرت مبلغ غرور الذين توهموا انهم عرفوا بالضبط مقدار ارتفاع الدلتا وتوسعها. ولكننى ، وقد نبذت الاحوال التوهمية، لا يسعنى انكار اساس الوقائع نفسها، فهى مؤيدة بالتعليل وبتفحص الارض. مثل ذلك ان ارتفاع الارض يثبته ، فى نظرى ، امر لم يؤبه له كثيرا: انك اذا ذهبت من رشيد الى القاهرة، والمياه منخفضة شأنها فى شهر مارس، تبين لك كلما صعدت فى النهر ان الضفة ترتفع تدريجيا فوق المياه، فاذا علاها قدمين فى رشيد علاها ثلاثا او اربعا فى فوه واكثر من اثنتى عشرة فى القاهرة. فاذا عللنا هذا الواقع يمكن الاستدلال منه على ارتفاع الارض بفعل الرواسب، لان طبقة الطين التى تتناسب وسماكة طبقات الماء الراسبة منها يجب ان تكون اكثف او الطف بحسب عمق الطبقات، وقد رأينا انها تسير بتدرج مماثل من اسوان حتى البحر.

ويظهر تضخم الدلتا بصورة مدهشة فى شكل الارض المصرية على البحر المتوسط. فاذا ترسمتها على الخارطة رأيت ان الارض التى فى خط النهر ـ تلك الارض المكونة من مادة غرينيه ـ قد اتخذت نتوءا نصف دائرى ، وان خطوط شاطئ جزيرة العرب وافريقيا التى يضفو عليها تذهب فى اتجاه مقعر نحو عمق الدلتا يدل على ان هذه الارض كانت خليجا ملأه الزمن.

ان ظاهرة الترسيب فى خلجان، وهى عامة لكل الانهر، تجرى بطريقة آلية عامة ايضا، فمياه الامطار والثلوج المتحدرة من الجبال الى الاودية تجترف ما تقتلعه من الاتربة فى سقوطها. اما القسم الوازن من هذه الانقاض كالحصى والرمال فلا يلبث ان يقف اذا لم يدفعه تيار سريع. على ان المياه اذا لم تصادف إلا تربة ناعمة خفيفة فهى تحمل منها كميات وافرة وتجر كثبانها بسهولة. والنيل الذى صادف من امثال هذه المواد فى بلاد الحبشة وافريقيا الداخلية قد استخدمها لتعجيل العمل. فقد حملتها مياهه وامتلأ منها مجراه، حتى أنه غالبا ما برم بها وعرقلت مجراه. على انه عندما يستعيد قواه بالفيضان يدفع هذه الكثبان الى البحر، ويستقدم غيرها فى الوقت نفسه للفصل التالى: فاذا ما بلغت الاوحال مصبه تراكمت وتكونت منها رملات، لان المنحدر يخفف من فاعلية المجرى، فى حين ان البحر يقيم توازن مقاومة. وينتج عن ذلك ركود يضطر العكر الطافى ان ينحدر الى اسفل ويستقر فى الاماكن الاقل اضطرابا كالشواطئ. وهكذا يشرى الريف شيئا فشيئا من انقاض البلاد العليا والدلتا نفسها، لان النيل ينتزع من الحبشة ما يعطى الصعيد، ومن الصعيد ما يعطى الدلتا، ومن الدلتا ما يدفعه الى البحر. فحيثما ينساب يعرى الارض التى يغنيها فى وقت معا. فاذا صعدت نحو القاهرة، والمياه منخفضة ، رأيت الحوافى المنحوتة عموديا تنهار رقعا لان النيل يحتفرها شيئا فشيئا من أسافلها، مانعا تربها الرقيقة من السند، فتنهار فى مسيله. وعند فيوضة المياه تبتل التربة وتنداف، ثم لا تلبث ان تتفلع بفعل الشمس والجفاف وتتساقط رقعا كبيرة يجرها النيل. وعلى هذه الصورة تكبست الترع الكثيرة واتسع غيرها بارتفاع قعر النهر ارتفاعا مستمرا. وهذا ما حدث للترعة الممتدة من النضير الى فرع دمياط. فهذه القناة التى حفرتها فى البدء

يد الانسان قد اصبحت شبيهة بنهر السين فى اماكن متعددة، وهى تسد مسد الفرع الاصلى الواصل بطن البقرة بالنضير الذى يتكبس حتى يوشك ان يصبح ارضا يابسة اذا لم يستفرغ. وسبب ذلك ان النهر ينزع باستمرار نحو الخط المستقيم حيث هو اكثر ما يكون قوة واندفاعا. وهو من اجل هذا السبب نفسه قد تحول نحو فرع بلبطين الذى لم يكن فى الاصل الا قناة اصطناعية.

ويستدل ايضا من حركات النهر هذه ان التكبس يجب ان يحدث على خطوط المصاب الكبرى والتيارات الاشد. ومنظر الارض ينطبق على هذه النظرية، لان تفحص الخارطة يدل ان نواتئ الارض اكثر ما تلاحظ فى اتجاه ساعدى دمياط ورشيد، وما يجاورهما او يتوسطهما من الاراضى بقى بحيرات ومستنقعات شائعة بين اليابسة والبحر، لان الاقنية الصغيرة التى تتخللها لم يكن فى استطاعتها ان تحدث الا تكبسا ناقصا. فالرواسب والطين تنهد ببطء لا يرتفع بها الى ما فوق المياه ما لم يتدخل عامل اكثر فاعلية وهو البحر. فهو الذى يعمل دون ما تمهل على رفع مستوى الشطوط الواطئة فوق مياهه. وفى الواقع ان امواجه المتلاشية على الشاطئ تدفع ما تصادفه من طين ورمل، وتركم دفعاتهم هذا السد الطفيف وتكسبه ارتفاعا لا يتيسر قط فى المياه الساكنة. وهذه الظاهرة يحسها السائر على ضفاف البحر عند شاطئ واطئ خاسف، شرط الا يكون للبحر تيارات على الساحل، لانه اذا كان يخسر فى الاماكن التى تدور فيها مياهه فهو يربح حيثما تتحرك. ومتى اصبحت الرملات الخصبة فى مستوى الماء استولت عليها يد الانسان ، ولكن عوضا عن ان يقال انها رفعت مستواها فوق المياه يجب ان يقال انها انزلت مستوى المياه، لان الاقنية المحفورة تجمع فى مساحات صغيرة طبقات الماء التى كانت تمتد على مساحات اكثر اتساعا. ويبدو ان الدلتا تكونت ببطء استمر سحابة قرون مجهولة المدى، ولكن الطبيعة لا يعوزها الزمن.

لا شك ان المجال مايزال واسعا فى هذه البلاد للاستقراء واعادة النظر، ولكنهما ، على ماسبق وذكرت، يصطدمان بعقبات يحتاج تذليلها الى وقت ومهارة وبذل. وكثيرا ما تكون العقبات العرضية اكثر خطورة من العقبات الجوهرية. دليل ذلك ما حدث للبارون دى توت Le Baron de Tott فى صدد مقياس النيل. فقد بذل المال عبثا للمنادين حتى يتبين حقيقة ارتفاع النيل، فكانت اقوالهم المتناقضة تدل على احد امرين: اما سؤ النية، او الجهل المشترك. وقد يقول قائل انه يحسن صنع ركائز قياسية فى بيوتات خاصة. بيد ان هذه العمليات البسيطة نظريا، مستحيلة التحقيق عمليا، وتعرض من باشرها الى اخطار جسيمة ، لان مجرد فضول الفرنسيين عند قدومهم يسوء الاتراك، فهم يحسبون ان لهم مطمعا فى البلاد، لان ما يقوم به الروس مضافا الى الظنون السائدة لما يعزز فيهم التريب، وتروج فى هذا الوقت الشائعات ان الزمن المتنبأ عنه قد حل، وان ثمة انقلابا فى الحكم والدين والمصير الخ الخ. وبعد، فلنعد الى ما نحن فى صدده.

انى ألما الماما خفيفا بفصل الفيضان وهو معروف ، وبتدرجه تدرجا ضئيلاً وغير فجائى، وبتنوع حالاته التى تظهره تارة خفيفا وتارة شديدا ، او مما لا يؤبه له فى بعض الاحايين. والحالة الاخيرة نادرة جدا وا ن تكن قد حدثت مرتين او ثلاثا على ما يذكرون. ان جميع هذه الامور عمت معرفتها

الى حد لا يجوز معه التكرار. ومن المعروف ايضا ان اسباب تلك العوارض التى كانت لغزا للاقدمين لم تعد لغزا للاوروبيين. فمنذ انبأهم رحالوهم ان الحبشة والبقاع الملاصقة لها من افريقيا تغمرها الامطار فى مايو، يونيو، يوليو، فقد استدلوا بذلك على ان تلك الامطار بحكم طبيعة الارض تتحدر من آلاف الجداول وتستجمع فى واد واحد لتظهر على الضفاف البعيدة غمرا مهيبا يستغرق سيلانه ثلاثة شهور.

اننا نترك للفيزيين اليونانيين الزعم القائل بان ضغط الرياح الشمالية يوقف مجرى النهر. ومن العجب ان يكونوا القائلين بهذا التفسير ، لان الريح اذا كانت تؤثر فى سطح المياه فهى لا تحول دون خضوع العمق للانحدار. وعبثا حاول بعض المعاصرين الاستشهاد بمثل البحر المتوسط الذى اذا ما استمرت الريح الشرقية يعرى شاطئ سوريا مقدار قدم او قدم ونصف القدم ليغطى شواطئ اسبانيا بالمقدار نفسه، حتى اذا هبت الريح الغربية كان المفعول معكوسا. فلا وجه مقابلة بين بحر لا انحدار فيه ونهر، وبين بسطة المتوسط والنيل، وبين ست وعشرين قدما وثمانية عشر قيراطا.

موجز تاريخ على بك

يعتور مولد هذا الرجل غموض وريبة، شأنه بذلك شأن معظم المماليك، فهم وقد باعهم ذووهم فى سن الحداثة او انتزعهم الاعداء، لا يعون من اصلهم ومن وطنهم إلا قليلا من شيء وكثيرا ما يكتمون ذلك. وفى رأى جدير بالثقة انه متحدر من عشيرة الاباظيين فى القوقاس. وارقاء هذه العشيرة مرغوب فيهم. وقد نقله النخاسون الى القاهرة فى جملة ما نقلوا، فاشتراه هناك اليهوديان اسحق ويوسف واهدياه الى ابراهيم الكاخية [كتخدا]. ويقدر عمره وقتئذ باثنتى عشرة سنة او اربع عشرة. بيد ان الشرقيين، مسلمين ونصارى، لا سجلات للمواليد عندهم، فلا تعرف اعمارهم بالضبط. وقام على عند سيده الجديد بمهام المماليك وهى المهام التي يضطلع بها غلمان الامراء. ودرب هناك على الفروسية والرماية وتسديد الجريد وضرب السيف. ولقن بعض مبادئ الكتابة والقراءة. واظهر فى ممارسته هذه التمارين من النزق ما جعل القوم يلقبونه «الجن على» وهى لفظة تركية معناها المجنون. على ان مشاغل الطموح ماعتمت ان لينت طباعه وكبحت من جماحه. ولما راوحت سنة بين الثامنة عشرة والعشرين، اذن له سيده بارسال لحيته. ومعنى ذلك انه اعتقه، لان الوجه الامرد عند الاتراك خاص بالعبيد والنساء. وهم من أجل ذلك يتأففون من منظر الاوروبيين لاول وهلة. ومنذ اعتقه ابراهيم وهبه، زوجة وريعا، واسند اليه منصب كاشف، اى حاكم مقاطعة. ثم احله فى مصاف البكوات الاربعة والعشرين. وما كانت هذه الرتب مضافة الى المكانة والثروة اللتين احرزهما الا لتوقظ فيه الطموح. فلما مات سيده فى السنة ١٧٥٧ وجد المجال فسيحا امام مراميه، فاشترك فى كل الدسائس التى كانت تهدف الى تولية الحكام او عزلهم. وعليه تقع تبعة اغتيال الكاخية رضوان. وكان الحاكم عندئذ عبد الرحمن ، وهو رجل ضعيف السلطة بذاته، الا ان بعض الاحزاب المتآلفة كانت تسانده . وكان على عهدئذ شيخ البلد، فرأى فى وجود عبد الرحمن على رأس القافلة المتجهة الى مكة فرصة للايقاع به، فنفاه. ولكنه مالبث ان نفى بدوره الى غزة. سوى ان غزة الواقعة فى ولاية الباشا التركى لم تكن فى نظره مكانا امينا تطيب فيه الاقامة. فذهب فى اتجاهها ايهاما، ثم تحول فى اليوم الثالث الى

الصعيد حيث لحق به انصاره. واقام في جرجا زهاء سنتين قضاهما في تهيئة وانضاج ما يعتزمه من الاستيلاء على السلطة. وكان له في القاهرة اصدقاء يمدهم بالمال الوفير، فاستدعوه اليها في السنة ١٧٦٦ . فظهر فيها على حين غرة، وقتل في ليلة واحدة اربعة بكوات، ونفى اربعة آخرين، حتى اصبح رئيسا على الغالبية. واذ استجمعت السلطة كلها في يده، عزم على ان يستخدمها في سبيل تعظيم شأنهن. ولم تقف مطامعه عند لقب القائد، بل رأي في سيادة الاستانة ما يجرح كبرياءه، ونهدت نفسه الى لقب سلطان مصر. وانحصرت جميع مساعيه في هذا الاتجاه، فطرد الباشا الذى كان قد اصبح مجرد اداة تمثيلية، ورفض الجزية المعتادة. وفي السنة ١٧٦٨ امر بسك العملة ووسمها بطغرائه . فوجم الباب العالى لهذا الافتئات، ولكن قمعه كان يقتضى حربا صريحة لم تكن الاحوال مواتية لها، لان اسياد الاستانة كانت تشغلهم مسائل بولندا ومطامع الروس، فصرفوا همهم كله الى الشمال، وحاولوا تجاه على طريقتهم المعتادة في مثل هذه الاحوال، فاوفدوا نحوه مبعوثيهم المعروفين باسم القبوجيين يحملون مراسيم المشنقة. ولكنه كان يستقبلهم بالسم او الخنجر، فيحبط مساعيهم. فرأى على ان الفرصة مناسبة للايغال في مقاصده الى ابعد حدود النجاح. وكان يحتل الصعيد وقتئذ شيوخ من العربان على شيء من التمرد. وكان احدهم همام يتمتع بنفوذ يدعو الى القلق .فشاء على ان يتخلص منه، واحتج بكون هذا الشيخ يمسك على ابراهيم الكاخية مالا قد ائتمن عليه ، وبانه يؤاوى العصاة اللائذين به. فوجه عليه كتيبة من المماليك بقيادة محمد بك ابادت هماما وقواته في يوم واحد . وكان ذلك في سنة ١٧٦٩ .

وشهد هذا العام حملة اخرى ترامت نتائجها الى القارة الاوروبية نفسها. فقد سلح على السفن في السويس واطلق عليها المماليك صوب جدة مرفأ مكة، وامر القائد حسن بك ان يحتلها، فيما انطلقت من البر كوكبة من الفرسان بقيادة محمد بك فاستولت على مكة نفسها، واعملت النهب فيها. وكان غرضه ان يجعل من جدة مستودعا لتجارة الهند. وهذه الخطة التي اوعز بها اليه تاجر شاب من البندقية حظى بثقته، كان يقصد بها اهمال خط رأس الرجاء الصالح والاستعاضة عنه بالطريق القديمة عبر البحرين المتوسط والاحمر. بيد ان عاقبة الحوادث دلت على انه استعجل الامر، وان الشرائع يجب ان تسبق الذهاب الى البلاد التى يرجى لها الازدهار.

وحسب على، بعد انتصاره على امير ضئيل الشان في الصعيد وفتحه اكواخ مكة، ان من حقه السيطرة على العالم بأسره.

واوهمه رجال بطانته انه كسلطان الاستانة شوكة وسطوة، فآمن بما قالوا . ولو اعمل الفكر قليلا لتحقق ان مصر بالنسبة الى سائر السلطنة دويلة صغيرة. وان ثمانية الاف فارس تحت امرته لا تحسب شيئا يذكر تجاه مئة الف انكشارى مرتهنين باشارة السلطان. ولكن المماليك يجهلون تقويم البلدانن. وكان على، وهو يرى مصر عن كثب، يحسب انها اوسع من تركيا التى ينظر اليها من بعيد. فعزم على مباشرة فتوحاته. ومن الطبيعي ان تكون سوريا، وهي على بابه، اولى مبتغياته. كانت حوادث تلك الايام توائم مقاصده. فالحرب الدائرة مع روسيا من السنة ١٧٦٩ تشغل القوات التركية جميعها في الشمال، والشيخ عمر الضاهر المتمرد على السلطان حليف امين مقتدر، واختلاسات باشا دمشق تهيئ الافكار للثورة. اذن، ما اجملها فرصة

لاحتلال ولايته والخروج من هذه المغامرة بلقب منقذ الشعوب ! ادرك على هذا كله، فلم يتأخر عن القيام بحركاته الا بمقدار ما تقتضيه العدة للامر. فلما استكمل الاهبة في شهر ديسمبر من السنة ١٧٧٠ جرد كوكبة من المماليك تبلغ خمسمائة فارس (والمماليك لا يسيرون رجالة قط) ، وسيرهم على غزة ليضمن النفاذ الى فلسطين. وما ان بلغ امر الاحتلال مسامع عثمان باشا حاكم دمشق، حتى هرع الى مجابهته. فارتعدت فرائص المماليك من سرعته وعدد الجنود . فامسكوا اعنة الخيل تأهبا للهرب. بيد ان عمر الضاهر الرجل الذى لم تعرف له سوريا مثيلا بالنشاط، اقبل من عكا وانقذهم من الورطة. وكان عثمان يعسكر بالقرب من يافا، فانهزم دون مانزال. فاحتل الضاهر يافا والرملة وفلسطين برمتها، وفتحت الطريق امام الجيش الكبير المنتظر.

وصل هذا الجيش نهاية فبراير من السنة ١٧٧١ ، وقد ذكرت صحف تلك الايام ان عدده ستون الف مقاتل، فحسب الناس في اوروبا انه يماثل جيوش روسيا او المانيا، وفاتهم ان الاتراك، واخصهم اتراك آسيا، يختلفون عن الاوروبيين من الناحية العسكرية اكثر مما يختلفون عنهم في العادات والاخلاق. فان ستين الف جندى عندهم ابعد من ان يوازوا ستين الف من جنودنا. وفي الجيش الذى نحن في صدده دليل على ذلك. فانه يتألف من اربعين الف رجل موزعين على الوجه الآتي: خمسة آلاف فارس من المماليك ، والف وخمسمائة مغربي رجالة. ويتبع كل مملوك خادمان راجلان مسلحان بالعصي، ومجموعهم عشرة آلاف. وثمة الفا خادم وسراج وراء البكوات، فضلا عن الباعة المرتزقة والتبع. هذا هو الجيش الذى نحن في صدده كما وصفه لي اناس شاهدوه وتتبعوه. وكان يقوم على قيادته محمد بك احد رجال بطانة علي الملقب بابي الذهب نظرا الى الترف البادى في اجهزة جواده وفرش خيمته. اما الترتيب والنظام فلا اثر لهما قط في ذلك الجيش، لان جيوش المماليك والاتراك ان هي إلا خليط غامض من فرسان لا مماثلة في ازيائهم، وجيادهم متباينة القد، مختلفة اللون. زحف هذا الحشد صوب عكا تاركا وراءه آثارا من فوضاه وتعدياته. فاتصل بجماعة الشيخ الضاهر وهم الف وخمسمائة فارس صفدى [من مدينة صفد] بامره ولده علي، والف ومائتا فارس من المتاولة بقيادة الشيخ ناصيف، ومما يقرب من الف راجل من المغاربة. فلما تم هذا الاتصال ودبرت الخطة، زحف الجيش على دمشق في خلال نيسان. وكان عثمان قد وجد متسعا من الوقت لاعداد عدته، فجمع جيشا يضاهي جيش عدوه عددا. وانضم اليه باشاوات صيدا وطرابلس وحلب، فتربصوا جميعا تحت اسوار دمشق. ولا تتصورن هنا حركات متوافقة كالتي تجعل الحرب عندنا منذ مئتي سنة علم حساب وتبصر. فلا المام للاسيويين بتلك المبادئ. وجيوشهم هواشة، وزحفهم نهب، وحملاتهم غزوات، ومعاركهم اعتراك، يسعى اقدرهم او اجرأهم الى الآخر فينهزم غالبا دون نزال. فاذا ثبت، نشب القتال واختلط المتقاتلون وتلاحموا وتفجرت البواريد، وحطمت الرماح، وتكاد تعوزهم المدافع وقلما استخدموها. وكثيرا ما يسود الرعب ولا سبب له، فيهرب فريق ويزحمه الآخر مناديا بالنصر. ويكابد المغلوب شريعة الغالب، وكثيرا ما تنتهي الحملة بانتهاء المعركة.

هذا جزء مما حدث في سوريا سنة ١٧٧١ . زحف جيش علي وعمر على الشام ، وانتظره الباشاوات ، فتقدم. وكان الامر الحاسم في اليوم

السادس من يونيو فقد صال المماليك والصفديون على الاتراك وامعنوا فى التقتيل حتى ذعر هؤلاء وادبروا. ولم يكن الباشاوات آخر المنهزمين. فسيطر الحلفاء على المدينة الخالية من الجنود والاسوار واستولوا عليها. واستقلت القلعة بالمقاومة، وليس فى اسوارها مدفع ولا مدفعى، ولكن هناك خندقا موحلا، وما وراء الخرائب بعض الرماة. وكان ذلك كافيا لكبح جماح هذا الجيش من الفرسان. على ان الحاضرين، وقد غلبوا على امرهم، عاهدوا العدو فى اليوم الثالث على التسليم، ولكن ما طلع النهار حتى حدث انقلاب هو اغرب ما تناقلته المسامع. ففى الوقت الذى كان ينتظر القوم اشارة التسليم، اذا بمحمد يصيح بجماعته الادبار، ويتحول جميع فرسانه صوب مصر. وعبثا تسارع على الضاهر وناصيف ليستفهماه سبب هذا المآل المفاجئ، فلم يحظيا من هذا المملوك الا بتهديد المتجبر. وارتحل القوم فى بلبلة. وما كان ارتحالهم انكفاء بل هزيمة، كأن العدو يعمل السيوف فى كشوحهم. وامتلأت الطريق من دمشق الى القاهرة بالمشاة والفرسان المشتتين، فضلا عن المهام والعدد المهملة. وقد جعلوا مرد هذه الحادثة الغريبة وقتئذ الى ما شاع من موت على بك. على ان عقدة اللغز الحقيقية مؤامرة سرية حصلت فى خيمة محمد ليلا، اذ ان عثمان لما استشعر عجز قواته لجأ الى الاغراء. فاوفد الى القائد المصرى احد رجاله اللبقين بحجة مفاوضته بالمصالحة، فسعى بدس الشقاق والعصيان، وادخل فى روع محمد ان الدور الذى يمثله يعرض شرفه وحياته، وانه يخطئ اذا اعتقد ان السلطان سوف لن يقتص من على بك، وان انتهاكه لحرمة مدينة مقدسة كدمشق احد البابين الى الكعبة تدنيس لها، وانه يدهش من كونه هو محمد يؤثر على حظوة السلطان رضى احد عبيده ويجعل بينه وبين الذات الشاهانية سيد آخر، وانه من المعروف ان هذا السيد يعرضه كل يوم لاخطار جديدة ويضحى به فى سبيل مطامعه الشخصية وحسد كاخيته رزق القبطى. فهذه الاسباب، واخصها الاخيران المتعلقان بمسائل معروفة، قد أثرت ابعد التأثير فى محمد واترابه البكوات، فتفاوضوا للحال فيما بينهم، واقسموا على السيف والمصحف انهم قافلون الى القاهرة فى الحال. وكان ترحلهم المفاجئ نتيجة لهذه الخطة. فقد انصرفوا عن الفتح وساروا سيرا حثيثا ، حتى ان خبر عودتهم لم يسبقهم الى القاهرة الا بست ساعات فقط. فارتاع على وحدثت النفس فى معاقبة قائده فورا. ولكن محمد كان كثيرا برفاقه، فلم يكن ثمة سبيل لاية محاولة ضده. وكان لابد من المداجاة، فلزمها على بسهولة لانه مدين بحظه لها اكثر منه لشجاعته.

لقد حرم على فجأة من ثمرات حرب كثيرة التكاليف، ولكنه لم يرجع عند مقاصده، بل استمر على ارسال النجدات الى حليفه عمر الضاهر، وحشد جيشا آخر سنة ١٧٧٢ ، ولكن الحظ سئم من مساعدة على فتحول عنه. فكانت نكبته الاولى فى خسارة سفنه التى استولى عليها القرصان الروس مقابل دمياط ، فيما كانت تنقل الارز لعمر الضاهر. ثم جاءت حادثة هرب محمود بك ضغثا على ابالة.

كان من الصعب على على ان ينسى حادثة دمشق، ولكن بقية الحب التى يضمرها المرء نحو من احسن اليهم كانت تحول دون انزاله الضربة القاضية. بيد أنه عزم عليها بعد حديث مع التاجر البندقى الذى كان يحظى بثقته.

وقد شافهنى التاجر نفسه بهذا الحديث وهو:

«قال على بك: هل لسلاطين الفرنجة اولاد يضاهون بالثروة ابنى محمد؟ فأجابه التاجر: لا،

يامولاى، وهم يحاذرون ذلك مخافة ان يعظم شأن الاولاد فتأخذهم العجلة ليرثوا آباءهم.».

ونفذت هذه الكلمة الى قلب علي كالسهم. فأصبح يرى في محمد خصما خطرا، فصمم على اهلاكه. ولكي يتم له النجاح دون مغامرة، انفذ الامر اولا الى القائمين على حراسة ابواب القاهرة بان يحولوا دون خروج اى كان من المماليك عند العصر او في الليل. ثم ابلغ محمداً انه منفى للحال الى الصعيد. وكان يقصد من هذه المناقضة ان يوقف محمد عند الابواب، وان يستولي الحراس عليه من ايسر سبيل. على ان الاقدار واربت هذه التدابير الضعيفة المبهمة. وشاء الحظ ان يؤدى سوء التفاهم الى حسبان محمد مكلفا مهمة خاصة من علي. فتركوه وشأنه يمر مع اتباعه. وهنا ضاع الامل بالنجاح. وبلغ امر الغلطة عليا، فأمر بتعقبه. على ان محمدا ابدى من رباطة الجأش ما جعل القوم يتهيبون مهاجمته. فيمم الصعيد يتأكله الغيظ وتحدوه رغبة الانتقام، ولكن خطرا آخر كان يتربص به، فان ايوب بك، احد قادة علي، تظاهر بمشاطرة المنفى احقاده، فاستقبله بفرح وابتهاج واقسم على السيف والقرآن بانه يخازبه على علي. ولم تنقض بضعة ايام حتى انجلت الوقائع عن رسائل من ايوب الى علي يعده فيها برأس عدوه قريبا. وتكشفت الدسيسة لمحمد، فألقى القبض على الخائن وقطع معصماه ولسانه، ثم أرسله الى القاهرة لينال ثواب سيده.

بيد ان المماليك ، وقد ملوا تشامخ علي، تحولوا جماعات الى خصمه. وكان اربعون يوما كافية لمحمد حتى تستجمع له قوة تمكن معها ان ينحدر من الصعيد مشرع السلاح. فقابله علي بقوة من انصاره.ولكن كثيرين منهم انضموا الى العدو. واخيرا، في خلال شهر ابريل من السنة ١٧٧٢ ، وقعت الواقعة، في سهل المصاطب [ديرالطين] عند ابواب القاهرة، ودارت الدائرة على علي، فدخل محمد المدينة بالوفير من رجاله وعدده. ولم يتسن لعلي بك الا فرصة الهرب مع ثمانمائة مملوك تبعوه. ولاول مرة في حياته قصد الى غزة. وحاول ان يذهب لفوره الى عكا مقر حليفه عمر الضاهر. ولكن اهل نابلس ويافا سدوا المسالك دونه. فاضطر عمر الضاهر، ان يأتي بنفسه ليزيل من امامه العقبات، وذهب به الى عكا. وكان جنود عثمان والدروز يحاصرون مدينة صيدا، فاستنجدته عليهم. فانطلق يصحبه علي. وكانت قوتاهما مجتمعين ، تبلغان سبعة الاف فارس. وما اقتربوا من المدينة حتى رفع الاتراك الحصار عنها، وتراجعوا صوب شماليها مسافة فرسخ حتى نهر الحولة. وهناك في شهر يوليو سنة ١٧٧٢ نشبت معركة هي اضخم معارك تلك الحرب واكثرها انتظاما. وكان جيش الترك ثلاثة اضعاف جيش الحليفين، ولكنه منى بهزيمة نكراء. فهرب قادته الباشاوات السبعة وبقيت صيدا في يد الضاهر وحاكمها الدنكزلي. وفي عودة علي بك وعمر الضاهر الى عكا انطلقا الى يافا لينزلا القصاص بسكانها المتمردين الذين حاولوا الاحتفاظ بمستودع ذخيرة وامتعة كانت قد افرغتها مراكب علي بك قبل ان يطرد من القاهرة. وكان يحتل المدينة شيخ من نابلس، فأغلق ابوابها واكرههما على محاصرتها. وبدأت هذه الحملة في شهر يوليو ، واستمرت ثمانية اشهر على كون يافا لا يعصمها الا جدار بستاني لا خنادق حوله. ذلك بأن السوريين والمصريين يعوزهم المران في حرب الحصار شأنهم في حرب البر. واخيرا استسلم المحاصرون في شهر فبراير من سنة ١٧٧٣ . واستعاد علي حريته فاصبح شغله الشاغل ان يرجع الى مصر. ووعده عمر الضاهر بالنجدة، في حين ان الروس وعدوا

بمساندته، وكان قد حالفهم بعد قضية القرصنة التى سبق ذكرها عند دمياط. على ان استجماع تلك الوسائل الشتى يحتاج الى وقت، وعلى نافذ الصبر، وما كانت وعود رزق كاخيته ورجام الغيوب عنده الا لتزيده طماحا، فما برح هذا القبطى يؤكد له ان ساعة عودته قد آذنت، وانها، على ما تدل الكواكب، ستتم فى احسن الاحوال واكثرها موائمة، وان ثمة دلائل على ان محمد صائر الى هلاك اكيد. وكان على، شأن سائر الاتراك، يعتقد بالتنجيم ويثق برزق ثقة يسرها ان تنبؤاته كثيرا ما كانت تصدق وتصح. فيم الانتظار اذن؟ وجاءته عن القاهرة انباء عجلت فى نفاد صبره. ففى أوائل شهر ابريل وردت عليه رسائل من اصدقائه يذكرون فيها انهم سئموا عبده العاق، وانهم ينتظرون رجوعه للاقتصاص من محمد. فقرر المسير للحال. ولم يبق فى وسعه ان ينتظر قدوم الروس، فانطلق مع المماليك والف وخمسمائة رجل من الصفديين بقيادة عثمان بن عمر الضاهر. بيد انه كان يجهل ان رسائل القاهرة ان هى الا مكيدة من محمد نفسه استكتبها مرسليها عنوة ليخدع عليا ويوقعه فى الشرك المنصوب له. وفى الواقع ما كاد على يتورط فى الصحراء بين غزة ومصر حتى التقى فرقة مختارة من المماليك يبلغ عدد رجالها الف مقاتل يتولى قيادتهم مراد بك، وهو فتى من المماليك شغف بامرأة على بك، فوعده بها محمد اذا سلمه رأس زوجها. وما لاح لمراد غبار الاعداء عن بعد حتى انقض عليهم وبعثرهم. واستتم الحظ له فالتقى عليها فى المعمعة وجها لوجه، فهاجمه وساف جبينه فجرحه وقبض عليه ثم استاقه الى محمد. وكان هذا الاخير على مسافة فرسخين وراء الجيش، فاستقبل سيده القديم وبالغ فى توقيره والحدب عليه مبالغة تنم عند الاتراك على الغدر، وخصه بخيمة فاخرة الرياش، واوصى بالعناية التامة به، وكرر انه الف مرة عبده الذى يلثم موطئ قدميه. على ان هذه المأساة انتهت فى اليوم الثالث بموت على، وعزاه البعض الى جراحه، فيما عزاه البعض الاخر الى السم. والاحتمالان متعادلان بحيث يتعذر الترجيح.

هكذا انتهت حياة هذا الرجل الذى استوقف اهتمام اوروبا حقبة من الزمن، وتوقع بعض الساسة من ورائه انقلابا خطيرا. لا ريب انه كان رجلا خارقا، ولكن من المبالغة ان نحله فى مصاف الرجال العظام. ويروى الشهود الثقاة انه كان ينطوى على كثير من المزايا الفطرية، الا ان افتقاره الى الثقافة حال دون نمائها النماء الذى يجعل منها فضائل كبرى. لنتجاوز عن اعتقاده بالتنجيم الذى كان يسير اعماله اكثر مما كان يسيرها التبصر فى الاسباب والاحوال، ولنتجاوز عن خياناته وحنثه بالعهود والايقاع بالمحسنين اليه، تلك الوسائل التى تذرع بها لتولى السلطة واستبقائها فى يديه. ولا ريب ان الخلقيات عند جماعة امرهم فوضى هى غيرها عند قوم يسودهم السلام. على اننا اذا حكمنا على اهل المطامع بمقتضى المبادئ التى يقولون بها، نرى ان على بك وضع خطة للتوسع فلم يترسم خطوطها، وعمل على هلاك نفسه. ومن الحق خاصة ان نأخذ عليه ثلاثة اخطاء:

١ ـ نزعته على غير تبصر الى الفتوحات التى نفدت معها مداخله وقواته وصرفته عن ادارة بلاده الداخلية.

٢ ـ ركونه الى الراحة قبل الاوان وتحويل العمل على معاونيه مما حط من قدره عند المماليك، وجرأ الناس على الثورة.

٣ ـ واخيرا، اغداقه الثروات الهائلة على رأس احد خاصته مما اكسب هذا الاخير مكانة افرط فيها

وتجاوز. ولو افترضنا ان محمدا من اهل الفضيلة، اما كان يجدر بعلى ان يحذر غواية المداهنين الذين يلتفون فى كل بلاد الناس حول الجاه والنعم؟ على ان ثمة مزية جديرة بالاعجاب تميز على بك من سائر الطغاة الذين تعاقبوا على الحكم فى مصر. لئن تكن عيوب التربية الرديئة قد حالت دون معرفته المجد الحقيقى، فمن الثابت انه كان طماحا اليه، وما كان هذا الطموح يوما مراد النفوس الوضيعة. ولم يكن يعوزه الا مقربون يعرفون السبيل الى ذلك المجد، وقلائل هم القادة الذين يستحقون هذا الاطراء.

ولا يسعنى السكوت عن ملاحظة سمعتها فى القاهرة. ان التجار الاوروبيين الذين شهدوا عليا حاكما ومخلوعا يطرون ما اتصف به من حلم وتشيع للعدل وعطف على الفرنجة، ويدهشون لعدم تأسف الشعب عليه، فينعتون هذا الشعب بالتقلب او نكران الجميل. على ان هذا الامر لا يبدو غريبا فى نظرى. فان احكام الشعب فى مصر وغيرها تمليها عليه احوال معاشه. فبمقدار ما يكون الحكام قد عسروها له او يسروها، يبادلهم مقتا وذما او ثناء ورضى. وما كانت هذه الطريقة يوما عمياء اوجائرة، ومتى اعوز الخبز الجماعات فمن اقل حقوقها ان تضن بعرفان الجميل والاعجاب. ماذا يعنى شعب مصر ان يفتح على الصعيد او مكة او سوريا اذا لم تكن هذه الفتوحات عاملة على تحسين حاله؟ وقد حدث فى الواقع ما افضى بالبلاد الى اسوأ مآل. فان نفقات الحروب ادت الى تفاقم الضرائب، فبلغت تكاليف حملة مكة وحدها ستة وعشرين مليونا بعملة فرنسا. وخرجت المؤن من البلاد وراء الجيوش، ولجأ بعض التجار المقربين الى الاحتكار، فحدثت مجاعة عمت البلاد طوال سنتى ١٧٧٠ و ١٧٧١. فهل اخطأ سكان القاهرة وفلاحو المزارع الجائعون بتذمرهم من على؟ وهل اخطأوا بتقبيح تجارة الهند التى انحصرت منافعها فى ايد معدودات؟ واذا كان على قد انفق خمسة وعشرين الف ليرة ثمنا لقبضة خنجر، أما كان من حق الشعب ان ينكره هذ البذخ وينفر من صاحبه؟.

وهذا السماح فى العطاء الذى كان يحسبه رجال خاصته فضيلة، اما كان الشعب مصيبا، وقد حصل على حسابه، ان يعده نقيصة وعيبا؟ اى فضل لهذا الرجل فى بذل لا يكلفه شيئا؟ أكان من العدل ان يرضى عواطفه الخاصة ويسدد التزاماته على نفقة الجمهور كما حدث له ان فعل مع قيم قصره حسن الانكشارى الذى تتلخص قصته فى انه كان له عند على بك خمسمائة دينار. وعندما أخرج على بك للمنفى (لفى ثلاث مرات) جاءه حسن هذا فظن على بك أنه جاء يطالبه بماله، فشرع يعتذر له. غير أن حسنا هذا أخرج من جيبه خمسمائة دينار أخرى وقال له: انك الآن فى محنة، فخذ هذه أيضا، فأقسم على بك أنه متى عاد للسلطة يجعل لهذا الرجل ثروة لامثيل لها. وقد أوفى بوعده وعينه خازندارا وعبثا حدثوه بامر اختلاساته، فلم يقتص به. لا نكران ان معظم اعمال على بك لا تستند الى مبادئ العدل والانسانية بقدر ماهى ترجع الى عوامل طمعه وزهوه، فلم تكن مصر فى نظره الا ملكا، والشعب إلا قطيعا يجوز له ان ينصرف به على هواه. أتعجب بعد هذا ان الناس الذين عاملهم معاملة السيد المتصلف ينظرون اليه نظرة الاجراء المستائين؟.

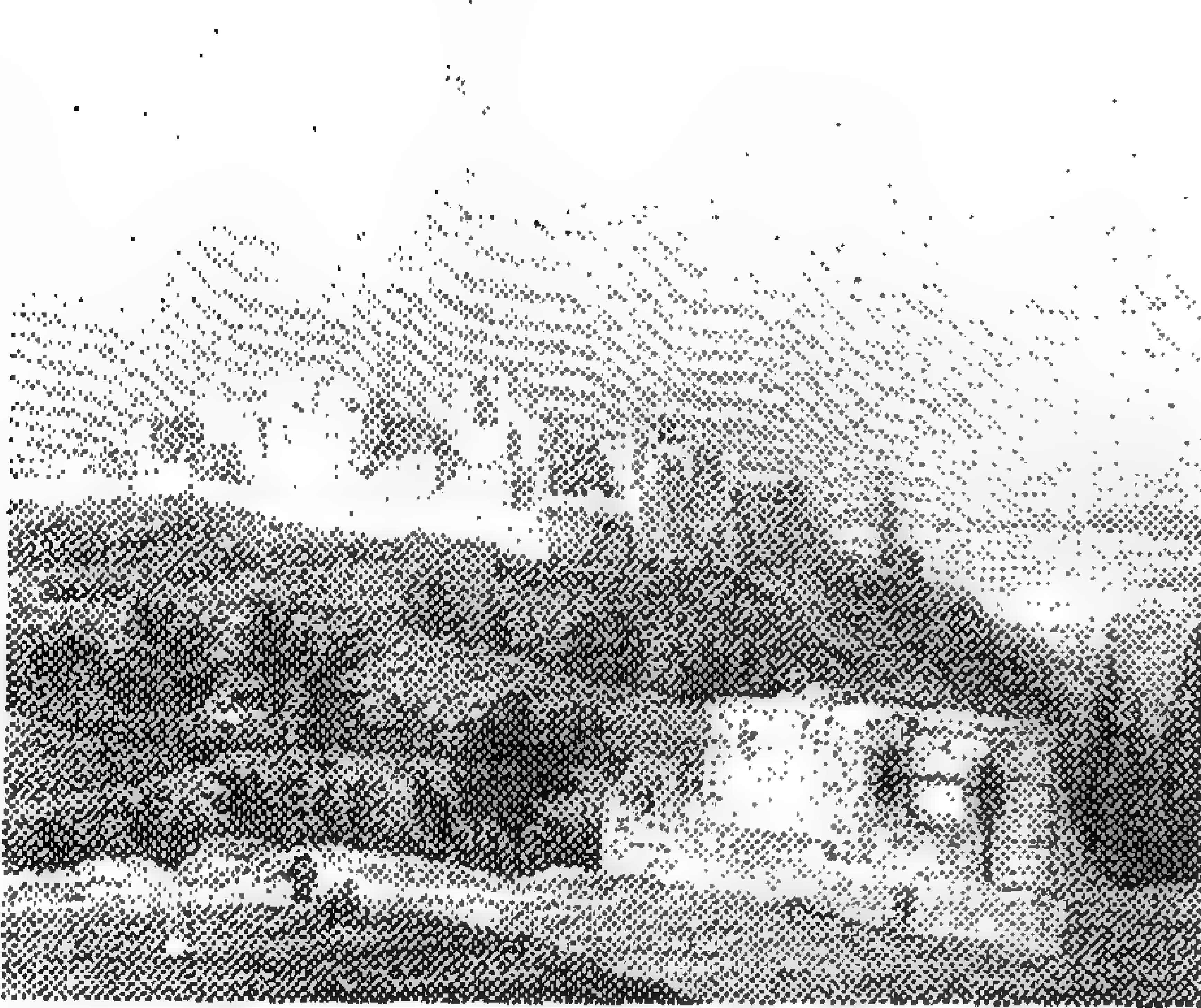
موجز الحوادث منذ موت على بك حتى السنة ١٧٨٥

لم تتبدل حال المصريين بعد موت على. فان خلفاءه لم يحاولوا الاقتداء حتى بما هو جدير

بالثناء من سلوكه. اما محمد بك الذى خلفه في شهر ابريل من السنة ١٧٧٣، فلم يظهر من خلال سنتي حكمه الا نزق اللص ولؤم الخائن.

وخشي ان يرمى بالجحود ونكران الجميل فتظاهر بانه المنتقم لحقوق السلطان ورسول مشيئته، فارسل الجزية الى الاستانة بعد ان انقطعت عنها ست سنوات، واقسم يمين الطاعة بلا قيد ولا شرط، وجدد خضوعه عند موت علي بك، وتوسل بحجة اخلاصه للسلطان فاستأذنه في محاربة عمر الضاهر. وهو طلب لو اتيح للباب العالي ان يلتمسه التماسا لفعل، فما بالك به وهو يمنحه تكرما؟ اجل لقد اجاب محمدا الى رغبته واسبغ عليه لقب باشا القاهرة. فاصبحت الحملة شغله الشاغل. وقد يتساءل المرء اى فائدة سياسية يفيدها حاكم على مصر من سحق عمر الضاهر الثائر في سوريا؟ على ان السياسة في هذه الحالة، شأنها في سائر الاحوال، ابعد من ان يسترشد بها اولئك الناس. فالعوامل هنا محض شخصية ومنها حقد محمد، اذا لم يكن باستطاعته ان ينسى الرسالة الاليمة التي كان الضاهر قد وجهها اليه في ابان ثورة دمشق، ولا المساعي التي قام بها ضده لمصلحة علي بك. وتحالفت البغضاء والجشع. فقد كان من المأثور عن ابراهيم الصباغ وزير عمر الضاهر انه جمع ثروات طائلة. فكانت مصلحة محمد بهلاك عمر الضاهر مزدوجة: الثأر والاثراء. ولذلك لم يتردد في اقتحام غمرات الحرب، فاستعد لها بنشاط تسعره البغضاء. وتعزز بمدفعية عظيمة، واستقدم لها مدفعيين اجانب، وجعل قيادتها بأمرة الانكليزى روبنصن، واستجر من السويس مدفعا طوله ثلاث عشرة قدما. واخيرا ظهر في فلسطين على رأس جيش يضاهي الجيش الذى كان قد جرده على دمشق. وكان ذلك في شهر فبراير من السنة ١٧٧٦. وما اقترب من غزة حتى انكفأ عنها رجال عمر الضاهر لعلمهم ان المقاومة لا تجديهم فتيلا، فاحتلها ولم يتوقف بل زحف على يافا.

وكانت تقوم على حراسة هذه المدينة حامية يعززها جميع السكان وهم متمرسون بالقتال. فتصدوا للمعتدى فحاصرهم، ويدلنا تاريخ هذا الحصار على مبلغ جهل اولئك القوم للفنون الحربية. وفي ما نورده من الوقائع الرئيسية برهان على ذلك.



تقع يافا على ساحل قليل الارتفاع عن سطح البحر. وتقوم المدينة نفسها على تل كقالب السكر ينتصب عموديا الى مئة وثلاثين قدما. وتبدو المنازل المزروعة على السفح كالمسطحات المتراكبة. وفي القمة قلعة صغيرة تشارف جميع ما يحيط بها. واسفل التل محاط بجدار غير محصن يراوح ارتفاعه بين اثنتي عشرة قدما واربع عشرة، وسماكته بين قدمين وثلاث. ولا تميزه من حائط البساتين إلا الشرفات التي تعلوه، ولا خنادق تعصمه. وتمتد حياله حدائق من الليمون والبرتقال تبلغ ثمارها حجما غريبا بفضل خصب التربة. تلك هي المدينة

التى هاجمها محمد. وكان حماتها عندئذ خمسمائة صفدى او ستمائة، ومثل هذا العدد من السكان هبوا جميعا لصد العدو وسلاحهم السيف وبنادق الصوان والفتيل. وكان فى حوزتهم بعض مدافع فولاذية زنة قنابلها اربع وعشرون رطلاً. ولم يكن لتلك المدافع محامل فرفعوها على قواعد خشبية ركزت بعجلة فائقة . وحسبوا ان القوة فى الشجاعة والبغضاء، فأجابوا العدو على انذاره بالتهديد والعيارات النارية.

واذا رأى محمد انه لابد من اكتساحهم عنوة واقتدار ، عسكر امام المدينة ولكن المماليك يجهلون القواعد الفنية بدليل ان محمدا وقف من المدينة على نصف مرمى المدفع، فنبهه الى خطأه سيل القنابل المنهمر على خيامه، فتراجع رويدا حتى استقر فى المكان الامين. فنصبت له خيمة اسرفوا فى زخرفتها، وبدت فيها مظاهر من البذخ لا حد لها،.ثم ضربت حولها خيام المماليك دونما نسق او نظام. واصطنع عسكره اكواخا من جذوع الشجر واغصان الليمون. وتدبر سائر الجيش امره بقدر المستطاع. وتوزع الحراس هنا وهنالك على وجه يكاد يكون مرضيا. ولم يقيموا المتاريس حول المعسكر. وحسبوا مع ذلك انهم معسكرون بمقتضى الاصول. وتحتم عليهم تثبيت المدفعية فتخيروا لها منهدا من الارض فى الجنوب الشرقى من المدينة، وأحكموا ثمانية مدافع ضخمة وراء جدر البساتين على مسافة مائتى خطوة من المدينة، وشرعوا يطلقون النار على رغم رصاص البنادق المتساقط عليهم من اعالى السطوح، مما كان سببا فى تقتيل الكثيرين من مطلقى مدافعهم. ان هذا الترتيب يبدو غريبا فى اوروبا، حتى ان الناس قد يشكون فى حقيقة امره. بيد ان تلك الحوادث لم يمر عليها احدى عشرة سنة. وقد شاهدت اماكنها، واستمعت بصددها الى شهود عيان. وارى المفروض على ألا اشوه وقائع يجب ان تكون مستندا للحكم على ذهنية امة. وفتحت المدافع فى هذا الجدار ثغرة واسعة، فحاول المماليك عبوراه على ظهور الجياد. واذ تبين لهم ان الامر مستحيل ترجلوا، وساروا بسراويلهم الواسعة وارديتهم المشمّرة يتعثرون بالانقاض، السيوف العقفاء فى ايديهم والطبنجات فى اوساطهم. وحسبوا انهم جاوزوا كل العقبات بعد اجتيازهم هذه الانقاض. بيد ان المحاصرين تريثوا حتى نفذ المماليك الى الارض المنكشفة فامطروهم وابلا من الرصاص. فارتدوا منهزمين. فاستنفزهم مراد بك مرات متتالية، ولكن على غير طائل. وكان محمد بك فى هذا الوقت يتميز غيظا ويأسا. واستمرت الحال على هذا المنوال ستة واربعين يوما. على ان عدد المحاصرين بالمدينة كان يتناقص يوما فيوما بسبب الهجمات المتوالية. ويئسوا من اية نجدة تصلهم من عكا. وسئموا ان يستمروا فى الدفاع عن قضية عمر الضاهر. وكان المسلمون اكثر تبرما من غيرهم، ناسبين الى المسيحيين انصرافهم الى الصلاة وانشغالهم بالكنائس اكثر من اهتمامهم بساحة القتال. وفتح البعض باب المفاوضات، فاقترح اخلاء المكان اذا كان المصريون يؤمنون المحاصرين على المال والارواح. ووضعت الشروط حتى كاد يصح القول ان المعاهدة ابرمت بين الفريقين. ولكن نفرا من المماليك غنموا فرصة الهدنة فانسلوا الى المدينة، وباشروا النهب، فحاول الاهالى المدافعة، واستؤنف الهجوم. وتواثب الجيش زرافات وقام بأعمال السلب والتقتيل، فحصد السيف النساء والاطفال والشيوخ. وابت وحشية محمد ونذالته إلا ان يرفع نصبا للنصر، فأمر ان يشاد له هرم من رؤوس القتلى المناكيد، وقد جاوز عددهم الفا ومائتى نسمة. وكان من نتيجة هذه

الكارثة التي حلت بالمدينة في ١٩ مايو سنة ١٧٧٩ ان عم الذعر سائر البلاد ، فانهزم الشيخ عمر الضاهر من عكا حيث حل ابنه على محله. وكان على هذا شديد البأس، على كونه شوه امجاده بشوراته على ابيه، فاعتقد ان محمد ـ وكان قد حالفه ـ سيحترم الحلف، ولكن هذا المملوك ما كاد ينتهي الى ابواب عكا حتى طلب من على ثمنا لصداقته له رأس ابيه، فرفض على وتخلى عن المدينة للمصريين، فانتهبوها انتهابا. وكاد التجار الفرنسيون يتعرضون لمثل هذا المصير، ولكنهم ما لبثوا ان فوجئوا بخطر مريع. فقد ترامى الى مسامع محمد انهم مؤتمنون على ثروة ابراهيم كاخية عمر الضاهر، فانذرهم بالموت اذا منعوها عنه. وعين للبحث عنها فيما بينهم نهار الاحد التالي، فوقع في هذا النهار حدث انقذهم من هذه الورطة الهائلة. فقد استولت على محمد حمى خبيثة اهلكته بعد يومين، فقضى في زهرة العمر، وكان ذلك في شهر يونيو من السنة ١٧٧٦ . ويعتقد المسيحيون ان هذه الميتة قصاص من النبي الياس الذى كان محمد قد هتك حرمة كنيسته على جبل الكرمل. ويروون ايضا انه كان يراه مرات عديدة بصورة شيخ ويصيح باستمرار: «ابعدوا عني هذا الشيخ الذى يلازمني ويرعبني » على ان الذين شهدوا ساعاته الاخيرة قد اخبروا اشخاصا جديرين بالثقة في القاهرة ان هذه الرؤيا ما كانت الا نتيجة للهذيان الناشئ عن ذكرى الضحايا التي غدر بها محمد، وان موته يرجع الى رداءة المناخ والقيظ والتعب المفرط، فضلا عن الهموم المرهقة التي لازمته في ابان حصار يافا. وتجدر الاشارة هنا الى اننا لو شئنا الاعتماد في كتابة التاريخ الحديث على رواية مسيحيي سوريا ومصر لجاءت ملأى ـ كما في العصور السالفة ـ بالمعجزات والرؤى.

وما ذاع نبأ موت محمد حتى سادت الجيش الفوضى على ما حصل له في دمشق، وانهزم صوب مصر. وكان مراد بك قد اصبح ذا نفوذ عظيم فاسرع الى القاهرة ينازع ابراهيم بك القيادة، وهو من اخصاء الميت واحد معتقيهم. فلم يبلغ مسامعه ما آلت اليه الامور حتى اتخذ من التدابير ما يضمن له بقاء السلطة التي كان مؤتمنا عليها منذ غياب سيدهم. وكانت الاحوال جميعها تؤذن بوقوع الحرب بينهما على ان كلا الخصمين وازن بين وسائله ووسائل عدوه فرأى انها متعادلة بحيث اصبح يخشى عاقبة القتال. لذلك اختارا السلم وتوافقا على ان تكون السلطة بينهما مشاعا، شرط ان يحتفظ ابراهيم بلقب شيخ البلد او القائد. هذا ما قضت به مصلحتهما المشتركة في التأمين على سلامة كليهما. وكان البكوات الذين من بيت علي (اى الذين اعتقهم) يتبرمون سرا بكون السلطة قد انتقلت الى يد حزب جديد. وكانت رفعة الشأن التي بلغها محمد تجرح كبرياءهم. وبدت لهم سلطة عبيده مما يفوق طاقة الاحتمال. فعزموا على التخلص منها وشرعوا يدسون الدسائس ويحزبون الاحزاب حتى تيسر لهم ان يؤلفوا عصبة اطلقوا عليها اسم بيت علي بك. وكان يرئس هذه العصبة حسن بك الملقب بالجداوى نسبة الى جدة التي كان حاكما عليها. وزاملة اسماعيل بك احد معتقي الكاخية ابراهيم. وبلغت دسائسهم حدا من النجاح اكره مراد بك وابراهيم بك على اخلاء القاهرة. فانكفأ الى الصعيد حيث تقرر منفاهما، وتمكنا هناك من تنظيم شؤونهما بفضل ما التحق بهما من الانصار المنشقين. فرجعا الى القاهرة على رأس اربعمائة فارس هزموا الاعداء على كونهم يزيدونهم في العدد ثلاثة اضعاف، فطرد اسماعيل وحسن بدورهما الى الصعيد حيث لا يزالان. وقلق مراد

وابراهيم من بقاء هذا الحزب، فحاولا ابادته ولكنهما لم يفلحا. ثم اقطعا العصاة مقاطعة في نواحي جرجا. على ان المماليك ينزعون دائما الى ملذات القاهرة، فحاولوا بعض الاضطرابات خلال السنة ١٧٨٣ . فرأى مراد بك ان يعمل مرة أخرى على ابادتهم. وكان ـ عند وصولي الى مصر ـ يعد العدة لهذا العمل . وانتشر رجاله على ضفاف النيل يوقفون المراكب ويسوقون ربانها تحت تهديد العصي الى القاهرة. والناس يتهاربون من السخرة. وقد فرضت على تجارة المدينة ضريبة هائلة. واكره اصحاب الافران والتجار على بيع سلعهم باسعار هي دون اسعار تكاليفها. وكانت ضروب الاغتصاب هذه التي ينكرها الناس في اوروبا تجرى وكأنها امور عادية. وكان مراد بك قد انجز اعداد وسائله في اوائل شهر نيسان، فانطلق الى الصعيد.

ان انباء الاستانة التي تراجعت اصداؤها في اوروبا وصفت هذه الحملة بانها حملة حرب عظيمة وجيش ضخم. ويصح اطلاق هذه النعوت عليها اذا قيست بوسائل مراد بك وحالة مصر، ولكن عددها في الواقع الفان من الفرسان. فاذا تدبرنا اخبار الاستانة وما يعتريها من التشويه المعتاد وجب ان نصدق احد امرين: فاما ان يكون اتراك العاصمة جاهلين ما يجرى في مصر وسوريا، واما ان يكونوا تعمدوا التهويل على الاوروبيين. على ان صعوبة المواصلات بين تلك الاصقاع المتباعدة في السلطنة تجعل الافتراض الاول اكثر احتمالا من الافتراض الثاني. ولقد يبدو للمتسائل ان باستطاعة تجارنا المقيمين في مختلف الاساكل [الموانى] ان يرشدونا الى حقيقة الحوادث. بيد ان هؤلاء التجار المحصورين في «خاناتهم» كالسجناء لا يبدون كثيرا من الاهتمام بما هو غريب عن متاجرهم، ويقتصرون على قراءة الجرائد المرسلة اليهم من اوروبا. وقد ارادوا في بعض الاحيان ان يصححوا الانباء الواردة فيها، ولكن معلوماتهم استعملت في غير طرقها، فرجعوا عن الاهتمام بهذا الامر الذي يبهظهم بالتكاليف ولا يفيدون منه شيئا.

خرج مراد بك من القاهرة وسار بخيالته بمحاذاة النهر تتبعه المراكب حاملة ذخائره ومهماته. وواءمت مسيره ريح شمالية مؤاتي. وكان المنفيون، وعددهم خمسمائة، ينزلون ما وراء جرجا. فلما علموا بقدوم العدو دب بينهم الشقاق وانقسموا فريقين يريد احدهما الحرب والآخر التسليم. وكثيرون قالوا بهذا الرأى الاخير فاستخذوا لمراد بك. على ان اسماعيل وحسن استمرا على عنادهما فانطلقا صوب اسوان يتبعهما مائتان وخمسون خيالا. فتعقبهما مراد حتى الشلال حيث اعتصما في اماكن وعرة جعلت لهما افضلية حسب المماليك انه يستحيل معها اقتحامهما. وخشي مراد ان يطول غيابه عن القاهرة فتتفجر فيها ثورة جديدة، فأسرع بالعودة اليها، مما هيأ للمنفيين ، وقد خرجوا من المأزق، ان يرجعوا الى مراكزهم الاولى في الصعيد.

ان جماعات تسودها الميول الخاصة ولا يفكر افرادها بغير نفوسهم دون ما نظر الى مخبآت الغد، ولا يوحي قادتها من الاحترام ما يضمن لهم طاعة المسود، ان جماعات كتلك لا تستقر بها السيادة، بل ان ثباتها ضرب من المحال. فان تصادم عناصرها غير المتجانسة يفضي بها الى قلق واضطراب شاملين.

وهذا ما حدث ويحدث لجماعة المماليك في القاهرة. فان مرادا ما كاد يرجع اليها حتى تولدت دسائس جديدة افضت الى اضطرابات جديدة. فقد اجتمع في تلك المدينة، فضلا عن حزبه وحزبي ابراهيم وبيت علي بك، بكوات ينتسبون الى

بيوتات اخرى. تنادوا فى شهر يوليو من سنة ١٧٨٣ لضم قواهم، وكانت منعزلة حتى هذا اليوم، ونهدوا الى القيادة. وشاءت المصادفة ان ينكشف امر هذه العصبة فنفى قادتها الخمسة الى الدلتا. فتظاهروا بالاستخذاء. ولكنهم ما كادوا يخرجون من المدينة حتى تحولوا الى الصعيد وهو الملاذ المعتاد الذى يوائم جميع المستائين. فلوحقوا نهارا كاملا فى صحراء الاهرام، ولكن على غير طائل. واستطاعوا التخلص من المماليك والعرب، وبلغوا المنيا دون ما حادث، واستقروا فيها. وكانت هذه القرية الواقعة على اربعين ميلا من القاهرة على ضفاف النيل مؤاتية لاغراضهم، اذ تسلطوا على النهر بحيث تيسر لهم الاستيلاء على كل موارد الصعيد. وعرفوا ان يفيدوا من هذا الوضع، لان المؤن التى ترد فى هذا الفصل من تلك المقاطعة قد وقعت فى يدهم، وحرمت القاهرة من الميرة وتهددتها المجاعة. اضف الى ذلك ان البكوات واصحاب الاملاك الذين تقع مزارعهم فى الفيوم قد حرموا ريعها لان المنفيين فرضوا عليها الفرد والضرائب. وكانت هذه البلبلة مما يستلزم حملة جديدة.

اما مراد بك وقد أتعبته الحملة السابقة فقد رفض ان يقوم بأخرى، فأخذها ابراهيم بك على عاتقه، وباشر اعداد العدة لها فى شهر اغسطس على رغم حلول رمضان. فحجزت المراكب وربانها على ما حدث فى إبان الحملة السابقة. ثم فرضت الضرائب وصودر متعهدو الارزاق. وفى اوائل شهر أكتوبرخرج ابراهيم على راس جيش نعتوه بالجيش الرهيب لانه كان يناهز ثلاثة الاف فارس. وانطلق فى النيل نفسه لان مياه الفيضان كانت ما برحت تغمر معظم البلاد. ولم تمض ايام قلائل حتى تواجه الجيشان. بيد ان ابراهيم لم يكن ذا مزاج حربى شأن مراد، فلم يهاجم المتحالفين، بل فاوضهم، فتوافقوا على محالفة شفهية قضت برجوع البكوات الى سابق حالهم. وتريب مراد من هذا الاتفاق اذ رأي فيه دسيسة عليه، وساد الحذر بينه وبين خصمه. وزاد فى قلقه ما ابداه المنفيون من التشامخ فى اثناء احد المجالس العامة. فأوجس الخيانة وتدارك الامر بان خرج من القاهرة برجاله وانصرف الى الصعيد. وحسب الناس ان الحرب واقعة لا محالة. بيد ان ابراهيم آثر التسويف. وبعد انقضاء اربعة اشهر انحدر مراد الى الجيزة متحفزا للقتال. على ان الفريقين بقيا خمسة وعشرين يوما وجها لوجه، يفصل بينهما النهر ولا يتقاتلان. ثم شرعا بالتفاوض. سوى ان شروطه لم تكن مما يرتاح له مراد، فرجع الى الصعيد لانه لم يكن من القوة بحيث يستطيع إملاء شروطه عنوة واقتدارا. فأوفد اليه مراد مفاوضين تمكنوا، بعد أخذ ورد سحابة اربعة اشهر. ان يعودوا به الى القاهرة. وكانت الشروط ان يستمر مراد على مقاسمة ابراهيم السلطة، وان تنزع من البكوات الخمسة املاكهم. واذ رأي البكوات ان ابراهيم ضحى بهم لاذوا بالفرار. فطاردهم مراد واستعمل عرب البادية للقبض عليهم، ثم رجع بهم الى القاهرة ليكونوا فيها قيد نظره. ولاح للناس وقتئذ ان السلم استقر. بيد ان ما حصل بين القائدين كان من شأنه ان يكشف عن حقيقة مرادهما الواحد تجاه الآخر. فلم يكن من المستطاع، والحالة هذه، ان يتصافيا، لأن كلا منهما كان يثق ان الآخر يتحين الفرص للايقاع به. فلبثا فى يقظة وحذر. وما عتمت هذه الحرب الباطنة ان اكرهت مراد بك على مغادرة القاهرة فى السنة ١٧٨٤. فضرب خيامه على ابواب المدينة حيث اظهر من العزم والجلد ما ادخل الرعب فى قلب ابراهيم، فهرب برجاله الى الصعيد، واستقر فيها حتى شهر

مارس من السنة ١٧٨٥. ثم رجع الى القاهرة على اثر محالفة جديدة. ولايزال يقاسم خصمه السلطة ريثما تهيىء له دسيسة جديدة فرصة الانتقام.

هذه هي خلاصة عن الثورات التي تعاقبت على مصر في هذه السنوات الاخيرة. واني لم ابسط في ذكر الملابسات المتعددة التي رافقت الحوادث لانها لا تفيد شيئا، فضلا عما يعتور صحتها من الشك والريبة. وان هي الا دسائس وخسيانات واعتداءات على الارواح يفضي تكرار رواياتها الى الملل. وحسب المطالع ان يتتبع سلسلة الوقايع الرئيسية ويستخلص منها فكرا عامة عن طبايع البلاد التي يدرسها وعن حالتها السياسية. بقي علينا ان نتبسط في درس هاتين الناحيتين.

الحالة الراهنة في مصر

منذ ثور الكاخية ابراهيم وثورة علي بك، على الاخص اصبحت سلطة العثمانيين اقل استقرارا في مصر منها في اية ولاية اخرى. من الثابت ان للباب العالي في مصر باشا يمثله، ولكن هذا الرجل المحصور قيد المراقبة في قصره بالقاهرة انما هو سجين المماليك اكثر مما هو ممثل السلطان، وهو عرضة للخلع والنفي والطرد. ولايكاد يتبلغ الانذار على يد ضابط اسود الرداء حتى «ينزل» من قصره كأي من الناس. وقد شاء نفر من الباشاوات بإيعاز من الباب العالي ان يستعيدوا سلطاتهم بما حاولوه من وسائل المكر. بيد ان البكوات احاطوا هذه الدسائس بالمخاطر، مما جعل الباشاوات يقنعون، في الوقت الحاضر، بقضاء مدة اسرهم بهدوء وسكينة سحابة ثلاث سنوات، وبانفاق مخصصاتهم المعينة لهم.

على ان البكوات لا يتجرأون على اعلان استقلالهم مخافة ان تؤول السيطرة على «الديوان» الى احد الاحزاب المتطرفة. فكل شيء يجرى باسم السلطان، وتقبل اوامره «على الرأس والعين»، اي بعميق الاحترام. على ان هذه الظاهرة المضحكة لا تقترن بالتنفيذ قط. فكثيرا ما علقت الجزية، واذا أديت فهي ناقصة ابدا، اذ يسقطون منها مقدار نفقات شتى لتنظيف الترع، ونقل اوساخ القاهرة الى البحر، ومرتبات الجنود، وترميم الجوامع الخ الخ. وجميعها نفقات وهمية كاذبة. ويخدعون الناس في حقيقة مبلغ الفيضان ودرجته. ولولا الخوف من مراكب الدولة التي تأتي رشيد والاسكندرية كل سنة لتحصيل ضريبة الارز والحنطة، لما ادوها. وهم مع ذلك يتصالحون على مقاديرها مع المكلفين جبايتها. هذا والباب العالي يغض الطرف عن هذا التعسف جريا على سياسته المألوفة. فهو يعرف انه اذا لجأ الى تدابير القمع التزم بجهود وتكاليف قد تضطره الى حرب معلنة يجوز ان تحط من شأنه، فضلا عن ان مصالح اشد خطرا تفرض عليه حشد القوات جميعها في الشمال(تجاه روسيا). وهو اذن في حرصه على سلامة الاستانة نفسها يكل الى الاقدار مهمة استعادة سلطانه على الولايات البعيدة. فيعمل على التفرق بين الاحزاب حتى لا يسود احدها او يستقر. وهذه الطريقة التي لم تخيب مقاصده حتى اليوم قد جاءت موافقة لكبار ضباطه ايضا، فهم يساومون المتمردين على نفوذهم وحمايتهم لهم، ويجمعون من جراء ذلك المبالغ الطائلة. وهذا هو اليوم شأن امير البحر حسن باشا، فقد سلك المسلك نفسه مع مراد وابراهيم فحصل منهما على اموال باهظة.

ميليشيا المماليك

ان المماليك عند استيلاءهم على الحكم في مصر تذرعوا بالوسائل التي حسبوا انها تضمن استقرارهم فيه. ولا ريب ان انجح تلك الوسائل كان ما قاموا به من اضعاف فرقتي العزب والانكشارية العسكريتين، بحيث ان هاتين الفرقتين، وقد كانتا مفزعة في يد الباشا، اصبحتا مثله ولا حول لهما ولاطول. وهذا خطأ آخر تقع تبعته على عاتق الباب العالي. فان عدد الجند الاتراك الذي كان حتى قبل ثورة الكاخية ابراهيم اربعين الف رجل خيالة ورجالة، قد انزل الى نصفه بسبب جشع القادة الذين كانوا يحتفظون لأنفسم بالمرتبات المخصصة للجنود. وجاء على بك بعد ابراهيم يستكمل هذه البلبلة. فشرع بالتخلص من الرؤساء الذين يترتب منهم، وترك مراكزهم شاغرة، وجرد القادة من النفوذ، ورذل الجيوش التركية حتى ان العزب والانكشارية والفرق الخمس الاخرى اصبحت اليوم خليطا من الحرفيين والمرتزقة والمتشردين الذين يرتضون حراسة اى باب لقاء اجر يتقاضونه، ويرتجفون امام المماليك كما ترتجف منهم سوقة القاهرة. والواقع ان قوة مصر العسكرية تنحصر في فرقة المماليك. فمنهم بضع مئات منتشرون في البلاد والقرى للمحافظة على السلطة وجباية الضرائب والحؤول دون المظالم. على ان معظمهم في القاهرة. ولا يجاوز عددهم بحسب تقدير العارفين ثمانية آلاف وخمسمائة رجل بين بكوات، وكشافة ومعتقين وارقاء. ويدخل في هذا العدد شبان لم يبلغوا العشرين او الثانية والعشرين من العمر. واعظم بيوتاتهم شانا بيت ابراهيم بك الذى يتألف من ستمائة مملوك. ثم يأتي مراد بك وله منهم اربعمائة. على انه في جرأته وسخائه يعادل قدر خصمه الثرى البخيل. ولكل من البكوات الآخرين،، وهم ثمانية عشر او عشرون، عدد يراوح بين خمسين ومائتي مملوك. وثمة نفر من المماليك يصح ان ننعتهم بالمبهمين، وهم متحدروا بيوتات منقرضة يشايعون هذا او ذاك من الفروع بحسب مقتضيات مصالحهم. وتراهم ابدا على اهبة التحيز لمن يزيدهم عطاء. اضف الى هؤلاء بعض «السراجين» وهم فئة من خدم الجياد ينقلون اوامر البكوات ويقومون باعمال الحراسة. وهذا المجموع يكاد يبلغ عشرة آلاف فارس. ولا حساب عندهم للمشاة، فهم لا شأن لهم في تركيا عامة، وفي الولايات الاسيوية بوجه خاص، لان افاليين الفرس والتتر ما برحت تسود هذه الاصقاع. فالحرب عندهم كر وفر لا يحسن القيام بهما الا فارس. فهو دون سواه رجل الحرب في المتعارف بينهم. ولما كان رجل الحرب عندهم صاحب الجاه والشرف، فقد رأوا في السعي على الاقدام دليل حقارة، فاختصوا به الشعب. وهم من اجل ذلك لا يسمحون لسكان مصر الا باقتناء البغال والحمير، محتفظين لانفسهم بحق ركوب الجياد. ويمارسون هذا الامتياز الى ابعد حدوده. فانك لا تراهم في المدينة او الحقل او اثناء التزاور حتى من باب الى باب، الا على ظهور الخيل. ويحملهم على هذا الامر، فضلا عما سبق، نوع الملابس التي يرتدونها. وهذه الملابس التي لا تختلف من حيث الشكل عن ازياء اهل اليسر في تركيا جديرة بأن توصف.

النبذة الاولى
البسة المماليك

قميص واسع من نسيج قطني ناصع اللون ضارب الى الصفرة، يعلوها رداء كالمبذلة من كتان الهند او من نسيج دمشق او حلب. وهذا الرداء

المسمى بالعنترى ينحدر من العنق حتى الكاحلين ، وينضم جانباه على مقدم الجسم حتى الوركين حيث يثبت بتكتين. ويعلوا هذا الرداء رداء آخر بشكل الاول واتساعه، يصل كماه الواسعتان حتى رؤوس الاصابع، ويسمونه القفطان. ويصنع عادة من الحرير، وهو اثمن من الرداء الاول. وثمة منطق طويل يضم الردائين معا الى القد ويقسم الجسم الى جزئين. اضف الى ذلك قطعة ثالثة من الجوخ غير مبطنة، هي الجبة. ولا يختلف شكلها عن القطعتين الاولبين اجمالا، سوى ان كميها مقصوصان عند المرفقين. وهذه الجبة تكسى، في الشتاء وغالبا في الصيف، بالجلد فتصبح فروة. وفوق هذه الغلافات الثلاثة يأتي معطف رابع يرتدى في الاحتفالات ، وهو يغطي مجمل الجسم ورأس الاصابع، اذ يرون في كشفها امام العظماء ما ينافي الحشمة والادب. ويبدو الجسم تحت هذا المعطف مثل كيس طويل يخرج منه عنق عار ورأس حليق تعلوه عمامة. وعمامة المماليك تسمى «القاووق» وهو على شكل اسطوانة صفراء تحيط بها لفافة من الشاش منتظمة الاستدارة. وينتعلون حذاء من الجلد الاصفر يكسو الرجل حتى العقب، وخفا بلا حوافي معدا لان ينزع في الطريق. اما الثوب الغريب فهو السروال، لانه من السعة بحيث يصل الى الذقن طولا، وكل ساق من ساقيه تسع الجسم كله. ويصطنعه المماليك من جوخ البندقية، وهو اكثر سماكة وانعم ملمسا من الصوف الخشن. ولهذا السروال منطق ذو حجزة يعقد على الاقسام المدلاة من الثياب التى ذكرناها، فتضم جميعها تحت السروال تيسيرا للمشي. فمتى تصورت المماليك مقمطين على هذه الصورة، سهل عليك ان تفهم السر في تثاقل خطاهم، وهم يرون في ثيابهم راحة وسعة. وعبثا تقول لهم انها تعرقل سيرهم مشاة، وانهم لا يحسنون الطراد ركوبا، وان الفارس اذا اسقط عن جواده مصيره الهلكة، فجوابهم على كل ذلك «انها العادة».

النبذة الثانية
جهاز المماليك

ولنر اذا كان جهاز جيادهم اطبق على المعقول. ان اهل اوروبا منذ تعودوا البحث في علة الاشياء شعروا ان الفرس، لكي تسهل عليه الحركات تحت فارسه، يحتاج الى عدة وحمل خفيفين. وهذا التحول الذى طلع علينا به القرن الثامن عشر لا يعرف المماليك من امره شيئا. فهم ما برحوا على ذهنية القرن التاسع، ينقادون ابدا «للعادة» ويوسقون الحصان بعندة ضخمة الهيكل، مشقلة بالحديد والخشب والجلد. يعلوها من وراء قربوس يرتفع ثمانى قراريط ويغطي الفارس حتى رأس الورك، ومن امام قربوس آخر يهدد صدره اذا ما انحنى، ويستعيضون عن الصفة تحت السرج بثلاثة اغطي صوفية سميكة ، ويثبت كل ذلك في السرج بحزام يمر فوقه، ويربط ليس بأبازيم ذات شوكات، بل بسموط معقود قليلة المتانة كثيرة التعقيد . وسروجهم واسعة المقدمة ولا سير لها في المؤخرة، مما يجعلها تسترسل على كتفي الفرس. والركب لوحات من النحاس تفوق الرجل طولا وعرضا وترتفع حوافيها مقدار قيراط، وهي تتدلى من العرى. ولهذه الركب زوايا حادة كالشفار تستعمل عوضا عن المهاميز لتفتح في كشوح الجياد جراحا مستطيلة. ويزن الركابان عادة عشر ارطال، وكثيرا ما تزنان اثنتى عشرة رطلا. وهذا الامر مستغرب، خصوصا وان الخيل في مصر صغيرة القدود. والزمام ينتهي بحلقة حديدية تضغط على الذقن حتى تكاد تقطع الجلد،

مما يجعل الفرس محطم جانبي الفكين ولا فم له ذلك ان المماليك يرجون اللجام رجا عنيفا، فيطلقون العنان للفرس، ثم يوقفونه بغتة في اشد انطلاقاته واذ يشد لجام الفرس تتصلب قوائمه ، ويطوى عرقوبيه، ينزلق بمجمله قطعة واحدة كأنه حصان خشبي. ومن المعلوم ان هذه الطريقة تتلف الفم والقوائم بتكرارها. على ان المماليك يجدون فيها اناقة، وهي تتفق مع اساليبهم في القتال. ومع ذلك فالمملوك فارس ثبت قوي، على رغم ساقيه المعقوفتين وكثرة تلويه، وعليه سيماء حربية تفتن عين الغريب. ويجدر القول انه اكثر تونقا في تخير سلاحه.

النبذة الثالثة

اسلحة المماليك

سلاحهم الاول قرابينة انجليزية [بندقية]، طولها ثلاثون قيراطا، وعيارها من القوة بحيث تطلق عشر رصاصات او اثنتي عشرة في وقت معا، ويحملون في اوساطهم غدارتين مشدودتين الى الشوب بريم من الحرير. وتتدلى من القربوس ضمة من الاسلحة يستعملونها للقتل ضربا [منها المقامع و الخناجر]. ويتدلى من حمالة في جنبهم الايمن سيف معقوف قلما نشاهد نظيره في اوروبا، طول نصله في خط مستقيم اربعة وعشرون قيراطا، واذا قيس انحناؤه فثلاثون قيراطا. ولهذا الشكل الذي نراه مستغربا ما يبرره عندهم. فقد دل الاختبار على ان النصل المستقيم يقتصر فعله على موقع الضربة وحينها لانه لا يقطع الا بالضغط، في حين ان النصل الاعوج ينزلق بقوة الذراع تقهقرا ويتسع مدى فعله. وهذه الملاحظة لم تفت البربر المفتنون في اساليب القتال والتقتيل. وهذا ما حمل الشرقيين على استعمال السيوف المحنية العريضة. والمملوك العادي يجلب سيوفه من الاستانة ومن اوروبا . اما البكوات فهم يتنازعون سيوف الفرس والمصانع القديمة في دمشق، ويدفع ثمن السيف الواحد اربعين او خمسين ليرة فرنسية ذهبا. وخصائص السيف المفضلة عندهم خفته وصفاء معدنه ورنينه وتموج حديده، وبوجه خاص رقة شفرته ، ويجب الاعتراف انها رائعة ولكنها سريعة العطب كالزجاج.

النبذة الرابعة

تدرب المماليك وتمارينهم

ان تدرب المماليك على استخدام هذه الأسلحة شغلهم الشاغل طوال الحياة. يخرج معظمهم صبيحة كل يوم الى سهل حيال القاهرة، وهناك يطلقون اعنة الجياد، ويتدربون على اخذ القرابينة برشاقة وتسديد الرماية فيها، ثم يضعونها تحت الفخذ وينتزعون غدارة يطلقونها ويرمونها ما وراء الكتف، ثم غدارة ثانية تمر بالتجربة نفسها، متكلين على البريم الذي يشد كلا الغدارتين الى الشوب. فيشجعهم البكوات الحاضرون. ومن تمكن منهم من حطم الهدف، وهو عبارة عن اناء من خزف، ذهبت اليه التهاني والمكافأة. ويتدربون ايضا على معالجة السيوف، وبنوع خاص على تسديد الضربة من الشمال الى اليمين، وتتجه من الاسفل الى الاعلى، وهي اصعب الضربات على من يتقيها. وهم على قسط من المهارة بحيث ان الكثيرين منهم يقطعون بسيوفهم الحادة كلة من القطن كما يقطع قالب الزبدة، ويرمون السهام، ولو انهم نبذوها من اساليب القتال.واحب تمارينهم لعب الجريد، والجريد معناه القصبة، ويطلق على كل عصا ترمى باليد بحسب القواعد التي اعتمدها الرومانيون للترامي بالمزاريق. ويستعمل المماليك عوضا عن العصي اغصان النخيل الرطبة. وهي اغصان طولها اربع اقدام يزن الواحد منها خمس ليبرات او ستا. يتسلح للفرسان بهذه «الحراب» ويخوضون الميدان،

ثم تنطلق بهم الجياد عدوا، فيرمون الجريد عن بعد، فاذا ما رمى المهاجم الجريد انثنى. فيلحق به من يليه ويرمى الجريد بدوره. وتؤاتى الجياد فوارسها مؤاتاة تحسب معها انها فى مثل اغتباطهم. على ان هذه الغبطة شديدة المخاطر، فثمة سواعد ترمى بشدة، فتأتى ضرباتها جارحة بل قاتلة. والويل كان لمن لا يتقى جريد على بك.

ان هذه الالعاب التى تبدو لنا وحشية هى ذات علاقة بحالة الامم السياسية، وكانت شائعة بيننا لثلاثة قرون خلت. وما كان تلاشيها نتيجة لحادثة هنرى الثانى [الذى قتل بحربة اصابت احدى عينيه فى سنة ١٥٥٩م]او لفلسفة العصر، بمقدار ما كان نتيجة للسلام الداخلى الذى جعلها عديمة الفائدة واذا كانت قد بقيت على حالها عند الاتراك والمماليك، فما ذلك إلا لان فوضى المجتمع تضطرهم الى التمرس بكل ما له علاقة بالحرب. فلنر اذا كانوا قد تقدموا فى هذا الحقل بنسبة مرانتهم عليه.

النبذة الخامسة

الفن الحربى عند المماليك

اذا تحدث الناس فى اوروبا عن فتنة او حرب، تمثلوا للحال رجالا موزعين كتائب وسرايا وكوكبات، وازياء عسكرية ملونة، ووحدات منتظمة خطوطا او صفوفا، وحركات خاصة او مناورات شاملة، وبالجملة، سلسلة عمليات قائمة على قواعد موضوعة بعد امعان وتفكير. تلك التصورات تصدق عندنا. فاذا ما شئنا الانتقال بها الى البلاد التى ندرسها كانت مجرد اخطاء وحسب.

ان المماليك لا يعرفون شيئا من صناعتنا الحربية. فلا ازياء عندم، ولا نظام، ولا وحدات، ولا انتظام، ولا يمتثلون لآمر. فتجمعهم غوغاء، وسيرهم فوضى، واقتتالهم براز، وحربهم شقاوة ولصوصية.

وهى تنشب عادة فى القاهرة نفسها. فتنفجر الفتنة فى اوقات لا تبررها ، ويمتطى البكوات الجياد، وينطلق صوت النذير، ويظهر المتقاتلون.

ويستحر القتال مسايفة فى شوارع المدينة. وتنتهى المعركة بسقوط بعض القتلى. ثم يوجه المغلوب فى طريق المنفى. اما الشعب فلا علاقة له بهذا الاعتراك، اذ ما همه ان يتذابح الطغاة؟ ولكن لا يجوز لنا ان نتمثله يشاهد القتال بهدوء وسكينة. ان وقوفه هذا الموقف فى معمعة الرصاص والسيوف يحيطه باشد المخاطر. ومن اجل ذلك تراه يفر من ساحة القتال حتى يستقر السلام.

ولا يندر ان ترى الرعاع يعملون النهب فى مساكن المنفيين، لا يصدهم عن ذلك اصحاب الغلبة. ومن الحسن ان نلاحظ ان هذه العبارات التى تقرأها فى انباء اوروبا: «المماليك يحصدون الانصار، البكوات استنفزوا الشعب الشعب يناصر هذاالحزب او ذاك» لا تعبر تعبيرا صادقا عن واقع الحال، لان الشعب فى كل هذا عامل لا يعمل.

وقد تنتقل الحرب الى البرارى حيث لا يبدى المتقاتلون من فنون القتال اكثر ما ابدوا منها فى شوارع المدينة. فيهاجم اقواهم او اجرأهم الآخر ويتعقبه. فاذا تعادل الخصمان فى الشجاعة تربص كلاهما او تواعدا الى مكان، حتى اذا تلاقيا فيه تقارب الحشدان مفرزات يسير فى طليعتها اشد الجنود مراسا. فيتجابه القوم ويتداعون للنزاع، ثم يتهاجمون.ويختار كل رجل منازله. ويطلقون النار اذا استطاعوا، ولكن سرعان ما ينتلقون الى المقارعة بالسيوف. وهنا تظهر براعة الفارس ومرونة الفرس فاذا سقط هذا هلك ذاك.

وفى الهزيمة ، ينهض الخدم اسيادهم. فاذا كانوا بمنجنى عن الرقيب قتلوهم طمعا بما يحملونه من ذهب. وكثيرا ما يتقرر مصير المعركة بعد مقتل

رجلين او ثلاثة.

وقد ادرك المماليك، فى هذه الآونة الاخيرة، ان مصلحة الحر تعود على اسيادهم، فتركوا لهم شرف المغامرة فى اخطارها. فاذا ربحوا كان ذلك من حسن طالع الجميع، وان غلبوا على امرهم استسلم المماليك للمنتصر، وهو كثيرا ما يكون قد فاوضهم على شروطه مسبقا. وهم يعرفون ان منفعتهم فى التزام السكون، فيطمئنون الى السيد الجديد الذى يجرى عليهم الاجر، ويرجعون فى ركابه الى القاهرة حيث يصبحون عالة عليه بانتظار مصير آخر.

النبذة السادسة

الانتظام عند المماليك

ان الترجرج الذى يسود الميليشيا ناشئ عن اسباب تكوينها فذلك القروى الفتى الذى بيع فى منغوليا او جيورجيا لا تطأ قدماه ارض مصر حتى تتطور افكاره وتتفتح عيناه على حياة واسعة المجال فكل ما حوله يوقظ طمعه وجرأته. وعلى كونه ما برح رقيقا يشعر انه معد لأن يصبح سيدا، ويتلبس للحال بذهنية حالته المقبلة، ويساوم على حاجة مولاه اليه، فيبيعه خدماته واخلاصه، ويقيسها بالاجر الذى يتقاضاه او بالذى يترقبه. ولما كان هذا المجتمع لا يحدوه الا عامل المال، فان اخص ما يهتم له الاسياد ارضاء جشع خدمهم استبقاء لتعلقهم بهم. وهذا هو السبب فى اسراف البكوات الآيل الى خراب مصر التى ينهبونها نهبا، وفى تمرد المماليك على اسيادهم وهم يبتزون اموالهم، وفى هذه الدسائس التى ماتزال تهزهم هزا كبارا وصغارا. اذ لا يكاد يعتق الرقيق حتى يتطلع الى اعلى المناصب. ترى، من يستطيع الحد من مطامعه؟ ليس فى من يتولون القيادة من مواهب التفوق ما يفرض الاحترام، فهو لا يرى بينهم الا جنودا مثله رقوا الى السلطة بمراسيم القوى. فاذا شاء هذا القوى ان يرعاه وصل به الى المقام نفسه. ولا تعوزه عندئذ البراعة فى فن الحكم لان هذا الفن ان هو الا قبض المال وضرب السيف. ونشأ عن هذه الحال بذخ مستفيض انطلقت معه أعنة الحاجات جميعا حتى لم يبق حد لشراهة العظماء. وقد بلغ هذا البذخ مبلغا عظيما حتى اصبحت تكاليف المملوك الواحد لا تنقص عن الفين وخمسمائة ليرة. وقد يكلف بعضهم ضعفى هذه القيمة. فكلما حل رمضان جاء بأثواب جدد من أجواخ فرنسا وانسجة البندقية واقمشة دمشق او الهند. وكثيرا ما تستبدل الجياد والاسرجة، والغدارات ، والسيوف، والركب المذهبة ، واللجامات المفضضة.

اما القادة فيخصون ، تمييزا لهم عن العامة، بالحلى والحجارة الكريمة، والجياد العربية (ثمن الواحد يراوح بين مائتين وثلاثمائة ليرة فرنساوية) ، وشالات الكشمير (ثمن الواحد من خمس وعشرين الى خمسين ليرة فرنساوية)، وفروات عديدة ابخسها ثمنا يساوى خمسمائة ليرة. وقد نبذت النساء زينة الدنانير المصففة على الرأس والصدر، بحجة انها مفرطة فى بساطتها، واستعضن عنها بالماس والزمرد واللؤلؤ، واضفن الى الشالات والفراء انسجة مدينة ليون وزخارفها. فمتى كانت هذه حاجات طبقة حاكمة لا تعترف بحق ملكية او حياة، تراءت لنا عواقب تلك الحاجات على الطبقات المكرهة على سد تلك الحاجات وعلى اخلاق اصحابها.

النبذة السابعة

ان آداب المماليك هى من التفسخ بحيث يخشى على من وصفها، بمجرد حقيقتها، ان

يتعرض لتهمة المبالغة المغرضة. فقد ولد معظمهم على المذهب اليوناني، وهم يطهرون عندما يشتريهم مواليهم، ولكنهم فى نظر الاتراك كفار لا دين لهم ولا ايمان. وانهم غرباء عن بعضهم لا تربطهم العواطف الطبيعية التى تجمع بين سائر الناس. ولما كانوا لا اهل لهم ولا اولاد، فلا الماضى فعل شيئا فى سبيلهم، ولا هم يفعلون شيئا فى سبيل المستقبل. وتراهم جهلة تعودوا الخرافات بحكم التربية، والشراسة عن طريق القتل، والعصيان عن طريق الاضطرابات، والخيانة عن طريق الدسائس، واللؤم عن طريق المواربة، وفساد الاخلاق عن طريق التهتك على انواعه. وهم بصورة خاصة مستسلمون لهذا النوع المخزى الذى طالما كان رذيلة اليونان والتتر [اللواط]: وهى الامثولة الاولى التى يتلقونها من اسيادهم فى السلاح. ولا يجد المرء تفسيرا لهذا الميل متى عرف ان لهم جميعا نساء. هذا ما لم نفترض انهم يبحثون فى احد الجنسين عن اللذة التى حرموها فى الجنس الآخر. والواقع انه ليس من مملوك واحد بلا وصمة.

حكومة المماليك

هذا هو نوع الناس الذين يتحكمون اليوم فى مقدرات مصر ويرئس الحكومة رجال من هذا الطراز. اما طريق الوصول الى هذه المعالى فبعض ضربات سيف موفقة وايغال فى الرياء او الجرأة. ومن الطبيعى ان هؤلاء الوصوليين لا تتبدل طباعهم بتبدل الحظوظ، فهم ينطوون على نفوس عبيد فى اثواب ملوك. وكانت السيادة فى نظرهم عبارة عن تلك الفن الصعب الذى يوجه الميول المختلفة فى امة كثيرة العدد نحو غرض مشترك، ولكنها وسيلة للاستكثار من النساء والحلى والجياد والعبيد، وارضاء الهوى. فالادارة داخلية كانت او خارجية مسيرة بهذه الذهنية. وهى تقتصر من جهة على المداورة تجاه بلاط الاستانة تجنبا للضرائب ولغضب السلطان، ومن جهة اخرى على شراء العديد من العبيد، ومضاعفة عدد الاصدقاء، وتلافى المؤامرات، وابادة الخصم المستتر بالسم والحديد. والرؤساء ابدا فى حالة النذير، يعيشون عيشة الطغاة القدماء فى سرقوزه، فلا ينام مراد وابراهيم إلا بين القرابينات والسيوف. وليس لهذا المجتمع اى المام بفكرة الامن والنظام العام. والغرض الوحيد عند هؤلاء القوم الحصول على المال. والاستيلاء عليه حيثما يظهر، واغتصابه ايا كان مالكه، وفرض الضرائب على القرى او على الجمرك الذى يحيلها على تجارة البلاد.

النبذة الاولى
حالة الشعب فى مصر

كل ما فى مصر يتفق والنظام الذى يسودها. فحيثما لا ينعم الفلاح بثمرة اتعابه تراه ينصرف الى العمل كارها، فتهن الزراعة. وحيث لا ضمانة لحرية الاستمتاع فلا صناعة قائمة، والفنون بدائية. وحيثما لا تجدى المعارف نفعا فلا ينشط الناس الى اقتباسها وتبقى العقول على وحشتيها.و هذه هى حالة مصر. فان معظم اراضيها فى يد البكوات والمماليك ورجال الشريعة. اما اصحاب الاملاك الآخرون فعددهم جد محدود، فضلا عما يصيب املاكهم من التكاليف وما يتعاقب عليها من الضرائب والمكوس. والارث عندهم لا يشمل العقارات، بل هى تؤول الى الحكومة، ومنها يشتريها اصحابها. والفلاحون آلات مأجورة لا يترك لهم للمعاش إلا ما يقيهم الموت. وما يحصدونه من ارز وحنطة يذهب الى موائد اسيادهم، فيما يحتفظون الذرة ويصنعون منها خبزا بلا خمير، لا طعم له اذا كان باردا،

يختبزونه فى ملة وقدها من ورث الجواميس والبقر. [الجلة] فهذا الخبز مضافا الى الماء والبصل النيء قوتهم طوال العام. ويحسبون سعداء اذا تخلل طعامهم هذا شيء من العسل والجبن واللبن الرائب والتمر. اما اللحم والشحم فمادتان يرغبون فيهما كثيرا، ولكن لا اثر لهما فى مآكلهم فى غير الاعياد الكبرى، وفى بيوت اهل السعة منهم. وملبسهم كله عبارة عن قميص من الخام الازرق وجبة سوداء من نسيج خشن. وتعلوا رؤوسهم قلنسوة من الكتان يطوقونها بمنديل من الصوف الاحمر. اما الذراعان والساقان والصدر فعارية جميعها. واغلبهم لا يلبس السراويل. ومساكنهم اكواخ ترابية يضيق الصدر من قيظها ودخانها، وتحاصرهم فيها الامراض الناشئة عن الاوساخ والرطوبة والغذاء الردئ. اضف الى هذه الادواء الجسدية ما ينتابهم من خوف الغزو والنهب [من البدو العرب] وزيارات المماليك والانتقامات العائلية ومشاغل الحرب الاهلية المستديمة. هذه هى صورة تنطبق على كل القرى. وليست صورة المدن اكثر بهجة منها. ففى القاهرة نفسها يروع الغريب منظر الخراب والشقاء الشاملين. فثمة جماعات تزدحم فى الازقة باطمار بالية تنبو عنها النواظر ، واجسام عارية تشمئزها النفوس. وكثيرا ما تلتقى خيالة يرتدون الثياب الثمينة. بيد ان هذا البذخ يجعلك اكثر تألما لمنظر البؤس والشقاء. فكل ما ترى وتسمع ينبئك انك فى بلد العبودية والطغيان. فلا تسمع إلا أحاديث الاضطرابات الاهلية، والفقر الشامل، وابتزاز المال، والضرب والقتل. فما من حرز يعصم الحياة او الملك. ويسفك دم الرجل كما يسفك دم الثور. والقضاء نفسه يريقه دون ما تقيد بصيغة او شكل. فضابط الليل فى طوافه وضابط النهار فى تجواله يحاكمان ويحكمان وينفذان فى لمحة البصر. ويرافق كليهما جلادون يقطعون الرؤوس عند اول اشارة يتلقونها، ويلقونها فى اكياس من الجلد مخافة ان تدنس الارض. وليت الناس يتعرضون للعقاب بسبب جريمة ولو صورية! ولكن ما يحدث غالبا هو ان جشع ذوى السلطان او وشاية عدو يكونان السبب فى ان يساق امام البك رجل تذهب المظان الى انه ذو مال. فيفرضون عليه اداء مبلغ منه، حتى اذا انكر قلبوه على ظهره وجلدوا باطن قدميه مائتين او ثلاثمائة جلدة، وقد يقتلونه بهذه الطريقة. والويل لمن يشتبه فيه انه من اهل السعة واليسار، فثمة مائة دساس عى اهبة السعى به. ولا يستطيع التملص من اغتصاب ذوى السلطان الا اذا ظهر بمظهر الفقر والباساء.

النبذة الثانية

الشقاء والمجاعة فى السنوات الاخيرة

تفاقمت حالة البؤس فى العاصمة المصرية ابان السنوات الثلاث الاخيرة. فقد تضافرت مع المساوى المعتادة الناشئة عن الطغيان المتمادى واضطرابات السنوات السابقة كوارث طبيعية اكثر تهديما. فقد نفذ الهواء الاصفر من الاستانة فى خريف سنة ١٧٨٣ وفتك بالسكان فتكا ذريعا فى فصل الشتاء حتى لقد خرجت الف وخمسمائة جثة من ابواب القاهرة فى يوم واحد. وجاء الصيف فحد من شدة الوباء، على مألوف نتائجه فى هذه البلاد. وعقبت هذه الكارثة كارثة اخرى مثلها هولا. فقد جاء فيضان سنة ١٧٨٣ ناقصا بحيث بقى جزء كبير من الاراضى بورا لعدم الرى، ولم يزرع قسم آخر لافتقار الناس الى البذار. وكان النيل لم يبلغ الحد المؤاتى فى سنة ١٧٨٤ فعم القحط. ولم ينقض شهر نوفمبر حتى كانت المجاعة قد حصدت من

سكان القاهرة عددا يكاد يضاهي ما حصده الهواء الاصفر منهم واقفرت الشوارع من المتسولين الذين كانوا يملأونها لانهم هلكوا او ترحلوا. ولم تكن الكارثة اقل هولا في القرى، فقد هجرها عدد عديد من السكان هربا من الفناء، وانتشروا في البلاد المجاورة. وقد شاهدتهم في سوريا خلال السنة ١٧٨٥ افواجا وجماعات. وكانت ازقة صيدا وحيفا وسائر فلسطين تعج بالمصريين، وعلامتهم الفارقة لونهم الضارب الى السواد وقد توغل فريق منهم حتى حلب وديار بكر.

ليس في الامكان حصر مقدار النقص في عدد السكان خلال هاتين السنتين، لان الاتراك لا سجلات عندهم للمواليد والوفيات والاحصاء. وفي الرأى السائد ان البلاد فقدت سدس ساكنيها.

وقد تكررت في هذه الاحوال جميع المشاهد التي تقشعر من وصفها الابدان وتطبع في النفس تأثيرات من الهول والكآبة لا تمحى. فقد كانت الشوار ع والساحات العامة ـ على نحو ما حصل ابان مجاعة البنغال لسنوات خلت ـ مزدرعة بهياكل منهوكة القوى تستجدي باصواتها الواهنة شفقة عابري السبل، ولكن على غير طائل، لان خوف الخطر المشترك حجر القلوب. فكان هؤلاء التعساء يلفظون آخر انفاسهم، فيما هم مستلقون بظهورهم على منازل البكوات التي يعرفون انها تزخر بالحنطة والارز. وكثيرا ما كان صراخهم يزعج المماليك فيطاردونهم باعقاب العصي.

ولم ينفر الجياع من اية وسيلة كانت لسد ما بهم من كلب الجوع، فقد التهموا اقذر الاشياء. ولا أنسى قط مشهدا شاهدته في عودتي من سوريا الى فرنسا في شهر مارس سنة ١٧٨٥. لقد رأيت تحت اسوار الاسكندرية القديمة تاعسين جاثمين على جثة جمل ينازعان الكلاب قطع لحمة النتن.

وهنالك نفوس شديدة المراس بعد ان تؤدي قسطها من الشفقة تجاه هذه النكبات العظيمة لا تتمالك من ان تتولاها ردة من الغضب على من يكابدونها. فترى ان هذه الشعوب التي لا تملك الشجاعة لدفعها او تتلقاها دون ان تتأسى بالانتقام خليقة بأن تموت. ويذهب البعض الى القول مجازفة ان في هذه الوقائع دليلا على ان سكان البلاد الحارة مستضعفون طبعا ومزاجا، وان الطبيعة اعدتهم لان يكونوا ابدا عبيد الاستبداد.

ولكن هل بحث هؤلاء فيما اذا كان تلك الحوادث وما يماثلها لم تقع في مناخات يريدون ايلاءها شرف الاستئثار بامتياز الحرية؟ وهل لاحظوا اذا كانت الحوادث العامة التي يستندون اليها لا ترافقها احوال وملابسات تشوه نتائجها؟ في السياسة كما في الطب من الاعراض ما يضلك عن حقيقة اسباب الداء. وكثيرا ما يتعجل الناس في وضع القواعد الكلية بالاستناد الى حوادث فردية، فيأتون بهذه المبادئ الشاملة التي، وان كانت تروق العقل، الا انها كثيرة الابهام. من النادر ان تكون الوقائع التي يدور عليها التعليل صحيحة، لان ملاحظتها هي من الدقة بحيث يخشى غالبا ان تقوم المذاهب على قواعد وهمية.

وفي الحالة التي نحن في صددها، اذا تقصينا اسباب استكانة المصريين للارهاق، وجدنا ان هذا الشعب الذي تسوده احوال قاسية اجدر بالشفقة منه بالاحتقار. والسبب في ذلك ان الحالة السياسية في هذه البلاد غيرها في اوروبا. فان آثار الثورات القديمة عندنا ما برحت تتضاءل يوما بعد يوم حتى تقرب الغرباء الغالبون من الوطنيين المغلوبين على امرهم، وتولدت من امتزاجهم امم متماثلة، موحدة المصالح. اما في مصر وفي معظم آسيا فقد اصبح

الوطنيون مستعبدين ـ على اثر انقلابات حديثة العهد ـ لفاتحين غرباء، وتألفت من الفريقين جماعات مختلطة متباينة المصالح. فالدولة هنا فئتان: فئة الشعب المنتصر التي يحتل افرادها جميع مناصب السلطة المدنية والعسكرية، وفئة الشعب المغلوب الموزعة بين الطبقات المرؤوسة في المجتمع. والفئة الحاكمة التي تخول نفسها حق الاثرة في الملكية بقوة الفتح لا ترى في الفئة المحكومة سوى آلة طيعة للاستمتاع. وهذه الفئة الاخيرة، وقد تعرت من كل مصلحة شخصية، لا تؤدى للفئة الاخرى الا اقل ما يمكنها اداءه. فان الحكومات في دول اوروبا تستمد وسائل الحكم من صميم الامم. وليس من السهل عليها او من الموافق لها ان تتعسف في استعمال السلطة.

ومهما يكن من امر فهي لا تبلغ في استعمالها حدود الظلم والطغيان. وسبب ذلك انه فضلا عن تلك الجماهير التي يسمونها الشعب القوى بكتلته الضعيف ابدا باختلافاته، توجد طبقة اخرى تتوسط الشعب والحكومة وتوازن بين كليهما، وهي طبقة الاثرياء الموزعين في المناصب الاجتماعية الذين يعنيهم ان تحترم حقوق الاحتراز والملكية. اما في مصر فليس من حالة وسطى، ولا طبقات اشراف وكهنة وتجار وملاكين يتكون منهم جسم وسط بين الشعب والحكومة. فالناس هناك اما جنود ورجال شريعة اى رجال حكم، او فلاحون وحرفيون وتجار واخص ما يعوز الشعب الوسيلة الاولى لمحاربة الظلم، وهي توحيد القوى وتوجيهها عليه. ان ابادة المماليك تقتضى ان يتآزر الفلاحون جميعا ويثوروا. وفي هذا الامر استحالة يرجع سببها الى انتظام طريقة الاستبداد. ففي كل ولاية او قضاء حاكم، وفي كل قرية قائمقام يسهر على حركات الجمهور. وهو ان كان واحدا ضد الجميع ، فان السلطة التي يمثلها تجعله قويا مهابا. وقد دل الاختبار على ان الرجل الذى تدفعه الشجاعة الى سيادة قوم يجد بينهم اذلاء يهرعون لمساندته. ان هذا القائمقام يكل الى بعض افراد الشعب شيئا منْ سلطته، فيصبحون اسنادا له، ثم يتحاسدون ويتنازعون على رضاه، فيستعملهم الواحد بعد الآخر ليأتى عليهم جميعا. وفي القرى من التحاسد والبغضاء ما يدس التفرقة والتخاذل. ولكن اذا افترضنا ان السكان اتحدوا وتضاموا ، وفي الامر ما فيه من الصعوبة، فاى قدرة لزمرة من الفلاحين المشاة الحفاة ولو تسلحوا بالعصي والبنادق تجاه فرسان شاكي السلاح مدربين على اساليب القتال؟ ان لأيأس بوجه خاص من خلاص مصر كلما تأملت طبيعة ارضها المؤاتية للفروسية. فاذا كانت افضل كتائب المشاة عندنا ما برحت ترهب منازلة الفرسان في السهل، فما قولك في شعب يجهل فنون القتال البدائية، ولا يتيسر له ان يقتبسها لانها ثمرة المران، والمران عندهم امر محال. ان الحرية لا تجد مواردها الكبرى الا في البلاد الجبلية، حيث تستطيع الشرذمة الصغيرة الاستعاضة عن العدد بالحذق والبراعة. فهي متحدة في بادئ الامر بسبب قلة عددها، وتكتسب كل يوم قوى جديدة بسبب تعود استعمالها. وترى المستبد المقتدر قد حدت السلطة من نشاطه فيما طل، ولاتلبث هذه الجماعات من الفلاحين او السراقين التي كان يحتقرها ان تصبح متمرسة بالحرب، فتنازعه في السهول فن القتال وثمرة الغلبة.

ويختلف الامر في البلاد المسطحة حيث تفرق التجمعات على اهون سبيل، بحيث لايبقى للفلاح ـ وهو الذى لا يعرف حتى اقامة المتاريس ـ من مورد الاشفقة سيده والاستمرار في العبودية. واذا كان من مبدأ عام يجوز الاخذ به فليس اصدق من

القول : ان البلاد السهلية مقام الخمول والعبودية ، والجبال وطن النشاط والحرية. وقد يكون في حالة المصريين الحاضرة ما يكبت شجاعتهم دون ان يصح القول ان بذورها ليست في طبائعهم او ان المناخ قد حرمهم اياها. وفي الواقع ان هذا الجهد المستمر في النفس، الذي يسمى الشجاعة، انما هو صفة نفسية اكثر منها جسدية. وما كانت حرارة المناخ مرتفعة او منخفضة لتوحي الجرأة على اقتحام المخاطر بمقدار ما تبعثه عليها المروءة والثقة بالنفس.

فاذا انعدم هذان العنصران جاز ان تلبث الشجاعة هي جمود على انه اذا كان ثمة من قوم جديرين بالحماسة فهم اولئك الذين تمرست اجسامهم بالالم واكتسبوا صلابة تتغلب عليه، كالمصريين مثلا، فقد اخطأ من وصفهم انهم اناس اوهنهم الحرّ، او خنثتهم الخلاعة اجل، قد يكون لسكان المدن واهل الثراء هذا التأنث الذي هو خاصة من خصائصهم ايا كان المناخ. بيد ان القرويين المسمين بالفلاحين تحقيرا لهم، يعانون من المشقات ما يثير الدهشة والاستغراب. فانك لتراهم طوال ايام يغترفون من مياه النيل عراة معرضين لحرارة شمس تقتل امثالنا. ومن كانوا منهم خدما للمماليك قاموا بكل حركات الفارس، فهم يتبعونه في المدينة، وفي الحقل ، وفي الحرب، وفي كل مكان ابدا مرتجلين، ويقضون اياما كاملة يتعقبون الخيول او يتقدمولها ركضا ، حتى اذا ادركهم التعب تعلقوا باذيالها كيلا يتخلفوا . وثمة سمات نفسانية تفضي بنا الى استقراءات مماثلة لتلك المظاهر الجسدية. فان العناد الذي يبديه القرويون في بغضائهم وفي ثاراتهم وشراستهم في اقتتالهم قرية واخرى وتمسكهم بشرف المحافظة على السر برغم ضربات العصي ووحشيتهم في معاقبة نسائهم وبناتهم لاقل اخلال بالعفاف، في كل ذلك دليل على انه اذا كانت العادة قد ايقظت فيهم النخوة في بعض النواحي، فان هذه النخوة لا يعوزها إلا التوجيه حتى تصبح شجاعة رهيبة. ان الفتن التي يثيرونها آونة بعد اخرى، وقد عيل صبرهم ـ في مديرية الشرقية خاصة ـ تدل على نار تحت الرماد تنتظر للانفجار يدا تعرف كيف تحركها.

النبذة الثالثة

حالة الفنون والنفوس

ان الحائل العظيم دون ثورة حسنة الطالع في مصر انما هو الجهل المدقع الذي تتمرغ فيه الامة. وهذا الجهل ، وقد اعمى العقول عن اسباب الادواء وعن ادويتها، قد عماها كذلك عن وسائل التداوي.

اني وقد نويت العودة الى هذا الموضوع لا اتبسط الآن في تفاصيله، وحسبي الملاحظة ان هذا الجهل الشائع بين جميع الطبقات يمتد بمفاعليه الى جميع فروع المعارف الادبية والطبيعية والعلوم والفنون الجميلة حتى الفنون الميكانيكية التي مايزال ابسطها في دور نشأته، واشغال النجارة والحدادة والاسلحة بعيدة عن الاحكام والاتقان. اما السلع والبضائع الحديدية وانابيب البنادق فتستورد من الخارج ، وانك بالجهد تجد ساعاتيا في القاهرة، وهو اوروبي والصاغة اكثر عددا مما هم في حلب وازمير. ولكنهم اعجز من ان يحكموا تركيب حجر كريم. وفي القاهرة يصنعون البارود، ولكنه خشن. وثمة معامل للسكر يستخرج منها دبسي المادة. والابيض منه كثير التكاليف. والانسجة الحريرية على شيء من الاتقان، ولكنها اقل اتقانا بمراحل من مثيلاتها في اوروبا واعلى ثمنا.

حالة التجارة

قد يدهش المرء وسط هذه الهمجية الشاملة ان تحتفظ التجارة بهذا النشاط فى القاهرة. على ان من يتفحص مواردها بامعان يتبين ان ثمة سببين يجعلان من القاهرة مركزا لتجارة واسعة:

الاول استجماع ما تستهلكه البلاد فى دائرة هذه المدينة. فهى موطن كبار الملاكين كافة كالمماليك ورجال الشريعة الذين يحصرون فيها جميع حاصلاتهم دون ان يردوا شيئا الى البلاد التى تنتجها.

والثانى مركزها الذى يجعل منها مجازا الى جزيرة العرب والهند عن طريق البحر الاحمر، والى الحبشة عن طريق النيل، والى اوروبا والسلطنة العثمانية عن طريق البحر المتوسط. فتقبل على القاهرة فى كل سنة قافلة من الحبشة تنقل الرقيق (يراوح عددهم بين الف عبد والف ومائتين) والعاج ومسحوق الذهب وريش النعام والصموغ وطيور الببغاء والقردة. وتقوم من اقاصى مراكش نحو مكة قافلة اخرى يفد عليها حجاج تلك النواحى حتى شواطئ السنغال. فتسير بمحاذاة المتوسط لينضم اليها حجاج طرابلس وتونس وغيرهم، حتى تطلع على الاسكندرية عبرالصحراء بثلاثة آلاف جمل او اربعة، ثم تهبط القاهرة لتنضم الى قافلة مصر، فتيممان مكة معا، وتعودان منها بعد مئة يوم.

على ان حجاج مراكش الذين تفصلهم عن بلادهم مسافة ستمائة فرسخ فهم لا يرجعون اليها الا بعد مضى سنة او تزيد. وتحمل هذه القوافل معها انسجة الهند والشيلان والصموغ والعطور واللؤلؤ والبن اليمنى بنوع خاص. وهذه البضائع تصل ايضا الى السويس على ظهور السفن الشراعية التى تنطلق من جدة فى شهر مايو عند مؤاتاة الريح الجنوبية. اما القاهرة فلا تحتفظ بهذه البضائع كلها. بيد انها فضلا عن القسم الذى تستهلكه منها تفيد من رسوم المرور ومن نفقات الحجاج. وتأتيها من دمشق حينا بعد آخر قوافل صغيرة تنقل اليها الحرائر والقطنيات والزيوت والثمار المجففة. ولا يخلو مرفأ دمياط فى الربيع من السفن التى تفرغ فيه مشحونات التبغ اللذقانى الذى يستهلك فى مصر على نطاق واسع جدا. وتحمل هذه السفن من مصر الارز، فيما تتوارد سفن اخرى دون ما انقطاع على الاسكندرية ناقلة اليها من الاستانة الاثواب والاسلحة والفراء والمسافرين والادوات المعدنية، ومن مرسيليا وليفورنو والبندقية الكتان والحرير والخرضوات والورق والحديد والرصاص إلخ... وتنقل هذه السلع الى الرشيد بحرا ثم توجه على القاهرة عن طريق النيل. وتدلك هذه النظرة الشاملة على اتساع سوق التجارة فى القاهرة، ولكن متى عرفت ان قسما كبيرا من البضائع الهندية والبن يذهب الى الخارج، وان اثمانه تسدد سلعا وبضائع من اوروبا وتركيا، وان معظم استهلاك البلاد يدور على ادوات البذخ والترف فى حين ان اكثر منتوجاتها من المواد الخام، تبين لك ان هذه التجارة الواسعة لا تعود على مصر بالمنافع الكثيرة والرخاء الوفير.

الطاعون

شاء بعضهم ان يحملنا على الظن ان الطاعون ينشأ فى مصر. بيد ان الواقع يكذب هذا الرأى القائم على الاظانين المبهمة، اذ يؤكد تجارنا المقيمون فى الاسكندرية منذ سنوات طويلة ان الطاعون لا يتسرب قط من داخل البلاد، ويوافقهم المصريون على ذلك، بل انه يظهر اولا على ساحل الاسكندرية، فينفذ منها الى رشيد، ومن رشيد الى القاهرة، فالى دمياط، فالى سائر الدلتا. ويلاحظون ان هذا الوباء ينتشر دائما على اثر وصول احد المراكب المقلعة من ازمير او الاستانة، وانه اذا كان

شديدا ابان فصل الصيف فى احدى المدن المذكورة كـان خطره اشـد على المدينة الاخـرى فى فـصل الشـتـاء الذى يليـه. ويـبـدو من الثـابت ان مـوطنه الحقيقى الاستانة حيث يتأبد بفضل ما يظهر الاتراك من اهمـال اعـمى اذ تبـاع امتـعـة الموتى الموبوئين عـلانيـة. ثـم تأتى سـفن الاسكندرية فـتنقل الفـراء والاثواب الصـوفيـة المبـيـعـة على النحـو المذكـور، وتصـرفـهـا فى اسـواق المدينة حـيث تزرع جـراثيم الوباء. واليـونانيون الذين يتعاطون هذه التجارة هم فى الغالب ضحاياها الاولى. ويمتد الوباء شيئا فشيئا الى رشيـد حتى ينتهى الى القاهرة متأثرا فى مسيرة الطريق الذى تسلكه البضائع يوميا. اما التجار الفرنجة فلا يكادون يستشعرون وقوع الداء حتى يعتصموا فى «خاناتهم» مع خدمهم، ويقطعوا كل صلة بالخارج، فتسلم اليهم اقواتهم عند باب الخان، فيتسلمها البواب بكلاليب من حديد، ويضعها فى برميل ماء معد لها. فاذا ما شاء احد مكالمتهم، وقفوا منه على مسافة تحول دون التماس بالثياب او بالنفس. وهم بهـذه الطريقـة يتـقـون الآفـة ما لم يخلوا بقـواعـد الاحـتـراس. فـقـد حـدث منذ سنتين ان هرا قـفـز عن السطوح الى مـقـر تجـارنا، فنقل الطاعون الى رجلين منهم مالبث احدهما ان قضى نحبه.

ويمكنك ان تتصور مبلغ الضجر الذى يستولى على هؤلاء القـوم فى احـتـبـاسـهم، وهو يستـمـر من ثلاثة شهور الى اربعة، يقتصرون خلالها على التلهى بلعب الورق والتنزه مساء على السطوح.

ومما يسـتـرعى النظر ان الطاعـون يتـسلط فى الاسـتـانة صـيـفـا فـيـمـا يضـؤل او يزول شـتـاء. وهو بالعكس يسيطر فى مصـر شتاء حتى اذا مـا اطل شـهـر يونيـو اباده. بيـد ان هذه الغرابة الظاهرة تقـوم على قـاعـدة واحـدة. فـالشـتـاء يبـيـد الطاعـون فى الاستانة لان بردها قارس جدا، والصيف يذكيه لان الحرارة فـيـهـا مشـوبة بالرطوبة بسـبب جـوار البـحـار والجبـال والغابات. وفى مـصـر يثيره الشتـاء بسـبب رطوبته واعتداله، ويمحقه الصيف لانه حار وجاف. ويعمل فيه عمله فى اللحوم التى يمنعها من الفساد. ومـا كـانت الحـرارة مـؤذية إلا بمقـدار مـا تمتـزج بالرطوبة [لوحظ فى القـاهرة ان السـقـائين حـملة الماء الذين ترشح عليـهم المياه الباردة باستـمـرار من القرب التى يحملونها فوق ظهورهم لايصابون قط بالطاعون، ولكن الأمر هنا اغتـسـال لارطوبة]. ان مـصر تنكب بالطاعـون كل اربع سنوات او خمس. ولكان ما يحـدثه من التلف فى الارواح خليق بان يجعلها قاعا صفصفا لولا ما تعتاض به من الغرباء المقبلين عليها جماعات من سائر ولايات السلطنة.

اما فى سوريا فالطاعون نادرا جدا، وقد مضت خـمس وعـشـرون سنة على آخـر مـرة تفـشى فى انحائها. ويرجع ذلك الى ندورة السـفن المقبلة من الاستانة توا. فضلا عن انه لا يتبلد بسهولة فى هذه الولاية. فـاذا مـا نقل من الارخـبـيل او من دمـيـاط نفسها الى خلجان اللاذقية او صيدا او عكا، فهو لا يتأصل فيها. ويقتضى له لكى يغزو سوريا بأسرها ان تلابسه احوال اعدادية ويمر بطريق معينة كأن يأتى من القاهرة الى دمشق رأسا.

ان التسليم للقدر مضافا الى همجية الحكومة قـد حـال حـتى اليـوم دون الاحـتـراز من هذا الداء الوبيل. على ان الاتراك تأثروا اخيرا بجدوى الوسائل التى اعتمدها الفرنجة. ويبدو ان الباب العالى اصبح بادى الاهتمام للقضية، اذا صح انه اصدر فى العام المنقضى ارادة بانشاء محاجر صحية فى ازمير وكنديا والاسكندرية. وسبق لحكومة تونس ان تذرعت بهذا التدبير الرشيد منذ سنوات على ان فوضى الادارة التركية كفيلة بان ينتهى الامل بهذه المؤسسات الى اخفاق رغم مالها من الاهمية القصوى للتجارة ولسلامة دول البحر المتوسط.

ملاحـــق: (إضافة).

*** ذكر من مات فى هذه السنة [١١٨٥ = ١٧٧١م].**

*** ذكر من مات فى هذه السنة من العظماء:**

*** ذكر من مات فى هذه السنة من الاعيان ١١٩١ = ١٧٧٧م.**

● مصادر التحقيق:

١ ـ عبد الرحمن الجبرتي. دراسات وبحوث. اصدار المجلس الاعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية. القاهرة. ١٩٧٦.

2- Stanford Show: The Financial and Administrative Organization and Development of Ottoman Egypt. 1517 - 1798. Princeton Oriental Studies. 1962

٣ ـ الادب المصرى فى ظل الحكم العثمانى
تاليف : محمد سيد كيلانى.
دار الفرجانى/ ١٩٨٤ ـ القاهرة.

٤ ـ تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى.
تأليف: د. أحمد السعيد سليمان. دار المعارف/ ١٩٧٩ ـ القاهرة.


Bibliotheca Alexandrina
12400085